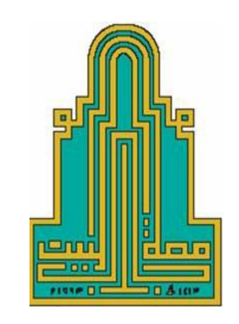
بسم الله الرحمن الرحيم



جامعة آل البيت
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

**رسالة ماجستير بعنوان**

# "حركات التمرد والعصيان في عصر دولة المماليك الشراكسة (784ـ923هـ/ 1382ـ1517م)"

# "Rebellion Movements in the Age of the Mamluk state Circassians (784 -923AH /1327- 1517AD)"

**إعداد الطالب**

**خالد إبراهيم خنفير الرشيدي**

**1470303001**

**إشراف**

**الدكتور أنور عودة الخالدي**

**أستاذ مشارك/ التاريخ الوسيط**

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ

# التفويـــض

**أنا خالد إبراهيم خنفير الرشيدي أفوض جامعة آل البيت بتزويد نسخ مـــن رسالتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عنـــد طلـــبهم حســـب التعليمات النافذة في الجامعة.**

**التوقيع:**

**التاريخ: / /2017م**

# إقرار والتزام بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها

**أنا الطالـــب: خالد إبراهيم خنفير الرشيدي** **الرقم الجامعي: (1470303001)**

**التخصص: التاريخ** **الكلية: الآداب والعلوم الإنسانية**

أعلن بأنني قد التزمت بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها الســـارية المعمول بها المتعلقة بإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه عندما قمت شخصياً بإعداد رســـالتي بعنوان:

**حركات التمرد والعصيان في عصر دولة المماليك الشراكسة**

**(784-923هـ/ 1382-1517م)**

وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابـــة الرســـائل والأطـــاريح العلمية. كما أنني أعلن بأن رسالتي هذه غير منقولة أو مستلة من رسائل أو أطاريح أو كتـــب أو أبحاث أو أي منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة إعلامية، وتأسيساً علـــى ما تقدم فإنني أتحمل المسؤولية بأنواعها كافة فيما لو تبين غير ذلك بما فيـــه حـــق مجلـــس العمداء في جامعة آل البيت بإلغاء قرار منحي الدرجة العلمية التي حصـــلت عليهـــا وســـحب شهادة التخرج مني بعد صدورها دون أن يكون لي أي حق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن بأي صورة كانت في القرار الصادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد.

**توقيع الطالب:** **التاريخ: / /2017م**

عمادة الدراسات العليا
جامعة آل البيت

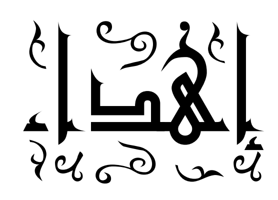
# قرار لجنة المناقشة

**نوقشت هذه الرسالة وعنوانها**

**" حركات التمرد والعصيان في دولة المماليك الشراكسة ٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م"**

**وأجيزت بتاريخ / /٢٠١٧م**

| أعضاء لجنة المناقشة | | التوقيع |
|---|---|---|
| ١. د. أنور عودة الخالدي | مُشرفاً ورئيساً | .............................. |
| ٢. د. موسى أحمد بني خالد | عضواً | .............................. |
| ٣. د. محمد صياح العيسى | عضواً | .............................. |
| ٤. أ.د. عيسى محمود العزام | عضواً خارجياً | .............................. |



**إلى أبي وأمي...... نبعا العطاء**

**إلى أفراد أسرتي ............. عرفانًا ووفاء**

**إلى كل من قدم لي يد العون .... حفظه رب السماء**

الباحث

# فهرس المحتويات

## الفصل الثالث
## الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية لحركات التمرد والعصيان

# مقدمـــة

تعتبر حركات التمرد والعصيان التي استمرت طيلة عصر المماليك الجراكسة امتداداً طبيعياً فيما يبدو لما قام به الظاهر برقوق أول سلطان من سلاطين الجراكسة أو دولة المماليك الثانية، إذ إنه كان واحداً من الأمراء قبل توليه الحكم وجلس على كرسي الحكم بتدبير المؤامرات والتنكيل بزملائه، ومن ثم وجد الأمراء أن طريق الوصول إلى الحكم هو القيام بالتمرد ورفع راية العصيان، وسلكوا في سبيل ذلك الهدف كل وسيلة، وترتب على ذلك الأمر تعدد حركات التمرد والعصيان ضد سلاطينهم أو زملائهم ضاربين بالعهود والأيمان عرض الحائط.

وتجدر الإشارة إلى أن التنافس بين الأمراء لأجل الحصول على الترقيات وأخذ الإقطاعات كان من أسباب كثرة التطاحن فيما بينهم في سبيل اكتساب الترقيات والمناصب، فضلا عن أنهم رأوا أن السلطان نفسه لم يكن سوى مملوك مثلهم وتولى الحكم عن طريق تدبير المؤامرات والاشتراك في حركات التمرد والعصيان، فكثرت حركات تمردهم وعصيانهم.

ورغم أن الأمراء والسلاطين قد اشتروا المماليك من أجل حمايتهم والدفاع عنهم ضد الأخطار التي كانت تحيط بهم، وليكونوا درعاً لحماية البلاد من الأعداء، إلا أنهم أهملوا كل ذلك، وانطلقوا ينشرون الفزع والخوف بين الناس بما يستولون عليه من أموال وما يطالبون به من نفقات، بل كانوا يقومون بالتمرد والعصيان لمجرد تأخر رواتبهم أو عدم كفايتها لنفقاتهم.

الجدير بالذكر أن حركات التمرد والعصيان قد استغرقت طوال عصر دولة المماليك الجراكسة وكان شغل القائمين بها الشاغل هو تولية سلطان وعزل آخر، وإرضاء فريق وتقريبه وإبعاد فريق آخر، ومن ثم كان لحركات التمرد والعصيان آثار خطيرة على النواحي المختلفة سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، فمن الناحية السياسية كانت هذه الحركات سبباً لتولية بعض السلاطين للحكم وعزل آخرين، ويصحب ذلك زيادة نفوذ بعض فرق المماليك على حساب غيرهم ممن كانوا في الحكم بعد تعيين السلطان لزملائه وأعوانه في المناصب المهمة للدولة، وبذلك يتم تغيير معظم مناصب الدولة، وليس هذا فحسب بل إن مجرد الإشاعة بوقوع تمرد للمماليك كان كفيلاً لاضطراب الأحوال ونشر الفوضى.

كذلك كان لهذه الحركات آثار سلبية على الجيش نفسه والتهديد المستمر من المماليك بترك القتال مطالبين بالنفقة، وعلى مستوى الأمراء وصل الأمر إلى عزوف كبار الأمراء عن

منصب السلطنة، بل تنازل السلاطين أنفسهم مرات عديدة عن هذا المنصب مما تسبب في إضعاف الدولة.

كما كان لتمرد وعصيان المماليك آثار اقتصادية مهمة أثرت على الحياة الاقتصادية عامة، وعلى أحوال الناس خاصة فاستولى الحكام على أموال الناس لسد العجز في نفقات المماليك، ورغم ذلك فكثيراً ما نسمع عن قيام المماليك بعملية نهب وسلب بالأسواق مما كان يضطر الناس لإغلاقها.

وفي سبيل توفير السلاطين نفقة المماليك فرضوا الضرائب الكثيرة على الفلاحين، ومن ثم هجر الفلاحون أراضيهم، واتجهوا إلى القاهرة للحصول على الغذاء فتقلصت المساحة المزروعة وقل القمح وكثرت المجاعات وانتشر الفقراء.

كما لجأ الحكام للتلاعب بالعملة (برفع سعرها أو إصدار عملة جديدة) لجني الأرباح الوفيرة التي تعينهم على شراء مماليك وتوفير نفقاتهم، مما أدى إلى ارتباك الأحوال الاقتصادية.

كذلك فقد ترتب على تمرد المماليك آثار اجتماعية منها قلة عدد القرى واندثار عدد كبير من المدن، وانتشار الحرائق، بل كان لذلك أثره على خروج السلطان لصلاة الجمعة والأعياد، كذلك تأثر رحلة الحج وخروج المحمل بحركات التمرد والعصيان. فكثيرا ما قام المماليك أثناء عرض المحمل بنهب أموال الناس، مما دفع بعض العلماء لمطالبة السلطان بإلغاء المحمل.

ونظر لمنافسة العلماء للمماليك في مكانتهم نراهم أول ما يحدث تمرد أو عصيان يتجهون للاستيلاء على خيول العلماء وبغالهم ونهب أموالهم، وتفتيش مدارسهم وبيوتهم، بل وهدم هذه المدارس أو استخدامها في القتال.

## أولاً: مشكلة البحث:

يعد تحديد مشكله البحث بشكل دقيق الجزء الرئيس من مسيرة البحث العلمي إذ إنها تعطي رؤية واضحة للباحث حول الغرض من مشروع بحثه ، وتكمن مشكلة هذه الدراسة في أن الحديث عن حركات التمرد والعصيان يحتاج إلى ضبط المصطلح للتفرقة بين العديد من الكلمات المتقاربة (ثورة – معارضة – انتفاضة – تمرد – عصيان ) ، ومن ثم فقد تطلب هذا الأمر الكثير من الجهد في مطالعة كتب المعاجم والتراث وغيرها من المصنفات المتعددة لربط المصطلح بالواقع المعاش في عصر سلاطين المماليك، والمقارنة بين ما قيل لغة واصطلاحاً وبين ما استخدمه مؤرخو عصر المماليك الجراكسة، وهو أمر لا يخفى على أحد صعوبته.

كما أن هذه الموضوعات تحتاج لدراية شبه كاملة بمصادر العصر لأن توصيف حركات العصيان والتمرد كان يتم عرضا عبر كلمات المؤرخين، ثم يتم تفصيل الحادثة، وهذا الأمر يتطلب يقظة وهمة من الدارس كى يقف على التوصيف الصحيح للحركة التي تتحدث عنها المصادر، زد على ذلك أن مصادر العصر المملوكي الجركسي نادرة وتكاد تُعد على الأصابع، على النقيض من عصر دولة المماليك البحرية الذي يتميز بثراء المؤلفات التاريخية التي تناولته، وتلك النُدرة شكلت صعوبة لدى الباحث في عكوفه على ما هو متاح من هذه المصادر وتحليل مضامينها لاستجلاء غوامض بحثه.

ويرتبط بهذه المشكلة مشكلة أخرى أن مؤرخي عصر المماليك الجراكسة أنفسهم لم يكونوا على اتفاق كامل في توصيفهم للحركة الواحدة فتارة تذكر على أنها حركة وتارة تمـــرد وتـــارة

انتفاضة وتارة ثورة، وهو ما احتاج لتدخل الباحث كي يحسم الأمر ويرجح بين الأقوال المتعارضة، وهو أمر غاية في الصعوبة لا سيما عندما يتعقب الباحث مؤرخين من طراز المقريزي والعيني وابن حجر والسخاوي وابن تغرى بردى وابن إياس وغيرهم.

ومن أوجه المشكلات أن هذه الدراسة تتقلب على أنماط التاريخ المتعددة لتشمل ما يخص التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي وهو ما احتاج معه دراية ودربة بالعديد من المناهج التي تعالج كل فرع من فروع التاريخ المختلفة، دون إحداث خلل في العرض كي تظهر الدراسة بصورة واضحة وأسلوب واحد.

ولا يمكننا أن نغفل مشكلة مهمة وهى أن عصر المماليك بعامة عرف بعصر الموسوعات وبضخامة إنتاج علمائه في شتى التخصصات، وهو ما يتضح في الإنتاج التاريخي الوفير والضخم لثلة المؤرخين الذين بزوا في عصر سلاطين المماليك بعامة، وعصر الجراكسة خاصة ، فمثلا موسوعة العيني عقد الجمان تحتاج إلى جهد جهيد في مطالعتها واستخراج ما فيها، وكذا سلوك المقريزي، وسائر مصنفاته ، ونجوز ابن تغرى بردى، وبدائع ابن إياس، والضوء اللامع للسخاوي وغيرها من المصنفات ، فإذا أضفنا أن هؤلاء المؤرخين كانوا موسوعيين علمنا أننا أمام مشكلة في الطرح والصياغة تحتاج لثقافة خاصة لفهم واستيعاب لغة هؤلاء الأعلام لا سيما أنهم تارة يستخدمون مصطلحات فقهية وحديثية ونقدية وصوفية وخلافة وهو ما احتاج من الباحث جهداً كبيراً للوقوف على حقيقة المادة العلمية التي حوتها كتبهم.

## ثانيًا : منطقة الدراسة وحدودها :

سيتم معالجة هذا الموضوع عبر تاريخ دولة المماليك الثانية أو ما تعرف بالمماليك الجراكسة بدءً من تسلمها الحكم على يد الظاهر برقوق 784هـ/1382م حتى سقوطها على يد العثمانيين في العام 923هـ/1517م.

## ثالثا : منهج الدراسة :

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على منهج استقرائي تحليلي، يعمد إلى تحليل الحدث السياسي، لا سيما أن هذا المنهج يقوم على مبدأ الاستدلال والاستقصاء من خلال الطرح الجزئي بقصد الوصول إلى الطرح الكلّي، وينطلق بذلك من ملاحظة جزئية لأطراف المشكلة أو القضية فيُرتبها ويُبيّن الأسباب التي أدّت إلى وجود تلك الجزئيات ليخلص في الأخير بالوقوف عند المشكلة أو القضية الكلّية وذلك انطلاقا من إعادة ترتيب العناصر المسببة للواقعة أو الظاهرة. كما تم الاستعانة بالمنهج النقدي في مناقشة الروايات التاريخية المختلفة، لترجيح رواية على أخرى، وتغليب رأى على آخر اعتماداً على الأصول والمصادر التي توضح ذلك. كما أفاد الباحث من المنهج الإحصائي لما للأرقام من دلالات مهمة في تفسير الظاهرة وطرحها بطريقة تروق للقارىء.

## رابعاً : هدف الدراسة ومبرراتها :

1- ارتباط هذا الموضوع بالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ومن ثم وجد الباحث نفسه مندفعاً تجاه الموضوع في محاولة لربط التاريخ السياسي بالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي، لا سيما وأن عملية تطور المجتمع البشري لا تدرس بمعزل عن البنية الاجتماعية.

2- قلة الدراسات التي تناولت الأزمات الاقتصادية، وما يخص قضية التضخم والتلاعب في العملة وأثر ذلك على حركات التمرد والمعارضة في عصر المماليك الجراكسة.

3- نُدرة تناول الدارسين لهذا الموضوع، ومن ثم فالمكتبة العربية في حاجة لدراسة تفصيلية عن حركات التمرد التي قام بها المماليك ضد بعضهم البعض.

## خامساً: الدراسات السابقة:

رغم تعدد الدراسات التي تم إعدادها بشأن عصر سلاطين المماليك والتي عالجت كافة نواحيها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والفكرية والثقافية فإن موضوعنا هذا لم يتم التطرق إليه بطريقة مباشرة، وإن كانت هناك عدة دراسات تناولت أجزاءً مهمة أفادت الدراسة تختص بحركات المعارضة في عصر المماليك، وبالأزمات الاقتصادية، وبالتحولات الاقتصادية، وبمصادرة الأملاك، وغيرها ومنها :

1- حامد زيان: الأزمات الاقتصادية والأوبئة في مصر عصر سلاطين المماليك، القاهرة، 1976م.

2- جمال جرجس يوسف: الاحتكار في الدولة المملوكية الثانية، رسالة دكتوراة، كلية البنات جامعة عين شمس، 1983م.

3- رأفت محمد النبراوي: أسعار السلع الغذائية والجوامك في مصر عصر دولة المماليك الجراكسة، ط1، الرياض، 1990م.

4- حمود محمد النجيدي: النظام النقدي المملوكي، دراسة تاريخية حضارية، الإسكندرية، 1993م.

5- البيومي إسماعيل الشربيني: مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية عصر سلاطين المماليك، جزآن، القاهرة، 1997م.

6- أحمد عبد الكريم سليمان: الحياة الزراعية في مصر في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1999م.

7- شلبي إبراهيم الجعيدي: الأزمات الاقتصادية والأوبئة في مصر في عصر المماليك الجراكسة، رسالة دكتوراة، آداب المنصورة، 1999م.

8- محمد فتحي الزامل: الحصار الاقتصادي على مصر أواخر العصور الوسطى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2001م، وأصلها رسالة ماجستير بكلية الآداب، جامعة القاهرة.

9- محمد فتحي الزامل: التحولات الاقتصادية في مصر أواخر العصور الوسطى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، 2008م، وأصلها رسالة دكتوراة بكلية الآداب، جامعة القاهرة.

10- مصطفى وجيه: الغذاء في مصر عصر سلاطين المماليك، دار عين، القاهرة، 2006م.

## سادساً: هيكلة البحث وتنظيمه:

**مقدمة:** تشتمل على تعريف بالموضوع، والمشكلات والصعاب التي تواجه الباحث، والمنهج المستخدم، والهدف من الدراسة، والدراسات السابقة، وما هو الجديد الذي سيقدمه الباحث.

**الفصل الأول: التطور السياسي لعصر دولة المماليك الجراكسة**، وفيه استعرض الباحث نشأة دولة المماليك من خلال عدة مباحث:

المبحث الأول: أصل المماليك.

المبحث الثاني: قيام دولة المماليك البحرية.

المبحث الثالث قيام دولة المماليك الجراكسة.

المبحث الرابع: سقوط دولة المماليك الجراكسة.

**الفصل الثاني: حركات التمرد والعصيان في عصر الجراكسة**، وقد تناول عدة مباحث هي:

المبحث الأول: تمرد الأمراء ضد السلاطين.

المبحث الثاني: عصيان المماليك ضد للسلاطين.

المبحث الثالث: عصيان الأمراء ضد الأمراء.

المبحث الرابع: عصيان المماليك لمسئولي النفقة والمرتبات.

المبحث الخامس: تمرد المماليك ضد الأمراء.

**الفصل الثالث: الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية لحركات التمرد والعصيان، وتناول** عدة مباحث هي:

المبحث الأول: الآثار السياسية.

المبحث الثاني: الآثار الاقتصادية.

المبحث الثالث: الآثار الاجتماعية.

المبحث الرابع: الآثار العلمية.

ثم أنهى الباحث أطروحته بالخاتمة التي أجمل فيها نتائج الدراسة، وثبت بالمصادر والمراجع التي اعتمد عليها خلال هذه الأطروحة.

**عرض لأهم المصادر والمراجع:**

تنوعت المصادر والمراجع التي اعتمد عليها الباحث في هذه الدراسة، ما بين كتب التراجم والتاريخ العام، والمصادر الأدبية، والجغرافية، والدراسات الحديثة، ويمكننا أن نعرض لأهم ما عولنا عليه على النحو التالي:

**أولاً: كتب التراجم والطبقات:**

يأتي في مقدمتها كتاب إنباء الهصر بأبناء العصر لابن الصيرفي (ت900هـ/1494م)، وقد أفاد الدراسة في العديد من الأحداث الخاصة بالفتن والتمردات فضلا عن تراجم الكثير من القادة والأفراد والأشخاص الذين شاركوا في حركات التمرد.

ومن كتب التراجم المهمة والتي أفادت منها الدراسة كتاب الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) لشمس الدين السخاوي (ت 902هـ/1496م) ، وقد رتبه صاحبه على حروف المعجم، وقد أفاد الدراسة في تجلية العديد من الأحداث، وإبراز دور بعض القادة في التمردات، مع تجلية حياة ومناصب كل شخص ورد ذكره في المتن ممن شاركوا في التمرد على السلاطين أو الأمراء.

كذلك أفادت الدراسة من كتاب شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (ت1089هـ/1679م) حيث نجح في تجلية العديد من تراجم الشخصيات التي وردت أسماؤهم عرضاً بالدراسة.

**ثانياً: كتب التاريخ العام:**

يعتبر كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندى (ت821هـ/1418م) معجما فريداً شرح فيه صاحبه العديد من مصطلحات ووظائف العصر المملوكي إضافة إلى إبراز لمحات عامة عن المجتمع في العصر المملوكي، وهو ما أفاد الدراسة في الوقوف على العديد من وظائف الأمراء والقادة المماليك كالزنان ومقدم العسكر والدويدار والقائد العام والاستادار وغيرها.

وتمثل كتابات العلامة المقريزي أهمية كبيرة للدراسة فهذا الرجل يعتبر بحق رائد مدرسة التاريخ المصري وأحد أبرز المؤرخين الذين عالجوا شتى أجناس الكتابة التاريخية، ولعلّ أبرز مصنفاته على الإطلاق بشأن الرسالة كتاب السلوك والذي أوقفنا على العديد من حركات التمرد التي عالجتها الدراسة، فضلا عن العديد من الأزمات والآثار الناجمة عن التمردات والعصيان كالتلاعب في العملة وإغلاق الأسواق، والتعدي على بيوت الأمراء والعلماء، وغيرها كما أن كتابه "**إغاثة الأمة بكشف الغمّة**" الذي ألفه سنة 808هـ/1405م أفاد الدراسة أيضا أيما إفادة لا سيما أنه من التآليف التاريخية المعالجة للأزمة التي ضربت مصر وقاربها بالأزمات التي مرّت بها عبر الأزمنة السابقة، لكنّه عندما أخضعها للمقاربة التاريخية وجد أنّها تختلف عن

الأزمات التي سبقتها والتي كان سببها غالبا قصور النيل وانخفاض مستوى الفيضان فيه، في حين يردّ أزمة القرن التاسع هجري/ الخامس عشر ميلادي إلى سوء تدبير الحكام في شؤون البلاد، وبذلك فإنّ الداعي إلى تأليفه لهذا الكتاب منطلقه اقتصادي بالدرجة الأولى لأجل احتواء الأزمة التي عاشتها مصر خلال هذه الحقبة من تاريخها عصر حكم المماليك بالكشف عن الحلول المقترحة. وللإشارة فإن هذه الأزمة مسّته هو أيضا وتمثلت تداعياتها في المجاعة التي ضربت البلاد وأرهقت العباد وكان من أخطر نتائجها تفشي الأوبئة والأمراض كالطاعون، ممّا أدّى بذلك إلى انخفـــاض النمو البشري في المجتمع، ولعلّ معـــاناته جـــــــراء هذا الأمر بفقـــده ابنته كانت سببـــــا في مؤلفه الهام والنــــــادر.

وبالعودة إلى المنهج الذي اعتمده المقريزي في إخراج مؤلفه، فإنّنا نلاحظ أنّه لم يقتصر على منهج واحد، وإنما مزج بين مناهج عديدة عكس ما شاع قبله، وربما يعود ذلك لطبيعة دراسته لهذه الأزمة التي اعتمد فيها تحليل الواقع ونقد الأوضاع التي استشرت في البلاد وبين العباد معتمدا على الأدلّة والبراهين من القرآن والسنة النبوية، ومن مصادر من كتب قبله، فنجده دارسا لها من منظور اقتصادي محض جمع فيه ما بين عمق الطرح والإيجــــاز مع شرح الآثار المترتبة عليه بشقيها الاقتصادي والاجتماعي، ممّا يعكس تفردا للمُؤلف في كيفية طرحه بشكل انتقائي انطلاقا من الإدلاء برأيه فيما يأخذ البلاد والعباد إلى مثل هذه المآسي مدعمًا ذلك الطرح بأدّلة عاشتها مصر خلال تلك المرحلة. ولقد شكلت عينات دراسته المرتكزة على "**المجاعة**" و"**النقود**" مبدأ السببية في علاقة الحكام بما يخصّ تفشي العملات الرديئة ويقصد بها الفلوس النحاسية التي يقول عنها أنها: "**الفلوس للمحقرات من الأشياء...** " ويعني بذلك انعدام قيمتها الحقيقية، ورغم ذلك عوّضت الذهب والفضة من جهة، وعلاقة الضرائب بحركة الانتاج وهجرة الفلاحين للأراضي الزراعية من جهة أخرى وانعكاس ذلك كلّه على الواقع الاجتماعي، كما قدّم الحلول في هذا الصدد ولعلّ أهمها الضرب بالمقدار الذهبي والفضي، حيث وضّح النتائج السلبية جراء تعويم السوق بالعملات النحاسية من خلال انتشار "**الفلوس**"، كما اعتمد على الإحصاء في إظهار آثار الأزمة الاقتصادية على مختلف فئات المجتمع كنوع من أنواع الأدوات التقنية المساعدة لفهم الظاهرة.

كما أفادنا كتابه المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار والذي اشتهر بالخطط المقريزية في تحديد العديد من الأماكن التي وقعت فيها تمردات وعصيان.

كذلك كان لكتابي ابن تغرى بردى المنهل الوافي، والنجوم الزاهرة أهمية كبيرة في إفادة الدراسة بمعلومات عن حركات الأمراء وتمردات المماليك، وعمليات السلب والنهب التي وقعت من البعض، فضلا عن تراجم بعض الشخصيات التي وردت بمتن الدراسة.

كذلك لا يمكن أن نغفل أهمية كتاب بدائع الزهور لابن إياس الحنفي والذي أوقفنا على قائمة طويلة لحركات العصيان والتمرد طيلة عصر المماليك الجراكسة، مع توصيف لكثير من الحركات التي عاصرها ووقف على حقيقة أمرها بنفسه، فكان في ذلك شأنه شأن المقريزي وابن تغرى بردى في توصيف الأحداث وإصدار الـــأحكام القاطعة بشأن ما وقع من أزمات وآثار تلت العصيان والتمرد. فضلا عن تحديد أسباب العصيان بحرفية منقطعة النظير.

### ثالثاً: المصادر الجغرافية:

وقد أفادت الدراسة من كتب الجغرافيين والرحالة لا سيما كتاب ياقوت الحموي معجم البلدان، وكتاب الروض المعطار للحميري حيث التعريف بالمدن والقرى التي كانت مسرحاً للأحداث.

**رابعاً: المصادر الأدبية:**

وتتمثل في المعاجم اللغوية والتي أفادتنا في تفسير بعض الكلمات الملغزة والشائكة ، ومن هذه المصنفات لسان العرب لابن منظر، والقاموس المحيط للفيروزآبادي ، والمصباح المنير للفيومي، وصحاح الجوهري وغيرها.

**خامساً: المراجع والدراسات الحديثة:**

ويأتي في مقدمة ذلك كتابات العلامة سعيد عاشور، وكتابات الأستاذة الدكتورة حياة الحجي، ودراستين مهمتين للدكتور محمد الزامل عن الحصار الاقتصادي، والتحولات الاقتصادية في عصر المماليك، فضلا عن العديد من الرسائل العلمية الخاص بالأزمات وبالحياة الزراعية في عصر المماليك ، والتي ذكرناها سلفاً في الدراسات السابقة.

وفى هذا المقام أجد الكلمات تتضاءل جداً، لأنها مهما عظمت تبقى غير كافية عن وصف مكنون مشاعري وغاية امتناني وخالص تقديري لمن كان له الفضل في غرس بذرة التفكير، وإعمال العقل، ورعاية وتنمية طموحي وأنا في بداية طريقي العلمي أستاذي ومعلمي المفكر والعالم الجليل الأستاذ الدكتور/ أنور عودة الخالدي الذي علمني كيف يكون العطاء، وكيف يكون البحث الجاد، فما بين إنسانيته العالية، وإرشاداته العلمية المحكمة أظل أسير فضله وتلميذ يسعى جاهداً أن يسير على دربه، إلا أنني سوف أبقى باحثاً يحبو في سفح هرمه العلمي يحدوني دائما وأبداً كل ما قدمه لي من توجيه وجهد متواصل طوال فترة البحث حتى خرج على هذا النحو.

فمنذ أن قبل الإشراف على هذا البحث، وقد تحمل الكثير من المتاعب في المراجعة الدقيقة والمتأنية لفصوله. فبفضل تشجيعه ورعايته وتوجيهه لي، وصل البحث إلى شكله الحالي بعد أن كان مجرد فكرة. فكان نعم المرشد في الدروب المعرفية بتوجيهاته السديدة، وبرحابة صدره وسعة علمه وحلمه فجزاه الله عنى خير الجزاء على ما قدم من علم وخلق وفضل.

كما أنني لا أستطيع أن أتنصل من الاعتراف بالفضل والجميل لكل من عاونني من أساتذتي وأصحابي في هـــذه الدراسة حتى وصلت إلى هذه الصورة بعد أن كانت مجرد فكرة، فلهم منى جزيل الشكر، ومن الله خير الجزاء على ما قدموه لى من نصائح وأفكار كانت عونا لي على تحمل أعباء الدراسة.

كما أتوجه بالشكر إلى العاملين في مكتبة الشيخ جابر بالكويت ومكتبة كلية الآداب بجامعة الكويت، والمكتبة المركزية بجامعة القاهرة ، ومكتبة دير الآباء الدومينيكان، والعديد من مكتبات الشبكة الدولية للمعلومات على ما قدموه لي من تسهيلات فلهم من الله خير الجزاء.

قاضيها ابن لقمان، حتى تم إطلاق سراحه، وكان من جراء هذا النصر الذي ساهم فيه مباشرة المماليك البحرية الصالحية أن أطلق عليهم ابن واصل اسم: "داوية الإسلام"[1].

ومنذ أن انتصر المماليك البحرية على جيوش لويس التاسع، أخذوا يرددون عبارة: "نحن خلصنا مصر والشام بسيوفنا من أيدي الفرنج"[2]، وقد ساعدهم على الوصول للحكم بعد هذا النصر المظفر أن توران شاه ابن نجم الدين أيوب أخذ في إبعاد رجال الدولة بالتخلص من كل من خشى منافسته تارة، وبعزل كبار الأمراء تارة أخرى[3]. ثم واصل جهالاته فهدد شجر الدر زوجة أبيه وتوعدها، واتهمها بسرقة أموال أبيه، مما دفعها أن تراسل المماليك البحرية تحرضهم على توران شاه[4]، وزاد في غيه عندما هدد المماليك أنفسهم بالقتل وهو سكران إذ كان يضرب الشموع بسيفه ويصيح: "هكذا أفعل بالبحرية"[5]. فما كان من المماليك البحرية إلا أن أقدموا على قتله قبل أن يبادرهم هو بالقتل فمات جريحا حريقا غريقا على حد تعبير ابن واصل[6].

---

(1) أنظر، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج2، تحقيق جمال الدين الشيال، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة 1377 هـ / 1957 م، ص370.

(2) ابن أيبك، كنز الدرر، ج8 (الدرة الزكية في الدولة التركية)، تحقيق هارمان، القاهرة 1971م، ص22.

(3) المقريزي، السلوك، ج1، ص358.

(4) ابن أيبك، كنز الدرر، ج8، ص382؛ المقريزي، السلوك، ج1، ص358؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج6، ص371.

(5) أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج3، تحقيق: محمد زينهم، دار المعارف، القاهرة، ص181.

(6) ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص371.

# الفصل الأول

# التطور السياسي لعصر دولة المماليك

المبحث الأول: أصل المماليك.

المبحث الثاني: قيام دولة المماليك البحرية.

المبحث الثالث: قيام دولة المماليك الجراكسة.

المبحث الرابع: سقوط دولة المماليك الجراكسة.

# الفصل الأول

# التطور السياسي لعصر دولة المماليك

## المبحث الأول: أصل المماليك:

يقصد بالمماليك الرقيق الذين أصبحوا في حيازة أو ملكية غيرهم عن طريق البيع أو المبادلة أو الأسر في الحرب أو المهاداة، أو كجزء من الضريبة المفروضة على أحد الحكام التابعين. وإلى جانب الأسر في الحروب والفتوحات كمصدر للرقيق في الإسلام، كانت أعداد أخرى ترد ضمن خراج بعض المناطق التي خضعت للمسلمين. وكان طولون والد أحمد بن طولون – مؤسس الدولة الطولونية، ضمن الهدية التي أرسلها نوح بن أسد الساماني عامل بخارى وخراسان إلى البلاط العباسي للخليفة المأمون مع من أرسلهم من المماليك الترك سنة200هـ/815م[1].

الجدير بالذكر أنه كان يتم شراء المماليك من البلاد الأوربية المسيحية ويطلق عليهم الرقيق الأبيض من سلوفانيا وألبانيا والمغول وبلاد الجراكسة وإيطاليا وألمانيا"[2]، أما الرقيق السود فكانوا يجلبون من بلاد أفريقية وكانت أهم مدينتين تبيعان الرقيق الأسود في الحبشة هما "وشلو وهدية" [3]. وقد ذكر الرحالة فريسكو بالدي الذي زار مصر عام 786 هـ/1384م، "أنه تقابل مع كبير التراجمة وهو أمير مملوكي من أصل بندقي أسلم وتزوج من سيدة فلورنسية أسلمت هي الأخرى وعاشا في مصر منذ فترة طويلة" [4]، أما كبير التراجمة الذي قابله الرحالة

---

(1) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج3، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2008م، ص1.

(2) Larrivaz , Le Saints Peregrinations de Bernard , p. 55 , Ghistele ,( J.V.) ,Voyage en Egypte ( 1842 - 1483 ), trans by , Bauwens Preaux , Bruxelles , 1975, p. 36 , Wolff, How many miles Babylon? , p. 17.

(3) العمري، شهاب الدين ابن فضل الله العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، القاهرة، 1312هـ، ص30؛ القلقشندى، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1985، ص327 –328؛ ابن إياس، بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ج3، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1404هـ/1984م، ص 347.

(4) Frescobaldi , A Visit to the Holy Places , p. 45.

بيرو طافور عام 839هـ/1435م في القاهرة واستضافه في منزله لحين مقابلة السلطان المملوكي، فكان يهوديا من قشتالة الإسبانية[1]، وأثناء رحلة فون هارف إلى القاهرة عام 1496هـ/ 902م تعرف على اثنين من المماليك أحدهما أصله من مدينة Basel، والآخر من مدينة Danzerg[2].

كان المماليك يعيشون في ثكنات عسكرية في قلعة الجبل أطلق عليها الطباق، ويتكون من أربع طبقات به العديد من الغرف لسكنى العبيد الصغار[3]، وكانت طباق المماليك بساحة الإيوان بالقلعة، وأشتمل كل طابق على عدة مساكن تتسع لألف مملوك وقد أنشأ الظاهر بيبرس طبقتين بالقلعة تطلان على رحبة الجامع كما أنشأ برج الزاوية المجاور لباب القلعة وأنشأ إلى جواره طباقا للمماليك أيضا[4] ثم اهتم به الناصر محمد بن قلاوون وعمر حارة تختص بهم وجمع فيها جميع فئات المماليك السلطانية [5]، وكان يتم تقسيم المماليك إلى فصول يضم كل فصل خمسة وعشرين مملوكا، ولكل فصل غرف نوم خاصة بهم، وكانت الأرضيات مفروشة بالحصير بدلا من السجاد للنظافة، كما اهتم السلاطين المماليك بمستوى النظافة والرعاية والتغذية الخاصة بهم[6] حتى أن السلطان المنصور قلاوون كان يخرج في أغلب أوقاته ليرى بنفسه طعام المماليك ويأمر بعرضه عليه، ويتفقد اللحم ويختبر مذاقه ومدى جودته أو رداءته، فمتى رأي فيه عيبا عاقب المشرف[7] وكان كل مملوك يقيم في طباق جنسه ولكل مجموعة من الصبية معلم خاص بهم يعلمهم اللغة العربية والشريعة الإسلامية وحفظ القرآن الكريم والتدريب على الخط العربي[8].

وعندما كان المماليك يصلون إلى سن البلوغ، كانوا يتلقون دروسا في الفروسية وركوب الخيل وفنون القتال والحرب، وبعد أن يتم المماليك فترة التدريب العسكري، يقام لهم استعراض

---

(1) بيرو طافور، رحلة بيرو طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي، ترجمة: حسن حبشي، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة 2002، ص 64.

(2) Harff ,The Pilgrimage of Arnold Von Harff ,p. 102.

(3) Harff , The Pilgrimage of Arnold Von Harff, p. 106.

(4) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج7، ص190 -191؛ ابن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق بولس راويس، باريس، 1894، ص 27.

(5) المقريزي، الخطط، ج 3، ص 346.

(6) Ghistele , Voyage en Egypte , p. 31 ,See Also, Wolff , How Many Miles to Babylon ?, p. 17.

(7) المقريزي، الخطط، ج 3، ص 346.

(8) المقريزي، الخطط، ج 3، ص 347؛ Dopp,Le Egypt,p. 17, Harff,The Pilgrimage of Arnold Von Harff,p.106.

أمام السلطان، ويقوم بنفسه بامتحان واختبار هؤلاء المماليك، فيما تعلموه ودرسوه عن فنون القتال والحرب، وعند التأكد من قدرتهم ونجاحهم في الاختبار، يحررهم من العبودية ويقدم لهم الإقطاعيات الزراعية كلاً حسب قدرته في احتفال كبير، حيث يطوف الموكب شوارع القاهرة وقد شاهد بيلوتي الكريتي Piloti de Crete احتفال التخرج في شهر أغسطس في القاهرة وقت فيضان النيل عام 823هـ/1420م، حيث كان الموكب يصل إلى ساحة القلعة الممتلئة بعدد كبير من المماليك، ويتبارزون بالرمح أمام السلطان فيجلس للاستماع والمشاهدة وحين يثبت كفاءة المملوك وقدرته القتالية يمنحه السلطان عشرين خيلا أو أكثر من ذلك وإقطاع إحدى القرى ونفقات الخيل، وكلما زاد المملوك في قدرته وشجاعته الحربية كان السلطان يزيد إقطاعه وعدد الجند والخيول[1].

كان كل مملوك يتقاضى مرتباً شهريا قدر بحوالي "6 دنانير أشرفية"[2] وأحيانا يصل المرتب إلى "10 قطع ذهبية"، بالإضافة إلى الطعام وعليق الخيول والملابس، التي سميت بالكسوة الصيفية والشتوية [3]، كما كانوا يحصلون عند اعتلاء السلطان الجديد على مبلغ يتراوح ما بين "100 – 200 عملة ذهبية"[4]، بالإضافة إلى نفقات خيوله وجنوده الذين يعدهم ويجهزهم عند الحرب فيحصل على "100 قطعة ذهبية "، وعند ميلاد ولد ذكر للسلطان يوزع على المماليك "100 قطعة ذهبية أخرى"[5].

من نافلة القول أن الخلفاء العباسيين يُعتبروا أول من استخدم المماليك من الرقيق الأبيض وبذلوا الأموال في شرائهم، واتخذوا منهم خدماً لهم وجنداً[6]، أما الجواري فكن يعملن في

---

(1) بيرو طافور، رحلة بيرو طافور، ص 66 Dopp , Le Egypte , pp.17 -18 , Larrivaz, Le Saints Peregrinations de Bernard , p. 55.

(2) فارتيما، رحلات فارتيما، ترجمة عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1994م، ص 30؛ القلقشندى، صبح الأعشى، ج 4، ص 60؛ Schefer , Le Voyage de Jean Thenaud , note (1), p. 49.

(3) Ghistele ,Voyage en Egypte , p. 34 , Harff, The Pilgrimage of Arnold Von Harff, p. 108.

(4) Schefer , Le Voyage de Jean Thenaud , p. 49.

(5) Ghistele , Voyage en Egypte, p. 34.

(6) المقريزي، النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة (ب.ت)، ص63.

القصور وكانت منهن المثقفات والمغنيات والراقصات والخادمات، وأما العبيد فكانوا حرساً خاصاً لهم يدفعون عنهم أذى أعدائهم من العرب وغير العرب، كما كانوا جنداً للدولة، وكان هارون الرشيد أول من غالى من الخلفاء العباسيين في العناية بالجواري عناية ملحوظة، ويعد الخليفة المأمون (198 – 218هـ / 813 – 833م) أول من استكثر من شراء المماليك من وسط آسيا وتغالى في شرائهم، واقتدى به الخليفة المعتصم (218 – 227هـ / 833 – 843م) الذي استخدم فرقاً من الأتراك لتدعيم سلطانه[1]، ولعل مرجع استخدامه لهذا العنصر هو قلة ثقته بالعرب الذي أسقط حقهم من ديوان الجند. ولأن أمه كانت تركية الجنس، ولذا فقد أكثر من شرائهم من أسواق النخاسة وأنشئ لهم مدينة خاصة في عام 221هـ / 836م إلى الشمال من بغداد بعد أن ضايقوا الناس هي مدينة سامراء أو سرمن رأى. ولقد نجح هؤلاء المماليك الأتراك في أن يضعفوا النفوذ العربي والفارسي، بل وينزعوا السلطة من أيدي الخلفاء أنفسهم فيما بعد. ولم يلبث أن شاع استخدام المماليك في كثير من أرجاء الدولة الإسلامية، وأدى ضعف الدولة العباسية من جهة، ورغبة حكام الولايات في الاستقلال من جهة أخرى إلى اعتمادهم على ما يشترونه من مماليك في تأليف جيوش يحققون بها مطامعهم.

ولما انتقلت السلطة إلى الدولة الأيوبية (567 – 648هـ / 1171 – 1250م) أكثروا من شراء المماليك من بين الأكراد والأتراك حتى ضاقت بهم القاهرة، لا سيما في أيام الصالح نجم الدين أيوب (637 – 647هـ / 1240 – 1249) الذي جمع من المماليك الترك ما لم يجمع غيره من أهل بيته حتى كان أكثر أمراء العسكر مماليكه[2]. فهو صاحب الفضل في تكوين فرقة جديدة من المماليك قدر لها أن تنهض بدور خطير في التاريخ، هي فرقة المماليك البحرية[3]، ويبدو أن الصالح نجم الدين أحس بفضل المماليك عليه في الوصول إلى سدت السلطنة من ناحية، كما أحس بحاجته إلى قوة من المماليك ينتمي أفرادها إليه ويرتبطون بالولاء له، بعد أن لمس غدر الطوائف الأخرى، من ناحية أخرى. وكان أن كون هذه الفرقة الجديدة من المماليك الأتراك، فاشترى من المماليك الترك ما لم يشتر أحد من المماليك مثله من قبله، حتى

---

(1) المقريزي، النزاع والتخاصم، ص64.

(2) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، تحقيق محمد مصطفى زيادة، دار الكتب المصرية، القاهرة 1934، ص339.

(3) القلقشندى، صبح الأعشى، ج1، ص367.

عاد أكثر جيشه مماليكه، وذلك لكثرة ما جرب من غدر الأكراد والخوارزمية وغيرهم من الجيوش"[1].

أما عن السبب في تسمية هذه الفرقة بالبحرية، فمن المرجح أن ذلك يرجع إلى اختيار الصالح نجم الدين أيوب جزيرة الروضة في بحر النيل سكناً لهم[2] أو لجلبهم عن طريق البحر صحبة تجار الرقيق[3]. وقد ازداد نفوذ هؤلاء المماليك ازدياداً خطيراً بعد أن نجحوا في التصدي للخطر الصليبي الذي هدد مصر بعد أن نجح لويس التاسع ملك فرنسا في الاستيلاء على دمياط بغير قتال في عام 648هـ / 1249م، وزحفوا منها إلى الجنوب في الوقت الذي مات فيه السلطان الصالح بمعسكره في المنصورة، فأرسلت زوجته شجر الدر في استدعاء ابنه توران شاه من حصن كيفا بعد أن أخفت خبر موت السلطان، إلا أن خبر وفاته تسرب إلى لويس التاسع الذي نجح في عبور بحر أشمون واندفعت قواته في اتجاه المنصورة، واقتحمتها مقدمة الجيش الصليبي بقيادة روبرت دي أرتوا أخو لويس التاسع[4]، عندئذ ظهر المماليك البحرية على مسرح الأحداث فتركوا الصليبيين يدخلون المدينة وخرجوا عليهم في الشوارع والحارات والدروب وأمعنوا في قتالهم، فوقع الاضطراب بين الصليبيين ولم يفلت من القتل إلا من ألقى بنفسه في النيل فمات غرقاً أو كان يقاتل فى أطراف المدينة[5]. وبذلك استطاع المماليك أن يحولوا انتصار الصليبيين إلى هزيمة وان يبددوا مخاوف المسلمين ويحيوا فيهم روح الأمل والمقاومة، فلم يتركوا الصليبيين يعودون إلى دمياط سالمين بعد أن قرروا الانسحاب بل طاردوهم حتى أنزلوا بهم هزيمة كبرى عند فارسكور، ووقع الجيش الصليبي بأكمله تقريباً أسرى وقتلى، وكان من جملة الأسرى لويس التاسع نفسه الذي سيق مكبلاً بالأغلال إلى المنصورة حيث نزل في دار

---

(1) ابن أيبك، كنز الدرر وجامع الغرر، ج7 (الدر المطلوب في أخبار بني أيوب)، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1402هـ/1982م، ص370.

(2) سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة 1993م، ص177.

(3) Joinville , History of Saint Louis. translated by joan Evans, Gregynog Press, 1937, ، p.84؛ القلقشندى، صبح الأعشى، ج4، ص469؛ رضا نوريا، تاريخ الترك، ج9، ط1، القاهرة 1926م، ص191.

(4) المقريزي، السلوك، ج1، ص349؛ وانظر، أحمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص105-106.

(5) المقريزي، السلوك، ج1، ق2، ص357.

قاضيها ابن لقمان، حتى تم إطلاق سراحه، وكان من جراء هذا النصر الذي ساهم فيه مباشـــرة المماليك البحرية الصالحية أن أطلق عليهم ابن واصل اسم: "داوية الإسلام"[1].

ومنذ أن انتصر المماليك البحرية على جيوش لويس التاسع، أخذوا يرددون عبارة: "نحـــن خلصنا مصر والشام بسيوفنا من أيدي الفرنج"[2]، وقد ساعدهم على الوصول للحكم بعـــد هـــذا النصر المظفر أن توران شاه ابن نجم الدين أيوب أخذ في إبعاد رجال الدولة بالتخلص من كـــل من خشى منافسته تارة، وبعزل كبار الأمراء تارة أخرى[3]. ثم واصل جهالاته فهدد شجر الـــدر زوجة أبيه وتوعدها، واتهمها بسرقة أموال أبيه، مما دفعها أن تراسل المماليك البحرية تحرضهم على توران شاه[4]، وزاد في غيه عندما هدد المماليك أنفسهم بالقتل وهو سكران إذ كان يضرب الشموع بسيفه ويصيح: "هكذا أفعل بالبحرية"[5]. فما كان من المماليك البحرية إلا أن أقدموا على قتله قبل أن يبادرهم هو بالقتل فمات جريحا حريقا غريقا على حد تعبير ابن واصل[6].

---

(1) أنظر، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج2، تحقيق جمال الدين الشيال، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة 1377 هـ / 1957 م، ص370.

(2) ابن أيبك، كنز الدرر، ج8 (الدرة الزكية في الدولة التركية)، تحقيق هارمان، القاهرة 1971م، ص22.

(3) المقريزي، السلوك، ج1، ص358.

(4) ابن أيبك، كنز الدرر، ج8، ص382؛ المقريزي، السلوك، ج1، ص358؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج6، ص371.

(5) أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج3، تحقيق: محمد زينهم، دار المعارف، القاهرة، ص181.

(6) ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص371.

## المبحث الثاني: قيام دولة المماليك البحرية:

انتهت الدولة الأيوبية بمقتل توران شاه، وبدأت الدولة المملوكية مرحلتها الأولى المعروفة تاريخيا بعصر المماليك البحرية، وكانت شجر الدر أول من ملك مصر من ملوك الترك المماليك على حد تعبير المقريزي[1]، ولما اعترض كبراء الدولة على ولايتها اتفقوا على إقامة عز الـدين أيبك الجاشنكير الصالحي في سنة 648هـ/1250م[2]، والذي واجه العديد من المشكلات الداخلية والخارجية. كان أخطرها تربص زوجته شجر الدر به وسيطرتها عليه حتى لم يعد له معها كلام[3]، وانتهى أمره بالقتل على يدها، وقتلت شجر الدر بعد ذلك على يد مماليك عز الدين أيبك[4].

استقر رأى أمراء المماليك على ابن السلطان المقتول أيبك وأعلنوه سطاناً، وأقاموا الأمير قطز أتابكاً له ونائباً للسلطنة. فصار مدبر الدولة[5]، وعندما جاءت أخبار تهديد التتار لبلاد الشام انتهز قطز هذه الفرصة، وقبض على المنصور على بن أيبك، وأخيه وأمهما، وأعلن نفسه سلطاناً كي يستطيع أن يواجه العدو[6]، وعقب انتصار قطز وأمراء المماليك والمصريين على التتار في موقعة عين جالوت 658هـ/1260م، وفى طريق عودته للديار المصرية يتعرض للقتل على يد قطز، ويحل قطز محله على كرسي الحكم[7]، ليصبح المؤسس الحقيقي لدولة المماليك البحرية، ويلعب دورا خطيراً في تاريخ دولة المماليك الأولى[8]، حيث نجح في إحياء الخلافة العباسية في مصر، لتصبح مصر قبلة للجميع، وتم ذلك في حفل مهيب، ونجح بيبرس في مسعاه بإضفاء الشرعية على سلطنته وسلطنة المماليك من بعده[9]، كما حارب الصليبيين والتتار وأوقع بهم الهزائم المتلاحقة[10]، ونجح في القضاء على العناصر الأيوبية المناوئة له[11]،

---

(1) المقريزي، السلوك، ج1، ص361.

(2) أبو الفدا، المختصر فى أخبار البشر، ج3، ص221؛ ابن ايبك، كنز الدرر، ج8، ص13.

(3) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج6، ص374.

(4) المقريزي، السلوك، ج1، ص403-404.

(5) المقريزي، السلوك، ج1، ص405.

(6) أبو الفدا، المختصر، ج3، ص238-239؛ المقريزي، السلوك، ج1، ص417.

(7) أبو الفدا، المختصر، ج3، ص247.

(8) سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص201 وما بعدها.

(9) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض، 1976م، ص100.

(10) سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص211 -216.

(11) ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص414.

وسعى لتأمين نفسه ضد المغول والصليبيين فتحالف مع إمبراطــور بيزنطــة، وملــك صــقلية ونابلي[1].

توفى بيبرس فى العام 1277م وتولى سلطنة المماليك من بعده ابنه السعيد بركــة خــان، لكنه لم يحسن إدارة الدولة إذ كان شاباً مستهترا، أساء معاملة أمراء المماليك[2] فخله كبار رجال الدولة ومنهم المنصور قلاوون، والأميران سنجر الحلبي، وسنقر الأشقر، ووسد أمر الحكم للابن الثاني لبيبرس وهو الأمير سلامش والذي كان في السابعة من عمره، فعين المنصــور قــلاوون أتابكاً له كما عين الأمير عز الدين الأفرم نائباً للسلطنة[3].

لم يحكم سلامش سوى مائتي يوم، استطاع المنصور قلاوون خلالها أن يعمل على تدعيم مركزه، لينتهي الأمر بعزل سلامش وتولية قلاوون السلطنة[4]، والذي يعد أعظم شخصية مملوكية حكمت مصر بعد بيبرس، فإليه يعزي الفضل في صد الهجمة الثانية للمغول علي المشرق الإسلامي، فقد خرج لملاقاتهم في حلب التي دخلوها عام 1280م/ 679هــ و دمروا ما حولها من بساتين وقتلوا الكثير من أهلها، وعندما سمعوا بخروج قلاوون لهم فروا راجعين إلي بلادهم. ولكنه التقي بهم في حمص سنة 1282م/ 681هــ وهزمهم هزيمة منكرة. كما طرد الصليبيين من أقوي معاقلهم في الشام فقد استولي على اللاذقية عام 1287م ثم طرابلس عام 1289م/ 688هــ[5].

استمر حكم المنصور قلاوون حتى وافته المنية وهو في السبعين من عمره في 6 ذي القعدة عام 689 هــ في 10 نوفمبر 1290م، ودفن في منطقة بين القصرين بالقاهرة[6]، وترك

---

(1) العبادى، قيام دولة المماليك، ص202- 203.

(2) محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون فى مصر، دار الفكر العربي، القاهرة 1974، ص19-20.

(3) العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج2، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1412هــ/1992م، ص222؛ جمال الدين الشيال، تاريخ مصر الإسلامية، ج2، دار المعارف، القاهرة، ص162.

(4) أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج4، ص20؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق2، ص658؛ جمال الدين الشيال، تاريخ مصر الإسلامية، ص163-162.

(5) ابن حبيب، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، ج1، تحقيق محمد محمد أمين، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1976م، ص122؛ العينى، عقد الجمان، ج2، ص380؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق 3، ص747؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج7، ص321.

(6) ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج1، ص135؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق 3، ص754-755؛ ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات والذيل عليها، ج2، تحقيق إحسن عباس، دار صادر بيروت، 1974م، ص270؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج7، ص325؛ ابن إياس، بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ج1 ق 1، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1404هــ/1984م، ص361؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات الموسوم بـــ"تاريخ الدول والملوك"، ج8، تحقيق قسطنطين زريق، نجلاء عز الدين، بيروت، 1939م، ص97.

ثلاثة أبناء اختار منهم الأشرف خليل ليخلفه في الحكم، ونجح فى القضاء على المشروع الصليبي بفتحه عكا في العام 1291م[1].

دامت أسرة قلاوون في الحكم مدة تربو على قرن من الزمان (678هـ–784هـ/1279هـ– 1382م) إلى أن انتهى عصر المماليك البحرية، إذ بعد اغتيال السلطان حسن بن الناصر محمد بن قلاوون خنقا على يد يلبغا[2] يتولي من بعده ابن شقيقه الملك المنصور محمد بن السلطان المظفر حاجى بن محمد بن قلاوون، واستمر في الحكم حوالي سنتين حتى خلعه المماليك وبايعوا الأشرف شعبان بن حسن بن الناصر محمد للحكم عام 764 هـ الذي مكث في الحكم علي الرغم من الفتن والمؤامرات حتى قتله المماليك خنقا وكسروا ظهره عام 778هـ/1376م[3].

خلف الأشرف شعبان ابنه المنصور علي، وكان له من العمر سبع سنوات، فسيطر عليه الأمير برقوق الذي كان أتابكاً للعسكر، ومكث الأشرف شعبان في الحكم حوالي خمس سنوات ومات بالطاعون عام 1381م/783هـ[4]. فخلفه شقيقه السلطان الصالح صلاح الدين حاجى وكان طفلاً صغيراً في الحادية عشرة من عمره فخلعه المماليك وبايعوا برقوقاً[5]، وهو أول المماليك البرجية ومؤسس الدولة المملوكية الثانية.

(1) أبو الفدا، المختصر، ج4، ص34،35؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج1، ص137؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج8، ص6–7.

(2) ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ص211.

(3) المقريزي، السلوك، ج3 ق1، ص281؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ص123– 228؛ وليم موير، تاريخ دولة المماليك في مصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص114.

(4) ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ص239– 242– 255.

(5) ابن حجر، إنباء الغمر بأبناء العمر، ج2، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 1432هـ/2011م، ص45؛ الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ أهل الزمان، ج1، تحقيق حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994م، ص35؛ وليم موير، تاريخ دولة المماليك في مصر، ص120.

## المبحث الثالث: قيام دولة المماليك الجراكسة:

ترجع نشأة فرقة المماليك الجراكسة إلى المنصور قلاوون الذي أراد أن يعتمد عليها ضد منافسيه، وتكون سندا له ولأولاده، وهو ما عبر عنه بقوله: "كل الملوك عملوا شيئاً يذكرون به ما بين مال وعقار، وأنا عمرت أسواراً وعملت حصوناً مانعة لي ولأولادي المسلمين، وهم المماليك"[1]، وقد حرص المنصور أن تكون فرقته من الجراكسة الذين ينتمون إلى بلاد الكرج (جورجيا)، وذلك لرغبته في الاعتماد عليهم في توريث أسرته الحكم، لا سيما وأن المماليك التركمانية كانوا يتعصبون للأسرة البيبرسية[2]، وبالفعل نسمع عن أول دور سياسي للجراكسة في ولاية الناصر محمد الثانية، حيث تنازع الوصاية عليه اثنان فكان الجراكسة في صف بيبرس الجاشنكير باعتباره أحد أفراد الجراكسة ضد سلار[3]، بحيث لما تسلطن الجاشنكير بعد رحيل الناصر إلى الشام، ظهر نفوذ الجراكسة السياسي على التركمانية، ولما عاد الناصر في ولايته الثالثة لم نسمع لهم عن دور في عهده. إلى أن برز دورهم في أواخر أيام المماليك البحرية أو التركمانية، وولوا السلطنة واحداً منهم هو برقوق، وبذلك أصبحت السيادة لهم[4].

### السلطان الظاهر برقوق (784 – 802هـ / 1382 – 1399م):

يعتبر مؤرخو الإسلام وغيرهم في العصور الوسطى أن سلطنة الظاهر برقوق، هي بداية مرحلة جديدة، أو دولة جديدة، في تاريخ دولة سلاطين المماليك فى مصر باعتبار أن برقوقاً، ومن خلفه من السلاطين إلى نهاية دولتهم، لم يكونوا من فئة المماليك التركمانية،وإن استمرت الدولة المملوكية تسمى رسمياً بدولة الترك[5].

---

(1) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج2، المطبعة الأميرية، بولاق 1207هـ، ص213.

(2) عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1988م، ص98؛ سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص260–261.

(3) المقريزي، السلوك، ج1، ص875؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج8، ص222؛ عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك، ص98؛ سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص263؛ محمد عبد الغنى الأشقر، سلار الأمير التتري المسلم نائب السلطنة المملوكية في مصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2000م، ص22–23.

(4) عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك، ص99.

(5) عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك، ص96.

كان برقوق جركسي الجنس قدم إلى مصر بصحبة بعض تجار الرقيق فاشتراه الأمير يلبغا الخاصكي وأعتقه وجعله من جملة مماليكه وسمى برقوق لجحوظ عينيه[1]، ثم تدرج في الوظائف حتى تولى منصب أتابك العسكر، واستطاع من خلال تلك الوظيفة أن يخطط للقضاء على بيت قلاوون حتى نجح في ذلك لكن الطريق لم يكن أمامه مفروشاً بالورود فقد واجه العديد من الفتن والمؤامرات والثورات التي أثارها أمراء البحرية والتي كادت تفسد عليه مخططه، إذ ثار أحد الأمراء الجراكسة – هو إينال اليوسفي ضد برقوق وبركة، ولكن برقوق تمكن من إخماد الثورة واستطاع القبض على اينال وسجنه. كذلك أخذ برقوق يطارد أمراء البحرية من الترك ويتتبعهم بالقتل والنفي والسجن حتى قضى على دولة المماليك البحرية. كما استطاع صد التركمان وطردهم من حلب الأمر الذي أظهره في صورة الرجل القادر على الدفاع عن الدولة وحمايتها وتوفير الأمن لأهلها.

ما لبث أن دبر أمراء البحرية من الترك مؤامرة لاغتيال برقوق بزعامة ايتمش الخاصكى، وبطا الأشرفي، ولكنه اكتشف المؤامرة قبل الشروع في تنفيذها، فقام بالقبض على زعماء المؤامرة ونفيهم.

تحيز برقوق بعد ذلك للمماليك الجراكسة وأخذ يخصهم بالوظائف الكبرى والإقطاعات على حساب المماليك الترك، مما أدى إلى نشوب كثيراً من الثورات منها ثورة ألطنبغا السلطانى الأشرفي نائب أبلستين عام 784هـ / 1382م وهو أمير تركى قال "لا أكون فى دولة حاكمها تركي" مما يشهد على مدى العداوة بين الترك والجراكسة في ذلك الدور. ولكن تلك الثورة باءت بالفشل وفرار الطنبغا السلطانى إلى بلاد التتار لعدم حصوله على ما كان يطمع فيه من تأييد نواب الشام، ولم يكد برقوق يستريح من ثورة الطنبغا حتى فوجئ بأن الخليفة العباسي المتوكل يطمع في السلطنة، وأن أمراء الترك في القاهرة دبروا مؤامرة لقتل برقوق وإعلان المتوكل سلطاناً، وقد اكتشف برقوق المؤامرة قبل الشروع في تنفيذها، فعزل الخليفة المتوكل وأحل محله الخليفة الواثق[2].

قام بعد ذلك تحالف بين صفوف الترك – من أشرفية ويلبغاوية فى صورة ثورة كبرى اندلعت نارها عام 790هـ / 1388م وتزعمها منطاش نائب ملطية – وهو زعيم الأشرفية – ويلبغا الناصري نائب حلب – وهو زعيم اليلبغاوية، وقد ساء موقف برقوق، وأخذ يتخبط في

(1) ابن الوكيل، تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، تحقيق محمد الشناوي، دار الآفاق العربية، ط1، 1419هـ/1999م، ص65.

(2) المقريزي، السلوك، ج3، ق2، ص493؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج2، ص128.

تصرفاته، وأخيراً لم يجد مخرجاً أمامه فانفجر باكياً وسط جنوده وأسرع بالاختفاء في منزل خياط، في الوقت الذي دخلت جنود يلبغا الناصري القاهرة وسيطرت على القلعة[1].

وقد تم عزل برقوق ونفيه إلى الكرك فى عام 791هـ / 1388م وأعيد إلى السلطنة زين الدين حاجى الذى لقب فى سلطنته الثانية بالمنصور بدلاً من الصالح وأنعم بأتابكية العسكر على يلبغا الناصري[2]، ولم تلبث الأيام أن أظهرت فساد حكم يلبغا الناصري الذي أساء السيرة وأعاد المكوس التي ألغاها برقوق، مما دفع بالعامة إلى القول "راح برقوق وغزلانه وجاء الناصر وتيرانه".

انتهز برقوق فرصة الصراع الذي قام بين يلبغا ومنطاش واستطاع الخروج في العام التالي من منفاه ودخل القاهرة في عام 792هـ / 1389م فى سبعة آلاف مملوك، واستقبل استقبالاً شعبياً بالغاً واسترد السلطنة بعد أن بايعه الخليفة العباسي. أما المنصور حاجى فقد تم عزله وقيل أنه مات مسموماً على يد بعض جواريه بالقلعة.

## سلطنة الظاهر برقوق الثانية (793 – 802هـ / 1390 – 1399م):

حرص برقوق في سلطنته الثانية على تثبيت دعائم حكمه عن طريق القضاء على معظم المماليك من الترك والتخلص من خصومه وعلى رأسهم يلبغا الناصري ومنطاش، كما تصدى لثورات العربان من الفلاحين والبدو، واضطر إزاء زحف تيمورلنك على كل من فارس والعراق إلى التحالف مع السلطان العثماني بايزيد، وقرايوسف التركماني زعيم قبيلة الشاه السوداء، واستقبل أحمد بن أويس بعد أن نهبت قوات تيمورلنك عاصمته في بغداد عام 795هـ / 1392م، وكتب له تقليداً بنيابة السلطنة في بغداد وزوده بالمال والعتاد والمماليك والأمراء وبعث به إلى بغداد حيث تمكن بفضل تلك المعونة من استرداد ملكه والتغلب على الحامية التي تركها تيمورلنك في بغداد [3].

على أن الحروب والفتن لم تشغل برقوق عن القيام بالعديد من المشروعات الهامة من أهمها إقامة جسر على النيل بين جزيرة أروى (الزمالك) وجزيرة الروضة من طرفها الشمالي تحت إشراف الأمير جهاركسي الخليلي صاحب الخان المشهور بالقاهرة، كما أصلح سور مدينة

---

(1) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج11، ص/275-289.

(2) ابن صصري، الدرة المضية في الدولة الظاهرية، تحقيق وليم برينر، كاليفورنيا، 1963م، ص19؛ الإسحاقي المنوفي، أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1998م، ص139.

(3) الصيرفي، نزهة النفوس، ج1، 365؛ وليم موير، تاريخ دولة المماليك فى مصر، ص126-127.

دمنهور ليقيها من هجمات البدو وعمر زاوية البرزخ بدمياط، وجدد القناة التي تحمل ماء النيـل إلى قلعة الجبل كما شيد مدرسة وخانقاه بشارع المعز رتب لها صوفية وجعل بها سـبعة دروس وأجرى على جميع مدرسيها وطلابها في كل يوم الخبز وللحم، ومخصصات شهرية من الحلوى والزيت والصابون ووقف على ذلك الأوقاف الجليلة[1].

## أولاد الظاهر برقوق:

مات برقوق في عام 801هـ / 1399م بعد أن عهد بالسلطنة إلى ابنه فرج وكـان فـي الثالثة عشرة من عمره[2] فوقع على عاتقه مواجهة خطر تيمورلنـك الـذي واصـل غزواتـه ووصلت قواته إلى أطراف الشام' ثم قامت بنهب حلب ودمشق، وأنزلت الهزيمة بالمماليك، ممـا اضطر السلطان فرج أن يرضى بصلح مهين مـع تيمورلنـك وذلـك فـي عـام 804هـ / 1401م[3].

أما عن أحوال دولة المماليك في عهد السلطان فرج، فقد انتهز كبار الأمراء فرصة قيـام فرج بن برقوق في منصب السلطنة وسنه ثالثة عشرة عاماً، وبـدأت المنافسـات والمنازعـات بينهم، الأمر الذي جعل فرج يزهد في السلطنة وهرب من القلعة، واختفى في أحد البيوت، فبايع الأمراء أخاه عبد العزيز بالسلطنة وتلقب بالمنصور. لكن الصراع بين أمراء المماليـك سـاعد فرج على العودة ثانية إلى منصب السلطنة بعد اختفائه لمدة شهرين وخمسة أيام[4]، واستمر فـي الحكم نحواً من سبع سنوات اتصفت بالاضطراب والفوضى وسوء تدبير الحكم، ذلـك أن فـرج عرف بالقسوة والوحشية فبدأ حكمه بقتل أخويه' ومن ثم رأينا ابن حجر يصـفه بقولـه: "كـان الناصر هذا أعظم الناس خذلانا لدين الإسلام وأشأمهم طلعة على المسلمين"[5]، وقد وقعت فـي عهد السلطان فرج محنة في العام 808هـ ذكرها المقريزي بقوله: "ونحن الآن في أوائل سـنة ثمان وثمانمائة (808هـ) والأمر فيها من اختلاف النقود وقلة ما يحتاج إليـه وسـوء التـدبير وفساد الرأى فى غاية لا مرمى وراءها من عظيم البلاء وشنيع الأمر"[6].

---

(1) ابن الوكيل، تحفة الأحباب، ص 65؛ الإسحاقي المنوفي، أخبار الأول، ص139.

(2) السخاوي، الضوء اللامع لأعيان أهل القرن التاسع، ج1، دار الجيل، بيروت، 1992م، ص32.

(3) ابن حجر، إنباء الغمر، ج4، ص134 وما بعدها.

(4) وليم موير، تاريخ دولة المماليك، ص 135–136؛ عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك، ص101.

(5) ابن حجر، إنباء الغمر، ج2، ص511.

(6) المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، مكتبة الآداب، القاهرة (ب.ت)، ص38.

ويؤخذ على فرج ميله إلى المماليك الروم بسبب أمه خوند شيرين التي كانت واحدة منهم، الأمر الذي جلب عليه حقد المماليك الجراكسة وحاولوا قتله، مما دفعه إلى العمل على استئصال شأفتهم حتى قيل أنه قتل منهم مائة جركس في يوم واحد، ثم عاد وقتل نحواً من سبعمائة جركسياً في عام 814هـ / 1411م ما بين أمير وخاصكي على حد قول ابن حجر[1]، لذلك لم يكن عجيباً أن يلقى حتفه على يد واحد منهم في عام 815هـ / 1412م بالقرب من دمشق ودفن بها.

أما عن منشآت السلطان فرج، فقد عمر الجامع بالحوش السلطاني والمدرسة تجاه باب زويلة المعروفة بالدهيشة، ويعتبر السلطان فرج أول من فكر في تشييد أبنية تجارية في القرافة تكون بالقرب من ضريح أبيه واشتملت هذه الأبنية على الأسواق، وقد فكر السلطان في تغيير سوق الجمال والحمير هناك وإقامة مخبز وطاحون وحمام قبل قتله، ولكن بقتله أعيدت إلى حالتها الأولى في المقابر[2]. كما أسس الخانقاة المعروفة باسمه، ونفذ بذلك وصية أبيه برقوق، وانتهى منها سنة 813هت/1411م[3].

وبعد مقتل فرج بن برقوق تم اختيار الخليفة المستعين بالله أبو الفضل العباس سلطاناً عام 815هـ / 1412م[4]، ولم يكن هذا الاختيار إلا إجراءً شكلياً حتى يستقر الموقف بين كبار الأمراء، وقد تمكن أتابك العسكر شيخ المحمودي من عزله بعد أقل من ستة أشهر وأعلن نفسه سلطاناً على البلاد بعد أن تلقب بالمؤيد' وسك العملة باسمه[5].

**السلطان المؤيد شيخ المحمودي (815 – 825هـ / 1412 – 1421م):**

تميز عهد المؤيد بالهدوء النسبي، باستثناء بعض الفتن والثورات الداخلية في الإسكندرية وبلاد الشام ومن قبل بعض الإمارات التركمانية الواقعة على الأطراف الشمالية لدولة المماليك، وقد نجح المؤيد في التصدي لها والقضاء عليها.

---

(1) ابن حجر، إنباء الغمر، ج2، ص489– 490.

(2) عبد الرحمن زكى، بناة القاهرة في ألف عام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م، ص88.

(3) أحمد عبد الرازق، تاريخ وآثار مصر الإسلامية في العصرين الأيوبي والمملوكي، دار الحريري للطباعة، القاهرة، 2007م، ص221 وما بعدها.

(4) ابن حجر، إنباء الغمر، ج3، ص446؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج13، ص207؛ ابن الوكيل، تحفة الأحباب، ص66.

(5) العيني، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي، تحقيق فهيم محمد شلتوت، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2003م، ص259؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج3، ص446؛ وليم موير، تاريخ دولة المماليك، ص140.

وقد شهد عصر المؤيد شيخ بعض الأزمات الاقتصادية بسبب نقص فيضان النيل مما أدى إلى ارتفاع الأسعار وانتشار الطواعين كما حدث في سنتي 819هـ / 1416م،، حيث تعرض الناس لأهوال شديدة حتى بلغت الأموات كل يوم أربعمائة وأكثر، مع وقوع الغلاء المفرط[1]. وقد لبس السلطان لباس الدراويش، وخرج يتبعه الخليفة والقضاة وأمامهم الشيوخ وهم رافعون المصاحف، واليهود والنصارى يحملون التوراة والإنجيل إلى ضريح برقوق ثم سجد على التراب وسجد الناس معه، وبعد هذا وزع الطعام الكثير على الفقراء[2].

شهد حكم المؤيد شيخ إقامة العديد من المنشآت المعمارية أهمها جامعه بجوار باب زويلة الذي أقيم فوق السجن المعروف بخزانة شمائل الذي سجن فيه المؤيد وقت أن كان أميراً وقاس فيه شدائد مهولة، ومصلى بالقلعة والبيمارستان بدرب اللبان بالقلعة أيضاً وحمام بشارع أحمد ماهر، كما جدد عمارة جامع المقياس ، وبنى مدرسته التي وصفها البعض بأنها من أحسن وأبهى مدارس السلاطين بمصر[3].

وقد توفى السلطان المؤيد شيخ في عام 824هـ / 1421م، فخلفه ابنه المظفر أحمد الذي لم يكن قد تجاوز الثانية من عمره، ولذلك وضع تحت وصاية الأمير ططر، الذي لم يلبث أن انتزع السلطنة لنفسه وتلقب بالملك الظاهر[4]، ولكنه لم يمكث فيها سوى ثلاثة أشهر وبضعة أيام، ثم خلفه محمد بن ططر الذي مكث في السلطنة بضعة أشهر تحت وصاية الأمير برسباي الذي انتزع السلطنة لنفسه في عام 825هـ / 1421م، ومات محمد بن ططر بالطاعون في نفس العام[5].

---

(1) العيني، السيف المهند، ص345.

(2) وليم موير، تاريخ دولة المماليك، ص143.

(3) الإسحاقي المنوفي، أخبار الأول، ص139.

(4) وليم موير، تاريخ دولة المماليك، ص145-146.

(5) الصيرفي، نزهة النفوس، ج3، ص5؛ الإسحاقي المنوفي، أخبار الأول، ص140.

## السلطان الأشرف برسباى (826-842هـ / 1422-1438م):

حكم السلطان الأشرف برسباي ما يزيد عن ستة عشر عاماً، امتازت بالاستقرار وقلة الاضطرابات على الرغم مما قاساه الناس فى ذلك العهد بسبب سوء الأحوال الاقتصادية وسياسة برسباي الاحتكارية، إلا أن ذلك العهد اتصف بالاستقرار وقلة الاضطرابات، مما مكن برسباي من القيام بعمل حربي ضخم هو غزو جزيرة قبرس وإدخالها في نطاق التبعية لسلطنة المماليك في مصر سنة 829هـ[1].

وقد حاول سلاطين المماليك غزو قبرس أكثر من مرة لإحساسهم بخطرها ورغبتهم في دفع ذلك. وقد حاول السلطان الظاهر بيبرس غزو قبرس في عام 668هـ / 1270م ولكن محاولته باءت بالفشل[2]. كذلك حاول يلبغا الخاصكى أن ينتقم مما حل بالإسكندرية عام 767 هـ / 1365م على يد بطرس الأول لوزجنان[3]، كما قامت دولة المماليك في عهد السلطان شعبان 765-779 هـ/ 1363 - 1377م ببعض إغارات على جزيرة قبرس ولكنها لم تتخذ شكل غزو شامل للجزيرة[4].

وقد حرص ملوك قبرس على طعن دولة المماليك في أعظم موارد ثروتها وغناها، فاعتدوا على السفن والمتاجر المملوكية في عرض البحر، كما منعوا السفن الأوروبية من

---

(1) الإسحاقي المنوفي، أخبار الأول، ص140.

(2) سعيد عاشور، قبرص والحروب الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002م، ص47 وما بعدها.

(3) النويري الإسكندرانى، الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في واقعة الإسكندرية، تحقيق عزيز سوريال، ج2، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ص92 وما بعدها؛ المقريزي، السلوك، ج3، تحقيق سعيد عاشور، ص105-107؛ سعيد عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص68-69.

(4) سعيد عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص87 وما بعدها.

الوصول إلى الشواطئ المصرية لابتياع التوابل[1]. لذلك فكر السلطان برسباي في القيام بعمـل حاسم ضد قبرس، بعد أن تكرر إغاراتها في أوائل حكمه من جانب قراصنتها على الإسـكندرية والتجار المسلمين، "فشق ذلك على الملك الأشرف إلى الغاية"[2].

وقد أرسل السلطان برسباي ثلاث حملات لغزو قبرس الأولى عام 827هـ / 1424م، والثانية عام 828هـ / 1425م والثالثة عام 829هـ / 1426م. وكانت الحملة الأولى صغيرة لا تعدو أن تكون مجرد حملة استطلاعية للتعرف على أمر أولئك النفر الذين يقومون بالقرصنة في البحر، وقد وسمها العيني بالغزوة الصغرى[3]، ونجح رجالها في مهاجمة ثغر ليماسول بجزيرة قبرس، وإشعال النار في بعض أحيائها، ثم العودة سالمين إلى مصر[4]. أما الحملة الثانية فقد أنزل المسلمون الهزيمة بالقوات القبرسية في منطقة الملاحة، واستطاعوا الاستيلاء على حصن ليماسول[5]، ثم راجعوا إلى مصر، بعد أن سمعوا بالاستعدادات التي يقوم بها جانوس ملك قبرس[6]. لذلك بادر السلطان برسباي بإعداد حملة ثالثة كبرى تحقق له إخضاع قبرس وملوكها وخرجت الحملة قاصدة قبرس، ووصلت ميناء ليماسول، فبدأ المسلمون بمهاجمته والاستيلاء عليه[7].

وفى تلك الأثناء كان الملك جانوس قد جمع جيوشه، واستعد لمنازلة المسلمين، فدارت الموقعة الفاصلة بين الطرفين عند خيروكيتا – إلى الشمال الشرقي من ليماسول. وفيها حلت

---

(1) سعيد عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص84 -85.

(2) المقريزي، السلوك، ج4، ص352؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج14، ص249.

(3) العيني، عقد الجمان، ج5، ص572.

(4) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، ص138؛ المقريزي، السلوك، ج4، تحقيق سعيد عاشور، ص362.

(5) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص141؛ سعيد عاشور، قبرص، ص100 وما بعدها.

(6) سعيد عاشور، قبرص والحروب والصليبية، ص104-105.

(7) المقريزي، السلوك، ج4، تحقيق سعيد عاشور، ص374.

هزيمة ساحقة بالقبارسة، ووقع جانوس نفسه أسيراً في قبضة المماليك، وهو يصيح أنا الملـك[1]. أما المسلمون فقد زحفوا بعد ذلك على نيقوسيا عاصمة قبرس، فاقتحموها وصلوا الجمعة فى كنيستها، ثم غادروها بعد أن أشعلوا النار فى أرجاء المدينة [2].

هكذا استطاع السلطان برسباي إنزال الهزيمة بجانوس ملك قبرس، وعادت الحملة إلى القاهرة، ومع المسلمين مئات الأسرى، من جملتهم جانوس ملك قبرس نفسه حيث زفوا في شوارع القاهرة فى موكب حافل ثم أطلق سراحه مقابل فدية مقدارها مائتا ألف دينار على أن يصبح تابعاً للدولة المملوكية [3]، واستمر كذلك حتى سقوط سلطنة المماليك عام 923هـ / 1517م.

تميز عهد السلطان برسباى ببعض الإجراءات الاقتصادية بهدف زيادة عائدات الدولة المملوكية الأمر الذي ساعده على جباية مقادير طائلة من الأموال، وعمد كذلك إلى احتكار بعض السلع الهامة لنفسه مثل السكر واللحم والبهار وخشب الوقود لدرجة أن بيع الماشية لم يعد مباحاً مما عرض التجار والناس للكثير من الشدائد والمتاعب[4]، كما منع أهل الذمة من العمل في وظائف الدولة وهو يعلم أنهم سيسعون للعودة إلى وظائفهم عن طريق بذل الأموال التي كان من شأنها أيضاً زيادة موارد الدولة.

ومع هذا فيحسب للأشرف برسباي إبطاله عادة السجود في حضرة السلطان وتقبيل الأرض بين يده مكتفياً بتقبيل يده أو الانحناء أمامه. كما يحسب له الهدوء النسبي الذي شهدته البلاد في أيامه، والعديد من المنشآت المعمارية التي أقامها وبقى منها، المدرسة الأشرفية بشارع المعز التي وافق الفراغ منها وصول جانوس ملك قبرص أسيراً إلى القاهرة فأمر السلطان بتعليق خوذته على باب المدرسة دليلاً على تبعية قبرص للسلطنة المملوكية والخانقاه والمدفن بالقرافة الشرقية والمسجد الذي أقامه بسرياقوس شمالي القاهرة. كذلك فقد أحصى السلطان

---

(1) ابن حجر، إنباء الغمر، ج3، ص368.

(2) وليم موير، تاريخ دولة المماليك، ص147.

(3) ابن حجر، إنباء الغمر، ج3، ص370؛ وليم موير، تاريخ دولة المماليك، ص147-148.

(4) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج3، ص239؛ قاسم عبده، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1983م، ص145.

برسباى قرى مصر في سنة 837هـ فكانت ألفين ومائة وسبعين قرية بعد أن كان عـددها فـي القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي عشرة آلاف قرية [1].

## السلطان الظاهر جقمق (842-857هـ / 1438-1453م):

بعد وفاة السلطان برسباي غير مأسوف عليه فى عام 841هـ / 1437م، خلفـه فـي السلطنة ابنه العزيز يوسف[2]، وكان في الرابعة عشرة من عمره ولذلك وضع تحـت وصـاية الأمير جقمق، الذي جمع مقاليد الأمور في يده، ثم ما لبث أن عزله ووضعه في السجن وتسلطن مكانه في عام 842هـ / 1438م وتلقب بالظاهر[3].

مكث جقمق فى السلطنة أربع عشرة سنة وعشرة أشهر واجه خلالهـا بعـض الثـورات الداخلية كثورة قرقماش الشعباني أتابك العسكر الذي قبض عليه وسجنه[4]، وثورة إينال الحكمي نائب الشام الذي أمر بقتله' كما ثار عليه العبيد السود في الجيزة وأقاموا لهم سـلطاناً فـي عـام 846هـ / 1442م، فقبض عليهم جقمق وأمر ببيعهم في أسواق القاهرة[5].

اشتهر عهد السلطان جقمق بغزو جريرة رودس، والتي كانت مركزاً هاماً للصليبيين فـي شرق البحر المتوسط بعد أن استولى عليها فرسان الاسبتارية عام 708هـ / 1308م واتخذوها قاعدة لنشاطهم وأعمالهم[6].

---

(1) ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2009م، ص13.

(2) المقريزي، السلوك، تحقيق سعيد عاشور، ج4، ق3، ص 1053 وما بعدها.

(3) الإسحاقي المنوفي، أخبار الأول، ص140-،141؛ وليم موير، تاريخ دولة المماليك، ص154.

(4) وليم موير، تاريخ دولة المماليك، ص155.

(5) المقريزي، السلوك، ج4، ق3، ص1091- 1123.

(6) محمد مصطفى زيادة، الأساطيل المصرية ومحاولة الاستيلاء على جزيرة رودس في عهد السلطان المملوكي جقمق، بحث منشور في كتاب دراسات في التاريخ الإسلامي، بيروت، (د.ت)، ص297.

وقد أرسل السلطان جقمق ثلاث حملات ضد رودس فـي أعـوام 844هـ / 1440م، 847هـ / 1443م، 848هـ / 1444م. وكانت الحملة الأولى صغيرة، لـم تسـتطع أن تقـوم بعمل يسترعي الانتباه، بل على العكس تصدى لها أسطول الاسبتارية برودس وأنـزل بالسـفن الإسلامية بعض الخسائر[1]. أما الحملة الثانية التي أرسلها جقمق بقيادة الأمير إينال العلائي ضد رودس فقد كانت أكثر توفيقاً فدمرت بعض الحصون الساحلية في رودس ثم عادت إلـى مصـر بعد أن اضطرتها عواصف الشتاء إلى ذلك[2]. والحملة الثالثة وهي كبرى حملات جقمـق ضـد رودس وأوفرها عدة وعتاداً، فاتجهت صوب مدينة رودس عاصمة الاسبتارية وحاصرتها نحـوا من أربعين يوماً. ولكن على الرغم من مما أبداه المماليك من شجاعة نادرة، فإنهم عجزوا عـن الاستمرار في القتال بسبب شدة مقاومة الاسبتارية الذين كانوا قد ألفوا أسـاليب المسـلمين فـي الحرب ببلاد الشام. هذا فضلاً عن المساعدات التي تلقاها الاسبتارية من العالم الإسلامي الغربي وهكذا رأى قائدا الحملة – وهما الأميران إينال العلائي وتماباي الانسحاب والعودة إلـى مصـر حرصاً على سلامة قواتهما[3].

ولم يلبث أن تم الصلح بين فرسان الاسبتارية فى رودس والسلطان جقمق في مصر بعـد أن تعهد الاسبتارية بعدم العدوان على السفن والمتاجر الإسلامية وذلك فـي عـام 848هـ / 1444م[4].

وكان السلطان جقمق على غير عادة أغلب سلاطين المماليك متديناً عفيفاً عن المنكـرات وشرب الخمور معظماً للشريعة، محباً للفقهاء وطلبة العلم، يكره اللهو والطرب، فقد ألغى الكثير من احتفالات العامة، كما أمر بحرق جميع الشخوص التي كان يستعملها أصحاب خيـال الظـل وألزمهم بعدم العودة إليها، وكان أيضاً بسيطا في ملبسه، ونهى الأمراء وكبـار رجـال الدولـة

---

(1) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج15، ص243.

(2) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج15، ص351.

(3) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج15، ص360 وما بعدها؛ وانظر، وليم موير، تاريخ دولة المماليك، ص156.

(4) سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص285.

وصغارها عن لبس الثياب الطوال، وإلزامهم بارتداء القصير منها، إلزامهم كذلك بحف شواربهم وقصها، وكان كريماً سخياً يجود بالمال حتى نسب إليه السرف، بل قيل أنه عند وفاته فى عـام 857هـ / 1453م، لم يخلق بالحواصل ولا الخزائن إلا نزراً يسيراً من الذهب يستحى من ذكره[1].

بعد وفاة جقمق تولى السلطنة ابنه المنصور أبو السعادات عثمان وكان في الثامنة عشرة من عمره، الذي عزل وسجن بعد ثلاثة وأربعين يوماً بسبب توزيعه نفقة على الجند من الدنانير الذهبية المغشوشة[2].

خلف المنصور عثمان السلطان الأشرف إينال 857هـ / 1453م وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب وفى الثالثة والسبعين من عمره حيث بقى فى السلطنة ثماني سنوات، تعرض خلالها لثورات المماليك الجلبان أو الأجلاب الذين كان يجلبهم كل سلطان جديد، وقد ثاروا سبع مرات في عهده وتزايد شرهم وأذاهم ليس في حق الناس فقط بل في حق السلطان أيضاً[3]، فقد هجموا عليه في عام 861هـ / 1456م ورموه بالحجارة مع أنه قد زاد لهم الكسوة حتى بلغت ثلاثة آلاف درهم رغم شحه الزائد كما أصلح العملة الفضية وأبطل سائر المعاملات الفضية المغشوشة وكان يتعقب الزغلية الذين يغشون النقود ويأمر بتوسيطهم. ومن محاسنه أيضاً اهتمامه بالعمارة والتشييد فقد وصلنا من أعماله المدرسة والخانقاه بالقرافة الشرقية والحمام بشارع المعز والرباط المعروف برباط زوجة إينال الذي شيدته زوجته خوند زينب بشارع الخرنفش.

## سلطنة الظاهر خشقدم (865-872هـ / 1461 - 1467م):

خلف السلطان إينال ابنه المؤيد أحمد وكان في الثلاثين من عمره، ولم يمكث في الحكم سوى أربعة شهور فقط، فقد وثب عليه مماليك أبيه وعزلوه عن السلطنة وبعثوا به سجيناً إلى

---

(1) ابن إياس، بدائع الزهور، ج2، ص199.

(2) ابن إياس، بدائع الزهور، ج2، ص199؛ الإسحاقي المنوفي، أخبار الأول، ص141؛ وليم موير، تاريخ دولة المماليك، ص158-159.

(3) وليم موير، تاريخ دولة المماليك، ص160؛ سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص286.

الإسكندرية فى عام 865هـ / 1460م، وأقاموا بدلاً منه الأتابك خشقدم الذي تلقب بالملك الظاهر[1]، وكان أول رومي يتولى السلطنة وله دراية بشتى أنواع الملاعيب كالرمح والكرة وسوق المحمل، كما كان ميالاً إلى جمع المال عن طريق المصادرات، وأخذ الرشا على الوظائف، ومع ذلك فقد قيل إن أيامه كانت كلها لهواً وانشراحاً، وامتاز عهده بالهدوء النسبي بعد أن تخلص بالقتل والسجن والتشريد من أمراء المماليك الذين أقاموه في السلطنة وعلى رأسهم جانم بك نائب الشام، الذي خادعه حتى نجح في القبض عليه وقتله[2].

وقد أرسل السلطان عدة حملات إلى قبرص ليساعد الملك جيمس من جانب، وليتخلص من المماليك الذين كان يخافهم من جانب آخر[3].

## سلطنة يلباى المجنون (872هـ / 1467م):

بعد وفاة خشقدم في عام 872هـ / 1467م، خلفه يلباي، فكانت أيامه على حد تعبير المؤرخ ابن تغرى بردى "نكدة، قليلة الخير، كثير الشر" عظم خلالها الغلاء، وتزايدت الأسعار، فعزل بعد أقل من شهرين وأرسل إلى سجن الإسكندرية[4].

## سلطنة الظاهر تمر بغا (872 هـ / 1467م):

بعد عزل يلباي المجنون تولى السلطنة سلطان رومي الجنس هو الظاهر تمر بغا عام 872هـ / 1467م، حكم ما يقرب من ثمانية وخمسين يوماً تعرض خلالها لمؤامرة من قبل الأمير خير بك الدوادار الذي طمع في السلطنة ووثب عليه أثناء الليل وسجنه بالقلعة وجلس مكانه، ولقب بالعادل، إلا أنه لم يبق في السلطنة سوى ليلة واحدة لذا عرف بسلطان ليلة، وسرعان ما نجح الأتابك قايتباي في السيطرة على الموقف، وقبض على خاير بك، وعزل

(1) وليم موير، تاريخ دولة المماليك، ص164.

(2) وليم موير، تاريخ دولة المماليك، ص166.

(3) وليم موير، تاريخ دولة المماليك، ص166.

(4) الإسحاقي المنوفي، أخبار الأول، ص141.

السلطان تمر بغا، وأرسل إلى دمياط وسكن بأحسن دورها مع أهله وحريمه، وتـــولى الســـلطنة قايتباي وتلقب بالملك الأشرف قايتباي[1].

## سلطنة الأشرف قايتباى (872-901 هـ / 1467-1495م):

يعتبر السلطان قايتباى من أبرز سلاطين دولة المماليك الجراكسة، لأنه حكم مـــدة طويلـــة بلغت تسعة وعشرين عاماً، وهى مدة لم يحكمها أحد من سلاطين المماليك عدا السلطان الناصر محمد، وقد وصفه المؤرخ ابن إياس بأنه "كان كفئاً للسلطنة، وافر العقل ســـديد الـــرأي، عارفـــاً بأحوال المملكة، موصوفاً بالشجاعة، عارفاً بأنواع الفروسية، لكنه كان محباً لجمع المال نـــاظراً لما في يد الناس"[2] ربما بسبب حاجته الشديدة إليه، فقد واجه حروب شاه سوار أميـــر دلغـــادر وأسيا الصغرى الذي كان يتمتع بتأييد السلطان محمد الفاتح العثماني، والذي أخذ يهاجم أطـــراف الدولة المملوكية[3]، مما أفقدها هيبتها وأطمع فيها ملوك الشرق الأمر الذي جعل قايتباي يرســـل عليه عدة حملات، كبدت الخزانة المملوكية الكثير من المال، حتى استطاع في النهايـــة القـــبض عليه وشنقه وعلق جثته على باب زويلة هو وأخوته الأربعة، والمشاعلية تنادى "هذا جزاء مـــن يخامر على السلطان"[4].

ولم تقتصر المتاعب التي واجهت سلطنة المماليك من جانب التركمان على ما أثاره أمراء دلغادر من فتن وقلاقل، بل إن قبيلة الشاه البيضاء – وصاحبها حســـن الطويـــل – الـــذي قـــام بمهاجمة البلاد الحلبية، ووصل إلى الرها، بل وبعث محمل الحاج العراقي إلى الحجاز ليخطـــب له على منابر الحرمين الشريفين، إلا أنه توفى فى عام 883 هـ / 1478م[5].

---

(1) وليم موير، تاريخ دولة المماليك، ص170.

(2) ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص325.

(3) الصيرفي، إنباء الهصر بأبناء العصر، تحقيق حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2002م، ص18 – 26؛ وليم موير، تاريخ دولة المماليك، ص171.

(4) ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص76 وما بعدها؛ وليم موير، تاريخ دولة المماليك، ص172.

(5) ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص171.

وقد واجه السلطان قايتباي أيضاً قوة العثمانيين الذين أخذ نفوذهم يزداد بعد استيلائهم على القسطنطينية عام 857هـ / 1453م، مما دفع بقايتباي إلى محاربتهم، وبعث إليه بعدة حمـلات أوقعت الهزيمة بأل عثمان ثلاث مرات[1]، آخرها عام 896هـ / 1490م، بعدها تم الصلح بين الطرفين، وتبودلت الهدايا، هذا بالإضافة إلى تصديه لثورات العربان وعصـيان بعـض أقـاليم الدولة المملوكية.

أما عن أحوال مصر فى عهد السلطان قايتباي فقد شهد عصره تدهور اقتصـادي نتيجـة لبعض الظواهر الطبيعية مثل انتشار الوباء انتشاراً فتاكاً وذلك في عـام 898هـ / 1492م، حتى أنه كان يموت في القاهرة في اليوم الواحد أكثر من عشرة آلاف شخص وقد مـات بسـبب ذلك ثلث المماليك، فضلا عن زوجة السلطان قايتباي وابنته، وقد ترتب عليه قحط شديد أصـاب البلاد المصرية، وتفشت الأمراض في الماشية، مما أدى إلى ندرة الأقوات وارتفاع الأسعار[2].

ورغم صعوبة الأحوال الاقتصادية على عهد السلطان قايتباي، إلا أنه لم يكف عـن دفـع الأموال الباهظة في شراء أعداد كبيرة من المماليك، حتى قيل أنه لولا الطواعين التي وقعت في أيامه لكان تكامل عنده ثمانية آلاف مملوك. واعتبر عصره بمثابـة العصـر الـذهبي للعمـارة الإسلامية لكثرة ما وصلنا من منشآت معمارية تتميز بفنها الإسلامي الأصيل. أشـهرها جامعـه ومسجد بالروضة، ومدرسة بقلعة الكبش، ووكالته بحي الأزهر ووكالتـه عنـد بـاب النصـر المعروفة بوكالة الدشيشة، وبقايا القصر المطل على شارعي باب الوزير وسوق السـلاح، هـذا فضلا عن مجموعة من الأسبلة والكتاتيب أهمها السبيل القائم بحي الخليفة، والسبيل الكائن بجوار وكالته بحي الأزهر، والمنارة التي توجد إلى يمين هذا المدخل، والقلعـة بالمينـاء الشـرقي بمدينـة الإسكندرية، وبقايا برج مدينة رشيد، والذي عثر بداخله على حجر رشيد الذي سـاعده علـى فـك رموز الكتابة المصرية القديمة[3].

---

(1) وليم موير، تاريخ دولة المماليك، ص172- 173.

(2) ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص287.

(3) ستانلي لين بول، سيرة القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997م، ص204-207؛ زكى محمد حسن، فنون الإسلام، دار الرائد العربي (ب.ت)، ص77-84.

وقد عرف عن قايتباي حب التنقل والأسفار، فطاف بالشام وأعالي الفرات، ومصر العليا والدلتا، بالإضافة إلى الحج وزيارة الأماكن المقدسة بالحجاز وبيت المقدس[1]. وأينما ذهب، كان يخلد اسمه بإنشاء الطرق والجسور والمساجد والمدارس، وغيرها من المؤسسات الحيوية، ومنها مدرسته بالصليبة، وسبيل وكتاب قايتباي بالصليبة أيضا[2]. وقد دفع ذلك بعض الباحثين إلى القول بأنه لا يوجد سلطان آخر من سلاطين المماليك – عدا الناصر محمد بن قلاوون – فعل ما فعله قايتباي من عناية بالفنون، وبخاصة فن العمارة[3]، ولكثرة أبنيته ومنشآته أطلق عليه السلطان البناء[4].

## سلطنة محمد بن قايتباي (901 – 904هـ / 1496 – 1498م):

بعد هذه الحياة الحافلة مات السلطان قايتباي عام 901هـ / 1496م واجتمع الأمراء والقضاة والخليفة وبايعوا ابنه محمد الذي لقب بالناصر وكان في الرابعة عشر من عمره[5]، لا يستطيع الصمود أمام كبار الأمراء الذين اشتد التنافس بينهم حول الوصاية على السلطان القاصر، وقد خرج الأمير قانصوه خمسمائة منتصراً، إذ تولى منصب الأتابكية، واستبد بالسلطنة وذلك في عام 902هـ / 1497م[6]، وأعلن نفسه سلطاناً وتلقب بالأشرف أبى النصر على لقب أستاذه السلطان الأشرف قايتباي، إلا أنه لم يمكث في السلطنة سوى ثلاثة أيام فقط ثم عاد الناصر محمد بن قايتباي مرة ثانية، وظل بمنصب السلطنة حتى مقتله عام 904هـ / 1498م أي نحواً من سنتين وثلاثة أشهر ونصف، وكانت أيامه كلها فتن وشرور وحروب قائمة بين المماليك بسبب جهله وتعسفه وحبه لسفك الدماء، وسوء تدبيره وكثرة مخالطته للأوباش ولعبه مع أولاد العوام رغم كرمه الزائد وشجاعته المفرطة.

---

(1) ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص329.

(2) أحمد عبد الرازق، تاريخ وآثار مصر الإسلامية، ص263–275.

(3) ستانلى لين بول، سيرة القاهرة، ص 204–205؛ وليم موير، تاريخ دولة المماليك، ص174.

(4) عبد الرحمن زكى، بناة القاهرة، ص73.

(5) ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص323.

(6) ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص335؛ وليم موير، تاريخ دولة المماليك، ص177.

## سلطنة الظاهر أبو سعيد قانصوه الأشرفي (904-905هـ / 1498-1500م):

اختار الأمراء الظاهر قانصوه – وهو خال السلطان القتيل – ليتولى السلطنة، الذي مكث فى الحكم سنة وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوماً وكان لين الجانب كثير البر والمعروف، مسلوب الاختيار مع المماليك لذا أطلق عليه العوام لقب "يخشى" ومع ذلك فقد انصلحت الأحوال في أيامه ووقع الرخاء في عهده، وانكف المماليك عن أذى الناس بعكس الحال في أيام ابن أخته الناصر محمد[1].

وقد ترك لنا قانصوه الأشرفي قبتين إحداهما بالقرافة الشرقية للمماليك التي تقع بين المقطم والعباسية شمالي قلعة الجبل، وهى قبة حافلة بالزخارف وتعرف عند العامة بقبة الغفير نسبة إلى إقامة غفير المباني الأثرية في تلك الجهة[2]. أما القبة الثانية فتقع في شارع المحجر المؤدى إلى باب القلعة الجديد.

## سلطنة أبو النصر جان بلاط (905-906هـ/ 1500-1501م):

تولى السلطان أبو النصر جان بلاط خلفاً للظاهر أبى سعيد قانصوه خمسمائة، وكان في الخامسة والأربعين من عمره، وبدأ حكمه بمصادرة الأعيان وأهل الذمة من اليهود والنصارى، وبعض الطواشية لتدبير نفقة المماليك، ولم يمكث في العرش سوى ستة أشهر وثمانية عشر يوماً، وقبض عليه في عام 906هـ / 1501م وأرسل إلى سجن الإسكندرية حيث خنق هناك[3].

## سلطنة العادل أبو النصر طومان باي( 906هـ / 1501م):

(1) ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص354؛ سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص294.

(2) أحمد عبد الرازق، تاريخ وآثار مصر الإسلامية، ص283-285.

(3) وليم موير، تاريخ دولة المماليك، ص179.

تولى منصب السلطنة العادل أبو النصر طومان باي الذي حكم مائة يوم، وكانت أيامه مليئة بالشرور والفتن بسبب جهله وظلمه وحبه لسفك الدماء، قبض عليه وقتل في عام 906هـ/ 1501م، ومن ثم انقلبت محبته واحترمه من قبل الناس إلى بغض وكراهية، إذ وجدناه يتعامل بقسوة وجبروت مع الرعية بل وتعدى ذلك إلى القضاة أنفسهم إذ خلع قاضي القضاة السابق من عمله وشهر به في الشوارع عارياً نصفه، ثم غرمه غرامة فادحة[1].

ويلاحظ أن جميع هؤلاء السلاطين حكموا مدداً قصيرة مما يدل على حالة الفوضى وعدم الاستقرار التي سادت البلاد في أواخر دولة المماليك الجراكسة. أضف إلى ذلك أيضاً أن معظم السلاطين الذين تولوا السلطنة في ذلك الوقت انتهى أمرهم بالسجن أو الخنق أو القتل الأمر الذي جعل كبار الأمراء ينصرفون عن التطلع إلى منصب السلطنة بعد أن غدا ملطخاً بالدماء.

## سلطنة الأشرف قانصوه الغوري (906-922هـ / 1501 - 1516م):

بعد مقتل السلطان العادل طومان، تمنع الغوري – رغم أنه أقوى الأمراء – عن قبول منصب السلطنة بل إنه أخذ يبكى!! ويقال أن الغوري قبل أخيراً أن يلي منصب السلطنة بعد أن "سحبوه وأجلسوه وهو يمتنع من ذلك ويبكى" وقد اشترط على الأمراء ألا يقتلوه، وأن يصرفوه بالمعروف إذا أرادوا عزله، فقال لهم "أقبل ذلك بشرط ألا تقتلوني، بل إذا أردتم خلعي وافقتكم"[2].

أثبت السلطان أنه رجل قوى صلب رغم أنه كان قد تجاوز الستين من عمره، فقد نجح فى إعادة النظام والاستقرار إلى العاصمة، كما نشط في جمع الأموال لشحن خزانة الدولة الخاوية عن طريق إتباع سياسة تعسفية لم يسبقه إليها أحد من سلاطين المماليك، فقد أمر بجمع ضرائب عشرة أشهر دفعة واحدة، ولم يقتصر في ذلك على الدور والحوانيت، بل تجاوز ذلك الحمامات

---

(1) وليم موير، تاريخ دولة المماليك، ص179.

(2) ابن إياس، بدائع الزهور، ج4، ص3- 4؛ عبد الملك بن حسين المكي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ج4، تحقيق: عادل أحمد وعلى معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ/1998م، ص60؛ محمود رزق سليم، الأشرف قانصوه الغوري، الدار المصرية للتأليف والترجمة (ب.ت)، ص35.

والسواقي والطواحين والسفن ودواب النقل وخدم القصور، حتى الأوقاف الخيرية لم تسلم من تلك الغرامات[1]، كما لجأ الغوري أيضاً إلى التلاعب في سعر العملة بإنقاصها أو خلطها أو غشها، لتستفيد الخزانة من الفارق، مما أضر بالتجارة ضرراً كبيراً وفى ذلك يقول المؤرخ ابن إياس "أن معاملته في الذهب والفضة والفلوس الجدد أنحس المعاملات جميعها زغل ونحاس وغش لا يحل صرفها ولا يجوز في ملة من الملل"[2]، الأمر الذي أضر بالتجار وأدى إلى مصادمات بينهم وبين الأهالي، وعاونه في الوقت نفسه على دفع نفقة المماليك وشراء أعداد كبيرة منهم.

وأصدر الغوري في العام 910هـ أوامره بمهاجمة بيوت الأقباط وكسر ما لديهم من جرارا الخمر، وحرق أماكن الحشيش والبوزة[3].

أحاط الغوري برعايته أول ترجمة بالتركية لشاهنامة الفردوسي التي تحكى عن تاريخ ملوك الفرس، وعهد إلى الرسامين التركمان بتصوير النص الذي يعد آخر عمل فني قام به سلاطين المماليك.

ازدهرت الحركة الفكرية بعامة في عهد الغوري، وأصبح للشعراء سوق نافقة، وأحبهم العامة حتى أن قاضى القضاة لما أراد أن يوقع عقوبة ضد الشاعر جمال الدين السلموني، ووافقه جميع القضاة والفقهاء. هبت جماعة من العوام تعصبوا للشاعر، وأرادوا أن يرجموا قاضي القضاة بالحجارة، ومن ثم انتهى الأمر بإعفاء الشاعر من العقوبة، والتشهير[4].

أقام السلطان الغوري العديد من المنشآت المعمارية من أهمها القبة والمدرسة بحي الغورية الذي عرف بهذا الاسم نسبة إليه، والمئذنة ذات الراسين بالجامع الأزهر، والوكالة بشارع التبلطة بالأزهر خلف خان الزراكشة تعتبر أكمل وكالة بالقاهرة، وقد شيدها بين عامي

---

(1) محمود رزق سليم، الأشرف قانصوه الغوري، ص69 وما بعدها.

(2) ابن إياس، بدائع الزهور، ج5، ص111.

(3) قاسم عبده، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، ص161.

(4) ابن إياس، بدائع الزهور،ج4، ص 113-114؛ وعن الحركة الشعرية فى عهد الغورى أنظر، محمود رزق سليم، الأشرف قانصوه الغوري، ص25-29.

909هـ-910هـ[1]، كما أنشأ مدرسته التي تقع بشارع المعز، وأعد احتفالا حال انتهائـه مـن تشييدها حضره الخليفة المستمسك بالله يعقوب والقضاة الأربعة، وأعيان الناس[2]، وأنشأ المقعـد بالحوش والمدفن الذي لم يدفن فيه والخانقاه والمكتب[3]، كما أنشأ مسـجده المعـروف باسـمه، وبضعة ربوع في خان الخليلي بقى منها آثار ثلاث بوابات لا يزال باقياً اثنين منهـا، والميـدان أسفل القلعة، ونقل إليه الأشجار من بلاد الشام، وشيد أيضاً طواحين الهواء في مصـر القديمـة، وجدد قناطر المياه الموصلة إلى قلعة الجبل التى نالت بدورها قدراً كبيراً من اهتمامه وعنايتـه، وجدد قاعة الدهيشة وقاعة البيسرية وقاعدة الأعمدة، كما جدد عمارة المطبخ، وعمـارة مقيـاس النيل بالروضة[4]، كما عنى بتحصين مدينتى رشيد والإسكندرية واهتم كـذلك بطريـق الحـج وراحة الحجاج، فأقام الاستراحات وحفر الآبار، وكان الغوري أيضاً مولعاً بشم الرائحة الطيبـة من المسك والعود والبخور، وغرس الأشجار وممارسة الرياضات، رغم كبـر سـنه، ومحبـاً لاستعمال الطاسات الذهب في شرب الماء[5].

## الصدام بين المماليك والبرتغاليين:

لم تستمر سعادة السلطان الغوري طويلاً، بعد أن نجح البرتغاليون فى كشف طريـق رأس الرجاء الصالح فى عام 903هـ / 1497م، وأقاموا أول محطة تجارية أوربية علـى السـاحل الغربي الهندي في كلكتا وذلك في عام 906هـ / 1500م[6]، وبذلك حقق البرتغـاليون نصـراً عالمياً جديداً واستطاعوا أن يوفروا للسوق الأوربية التوابل – وغيرها من حاصـلات الشـرق

---

(1) ابن إياس، بدائع الزهور، ج5، ص94؛ أحمد عبد الرازق، تاريخ وآثار مصر، ص301.

(2) أحمد عبد الرازق، تاريخ وآثار مصر، ص289.

(3) عبد الرحمن زكى، بناة القاهرة، ص82.

(4) عبد الرحمن زكى، بناة القاهرة، ص83،84.

(5) سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص296.

(6) زين الدين الملبارى، تحفة المجاهدين فى بعض أحوال البرتكاليين، نشر داود لويس، لشبونة، 1898م، ص137.

الأقصى بثمن يعادل ربع ثمنها في الإسكندرية ودمياط[1]، مما هدد مركز مصر الاقتصادي كطريق رئيسي للتجارة بين الشرق الأقصى والغرب الأوربي، وبالتالي فقدت دولة المماليك حصيلة الضرائب الهائلة التي كانت تحصل عليها من التجارة المارة بموانيها وأذن بانتقال زمام التجارة من أيدي المماليك إلى أيدي البرتغاليين[2].

وسرعان ما اهتزت دولة المماليك لذلك الانقلاب المفاجئ في طرق التجارة العالمية، وما ترتب عليه من خلل في الميزان الاقتصادي. وقد عمد البرتغاليون إلى مهاجمة السفن المصرية في بحار الهند، مما دفع بالسلطان الغوري إلى إرسال أسطول كبير لمحاربة البرتغاليين، واستطاع هذا الأسطول أن ينزل الهزيمة بالبرتغاليين قرب الشواطئ الغربية للهند في موقعة شول عام 914هـ/ 1508م[3]. ولكن سرعان ما ثأر البرتغاليون لأنفسهم في العام التالي عام 915هـ / 1509م في موقعة ديو البحرية بالقرب من بومباي، وانزلوا بالمماليك هزيمة ساحقة أدت إلى ذبول دولة المماليك[4].

## المماليك والعثمانيون:

شهد القرن 8هـ / 14م تضخم نفوذ قوة جديدة على مسرح الشرق الأدنى، هي قوة الأتراك العثمانيين الذين كانوا يعيشون في بداية القرن 7هـ / 13م في إقليم خراسان، ثم اضطروا تحت ضغط التتار إلى التحرك غرباً حتى استقروا في آسيا الصغرى. وقد أتاح انهيار سلطنة سلاجقة الروم بقونية 707هـ / 1307م فرصة طيبة للعثمانيين فأخذوا يتوسعون بسرعة في آسيا الصغرى على حساب بقية الإمارات والقبائل التركية، فضلاً عن بقية الممتلكات والبقايا

---

(1) سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص296؛ محمد الزامل، الحصار الاقتصادي على مصر أواخر العصور الوسطى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2009م، ص149.

(2) ابن إياس، بدائع الزهور، ج5، ص84.

(3) زين الدين الملبارى، تحفة المجاهدين، ص40-41.

(4) ابن إياس، بدائع الزهور، ج5، ص435؛ زين الدين الملباري، تحفة المجاهدين، ص41؛ محمد الزامل، الحصار الاقتصادي على مصر أواخر العصور الوسطى، ص156.

البيزنطية والمسيحية. هكذا أخذت الدولة العثمانية تتوسع على حساب الدولة البيزنطية من ناحية، وعلى حساب القوى الإسلامية في آسيا الصغرى من ناحية أخرى.

على أن الدولة العثمانية الناشئة تعرضت لضربة خطيرة كان من الممكن أن تقضى عليها قضاءاً نهائياً في أوائل القرن 9هـ /15م، عندما اجتاح تيمورلنك معظم آسيا الصغرى، وأنـزل هزيمة ساحقة بالجيوش العثمانية في موقعة أنقرة عام 805هـ / 1402م، ووقـع السلطان العثماني بايزيد الأول أسيراً حيث مات في الأسر في العام التالي. وانتشرت جيوش تيمورلنك في آسيا الصغرى "تعبث وتفسد وتنهب... ومكثوا ستة أشهر يقتلون ويأسرون وينهبون ويفسدون". أما بنو عثمان، فقد لاذوا بالفرار "إلى بر القسطنطينية" أي إلى الجانب الأوربي طلباً للنجاة [1].

وكان الأمل ضعيفاً فى استطاعة الدولة العثمانية النهوض من تلك الكبوة، ولكنها نهضت بسرعة، وتمكن السلطان محمد الأول العثماني من إحياء الدولة، واستئناف سياسة التوسع على حساب القوى المجاورة من جديد. ولم يستطع الغرب الأوروبي وقف توسع العثمانيين المسلمين في البلقان، حتى سقطت القسطنطينية في قبضة محمد الفاتح عـام 857هـ / 1453م وبذلك انتهت الدولة البيزنطية – أو دولة الروم – من صفحة التاريخ، وحل سلاطين آل عثمان محل أباطرة الروم فى مدينة الإمبراطور قسطنطين العظيم[2].

وطوال توسع الدولة العثمانية ونموها في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، لم يظهر في الأفق ما يدل على احتمال حدوث صدام بين العثمانيين ودولة المماليك. وعندما وصل خبر استيلاء العثمانيين على القسطنطينية "سر السلطان والناس قاطبة بهذا الفتح العظيم سروراً زائداً، ودقت البشائر لذلك، وزينيت القاهرة بسبب ذلك أياماً..."[3]، وهكذا أخذ المماليك ينظرون إلى كل نصر يحققه العثمانيون على حساب القوى المسيحية على أنه نصر للإسلام والمسلمين. والواقع أن الصدام بين دولتي المماليك والعثمانيين كان لابد أن يحدث في يوم ما بين

---

(1) المقريزي، السلوك، ج3، ق3،ص1092؛ سعيد عاشور، أوربا في العصور الوسطى، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1972م، ص653.

(2) سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص201.

(3) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج16، ص71.

قوتين تتزعمان العالم الإسلامي في الشرق الأدنى واتخذتا من القتال أداة لتحقيق أهدافهما. وكان لابد لأحد هاتين القوتين من أن تنتصر على منافستها لتستأثر بزعامة المسلمين في الشرق الأدنى ولم تتخذ الحرب الفعلية بين الطرفين شكلاً جدياً خطيراً إلا في عهد السلطان سليم الأول العثماني من ناحية، والسلطان قانصوه الغوري من ناحية أخرى[1].

ما كاد ينتهي السلطان سليم الأول من هزيمة الشاه إسماعيل الصفوي أول ملوك دولة الصفويين الشيعية في إيران حتى التقى بهم في مرج دابق شمالي حلب في عام 922هـ/ 1516م، ويقال أن السبب في ذلك اطلاع السلطان سليم الأول على رسالة تفيد وقوع اتصالات بين الغوري وإسماعيل الصفوي، وفيها يستحث الأول الأخير بقتال سليم الأول[2]، وفي تلك المعركة أبدى المماليك والسلطان الغوري شجاعة نادرة ولكن ما لبثت الهزيمة أن ألحقت بالسلطان الغوري والمماليك بسبب تفوق العثمانيين وخيانة خايربك الذي لعب دوراً كبيراً في إطلاق الإشاعات الكاذبة بين صفوف المماليك المقاتلين، فهو حيناً يشع إن السلطان الغوري أمر مماليكه الأجلاب بألا يتقدموا، الأمر الذي جعل بقية المماليك يستاءون من الغوري ويظنون أنه جعلهم وحدهم وقود تلك الحرب واحتفظ بمماليكه سلاماً معافين. وحيناً آخر يشيع أن الغوري سقط قتيلاً في المعركة ويتراجع هو وجنوده ليحذو حذوهم بقية الجيش المملوكي، لم يحتمل الغوري قسوة الموقف فسقط ميتاً على الأرض وقيل أن السلطان سليم قطع رأس الغوري وأرسلها إلى اسطنبول، في حين دفنت جثته عند حلب[3].

---

(1) ابن إياس، بدائع الزهور، صفحات لم تنشر، تحقيق محمد مصطفى، ص14.

(2) ابن طولون، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق محمد مصطفى، قسم 2 ص23؛ محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، المركز المصري للدراسات العثمانية، القاهرة، 1414هـ/1994م، ص25.

(3) ابن طولون، مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان، قسم 2 ص24؛ وانظر، محمد حرب، العثمانيون فى التاريخ والحضارة، ص25.

## المبحث الرابع :سقوط دولة المماليك الجراكسة :

بعد أن تأكد أهل القاهرة من خبر هزيمة المماليك في مرج دابق ووفاة السلطان الغوري، سرت فيهم موجة من الرعب والخوف "فقام العزاء والصراخ ورجت القاهرة في ذلك اليوم وكثر الاضطراب والقال والقيل" وكان الموقف في القاهرة يتطلب إجراء عاجلاً سريعاً، فأسرع الأمراء باختيار طومان باي – نائب السلطنة – سلطاناً خلفاً للسلطان الغوري[1] فتمنع طومان باي حتى قال له الأمراء "ما عندنا سلطان إلا أنت طوعاً أو كرهاً فقبل السلطنة كارهاً في عام 922هـ/1516م وتلقب بلقب الأشرف، وبذلك كان آخر سلاطين المماليك في مصر والشام بعد أن أحضر مصحفاً شريفاً وحلف الأمراء" بأنهم إذا سلطنوه لا يخونونه ولا يغدرونه ولا يخامرون عليه، ويرضون بقوله وفعله. وقد أقسموا له بأنهم سوف يبذلون أموالهم وأنفسهم فى سبيل الدفاع عن البلاد ضد العثمانيين، ومن الواضح أن السلطان الأشرف طومان باي ورث تركة مثقلة، وولى السلطنة فى ظروف لا يحسد عليها حاكم. وكان أقل ما ينتظره بعد أن ضحى وقبل السلطنة، هو أن يجد تعاوناً من أمراء المماليك. ولكن خاب ظنه لأن المماليك كانوا قد وصلوا في ذلك الدور إلى درجة من الانحلال أعمتهم عن رؤية الخطر المحيط بهم.

وفى معركة الريدانية، أظهر طومان باي شجاعة لا تقل عن شجاعة الغوري في مرج دابق. ولكن فرداً واحداً مهما تبلغ إرادته وشجاعته لا يستطيع أن يصد جيشاً متماسكاً كبيراً. وكان أن حلت الهزيمة بالجيش المملوكي فى بيان بالقرب من غزة، ثم في الريدانية بالقرب من القاهرة في أواخر عام 922هـ/1516م وفر طومان باي ليواصل المقاومة بين دروب القاهرة وأحيائها، حتى نجح فعلاً في إخراج السلطان سليم الأول من القاهرة بعد أن كان قد دخلها وعندئذ ظهرت عوامل الخيانة مرة أخرى، ليقضى الله أمراً كان مفعولا، ففوجئ طومان باي أثناء مقاومته الجبارة على ضفاف النيل بالجيزة بهجوم العربان والبدو على مؤخرته، مما أوقعه بين نارين، فاضطر إلى التقهقر قرب وردان، حيث دارت موقعة بين العثمانيين وجيشه الصغير[2].

وعندما تغلب عليه العثمانيون فر طومان باي إلى أحد مشايخ العربان بإقليم البحيرة – واسمه حسن بن مرعى – طالباً حمايته. ولكن هذا الأعرابي نسى ما كان لطومان باي من فضل

---

(1) ابن إياس، بدائع الزهور، ج5، ص103 وما بعدها؛ ابن زنبل الرمال، آخرة المماليك، تحقيق عبد المنعم عامر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2006م، ص115.

(2) عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك، ص359.

سابق عليه، إذ كان طومان باي قد أخرجه من السجن أيام الغوري، فتنكر له وسلمه للعثمـــانيين، ولما تحقق السلطان سليم من هذا الخبر فرح فرحاً شديداً وقال "الآن ملكنا ملك مصر "[1].

وتجمع المصادر على شجاعة طومان باي عندما وقف بين يدي السلطان العثماني، إذ قال فى جرأة أنه لم يفعل غير ما أملاه عليه الواجب، وأن الله تعالى أمر بالدفاع عــن الــنفس ورد المعتدين. ولما عاتبه السلطان سليم لأنه لم يطعه فى أول الأمر، رد عليــه طومـــان بـــاي فـــي شجاعة : "الأنفس التي تربت في العز لا تقبل الذل. وهل سمعت أن الأسد يخضـــع للـــذئب ؟ لا أنتم أفرس منا ولا أشجع منا، وليس في عسكرك من يقايسني في حومة الميـــدان..."[2]، ويـــذكر ابن إياس أن السلطان سليم أعجب فعلا بشجاعة غريمه فأشار إلى طومان باي وقال "والله مثـــل هذا الرجل لا يقتل" وأوشك أن يبقى على حياته فيرسله منفياً إلى مكة أو يصـــطحبه معـــه إلـــى القسطنطينية لولا تحريض الخائنين خايربك وجانبردي للسلطان سليم، مما جعله يـــأمر بإعـــدام طومان باي، فحمل إلى باب زويلة حيث شنق في عام 923هـ / 1517م[3].

وقد وصف ابن إياس اللحظات الأخيرة فى حياة طومان باي، فقال أنه سيق من بولاق إلى باب زويلة: وأخذ يسلم على الناس بطول الطريق حتى وصل إلى باب زويلة، وهو لا يدرى مـــا يصنع به. فلما أتى إلى باب زويلة أنزلوه من على الفرس، وأرخوا له المشاعل الحبال، ووقفـــت حوله العثمانية بالسيوف، فلما تحقق أنه سيشنق، وقف على أقدامه على باب زويلة، وقال للنـــاس الذين حوله : اقرأوا لي الفاتحة ثلاث مرات، وبسط يديه إلى السماء وقرأ الفاتحة عن نفسه فـــي صوت مسموع، ثم التفت إلى المشاعلي وقال له "اعمل شغلك" فوضع الحبل في رقبته، وما هـــي إلا لحظات حتى سقط آخر ســـلاطين المماليـــك ميتـــاً علـــى عتبـــة بـــاب زويلـــة فـــي عـــام 923هـ/1517م، وظلت جثته معلقة ثلاثة أيام ثم أنزلت واحضروا له تابوتاً ووضـــعوه فيـــه، وتوجهوا به إلى مدرسة السلطان الغوري فدفنوه في الحوش الذي خلف المدرسة لينتهـــي بـــذلك حكم دولة سلاطين المماليك ولتصبح مصر ولاية عثمانية [4].

---

(1) ابن زنبل، آخرة المماليك، ص225 وما بعدها ؛ عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك، ص354.

(2) ابن زنبل، آخرة المماليك، ص245.

(3) ابن إياس، بدائع الزهور، ج5، ص175؛ وليم موير، تاريخ دولة المماليك، ص197.

(4) ابن إياس، بدائع الزهور، ج5، ص176؛ ابن زنبل، آخرة المماليك، ص253.

**ويمكننا أن نوجزَ أسبابَ سقوطِ دولة المماليك في النقاط التالية:**

**أولاً:** انقسامُهم على أنفسِهم، وكثرةُ شغبهم وتمردهم على سلاطينِهم، وبخاصَّةٍ المماليك الأجلاب، الذين كان السلاطينُ يشترونهم كبارًا، ولا يروضونهم على طاعتِهم منذ نعومة أظافرهم[1].

**ثانياً:** الضربات الاقتصادية التي لحقتْ بالمماليكِ إثرَ حركةِ الكشوفِ البرتغالية، وتحول مسارِ التجارةِ بين أوروبا وبلدان الشَّرقِ إلى طريقِ رأس الرجاء الصَّالح، وحرمان المماليك من أعظمِ مواردِهم المالية عندما كانت تجارةُ العالم القديم تمرُّ عبر بلادِهم[2]. إذ أصبحت شوكة البرتغاليين في الهند من القوة بحيث أنزلوا أفدح الإضرار بحركة التجارة الإسلامية في المحيط الهندي، واستولوا على سفن المسلمين غصباً، واستحلوا دماءهم وأموالهم[3].

**ثالثا :** ولا شكَّ أنَّ الخيانة في داخلِ صفوف المماليك ممثَّلةٌ في خاير بك وجان بردي الغزالي، واتصالهما بالسُّلطانِ العثماني وتحريضه على غزوِ مصر والشَّامِ، وكشف خططِ المماليك، والفت في عضدِ الجند كان من أكبرِ عواملِ انكسار المماليك[4].

**رابعاً:** كان الجيشُ العثماني أحدثَ تسليحاً، وأدقَّ نظامًا وأكثر طاعةً والتزامًا، وكانوا يستعملون البنادقَ والأسلحة النارية[5]، أمَّا المماليكُ فكانوا يعتبرون استخدامَها جُبنًا، ويعتزُّون بفروسيتِهم وإجادتِهم للسَّيفِ والرُّمح، وكان طومان باي يتحدَّى السُّلطانَ سليم بأنْ يأمرَ جندَه بترك البنادق والمنازلة بالسَّيفِ.

---

(1) محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1410هـ/1990م، ص53.

(2) هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة أحمد محمد رضا، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1985م، ص30؛ محمد الزامل، الحصار الاقتصادي على مصر أواخر العصور الوسطى، ص143-172.

(3) محمد الزامل، التحولات الاقتصادية فى مصر أواخر العصور الوسطى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة2008، ص167.

(4) ابن زنبل الرمال، آخرة المماليك، ص 213- 229 -233.

(5) ابن زنبل، آخرة المماليك، ص209.

# الفصل الثاني

# حركات التمرد والعصيان في عصر المماليك الجراكسة

**المبحث الأول: تمرد وعصيان الأمراء ضد السلاطين.**

**المبحث الثانى: عصيان المماليك ضد للسلاطين.**

**المبحث الثالث: عصيان الأمراء ضد الأمراء.**

**المبحث الرابع: تمرد وعصيان المماليك ضد مسئولي النفقة والمرتبات.**

**المبحث الخامس: تمرد المماليك ضد الأمراء.**

# الفصل الثاني

# حركات التمرد والعصيان في عصر المماليك الجراكسة

## المبحث الأول: تمرد وعصيان الأمراء ضد سلاطين الجراكسة:

جلس السلطان برقوق على كرسي العرش بتدبير المؤامرات والتنكيل بزملائه، ومن ثم وجد الأمراء أن طريق الوصول إلى الحكم هو القيام بالتمرد ورفع راية العصيان، وترتب على ذلك أن السلاطين لم يأمنوا مماليكهم وضاعفوا في الحيطة والحذر على أنفسهم خوفا من غدرهم، وقد شارك المماليك بالفعل في حركات التمرد والعصيان على أمل الوصول للحكم، وسلكوا في سبيل ذلك الهدف كل وسيلة، وترتب على ذلك الأمر تعدد حركات التمرد والعصيان ضد سلاطينهم أو زملائهم ضاربين بالعهود والأيمان عرض الحائط، وسنعرض لمحاولات الأمراء الإطاحة بالسلاطين في الصفحات التالية:

### عهد الظاهر برقوق (784-801 هـ / 1382-1398م):

#### أولاً: حركة عصيان الأمير يلبغا الناصري[1]:

كان الأمير يلبغا الناصري ت 793هـ/ 1390م، قائداً للجيش المتوجه في 9 ذي القعدة سنة 789 هـ/ 22 نوفمبر 1387م إلى قتال "تمربغا الأفضلي منطاش ت 795 هـ/ 1392م[2].

---

(1) ذكر المؤرخون كلمة العصيان، عند حديثهم عن خروج الناصري على برقوق، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات م9، ج1، ص 51، ولكن المقريزي أضاف كلمة الثورة عندما تحدث عن إرسال الناصري لكتب تدعو للثورة على برقوق، والثورة هنا تعني الخروج على برقوق وعصيانه؛ السلوك، ج3، ص 591؛ أما العيني، عقد الجمان، ص 243 فذكر كلمة عصى ومعها لفظ مخامرة، خامر الشيء خالطه والمقصود بها مخالفة السلطان والخروج عليه، الزبيدي، تاج العروس، ج3، ص 189، ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص 338؛ القاموس المحيط، ج1، ص 23؛ المعجم الوجيز، ص 211؛ وكذلك ذكر ابن حجر، أنباء الغمر، ج1، ص 353، لفظ خامر؛ أما ابن قاضي شهبة فذكر في تاريخه، ج3، ص 263 عصيان؛ ووافقه ابن تغري بردي، النجوم، ج11، ص 255 فذكر عصيان؛ وكذلك ابن إياس، بدائع، ج1، ص 394.

(2) ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج2، ص 85-86؛ ابن حجر، أنباء، ج1، ص 431، ص451-452؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج4، ص 94.

وكانت شرارة هذا العصيان عندما أرسل برقوق رسولا في 10 صفر سنة 791 هـ/ 9 فبراير 1389م إلى حاكم دمشق سودون المظفري ت 791هـ/ 1389م للصلح مع الناصري، وفي الباطن القبض عليه وقتله، ولكن القدر كشف المؤامرة عندما حمل رسول يلبغا بمصر رسالة تحذير لسيده من الصلح مع المظفري في حين تأخر رسول السلطان بأمر القتل، فاحتاط الناصري ودبر لقتل المظفري قبل أن يفتك به[1]، ثم أعلن عداءه الصريح لبرقوق وسعى لضم منطاش فوافقه، كما أخذ يدعو على المنابر للخليفة المتوكل على الله [2] المحبوس بالقلعة[3].

سمع برقوق تلك الأخبار السيئة، ومن ثم أسرع في الإفراج عن الخليفة وأعطاه الهدايا والأموال، وجهز جيشا كبيرا للخروج لقتال الخارجين على طاعته، ولما التقى الجيشان بالقرب من دمشق في 21 ربيع آخر سنة 791هـ / 19 مارس 1389م كان النصر حليفا لجيش السلطان، وهزم يلبغا الناصري أكثر من مرة ولكن، في المرة الثالثة حدثت الخيانة فانهزم جيش برقوق[4].

كانت نتيجة الهزيمة خضوع بلاد الشام للناصري، ثم توجهه إلى مصر وكان رد فعل برقوق بطيئا وانتظر الناصري بالقاهرة، ولم يغتنم برقوق فرصة بعد المسافة وقلة المؤن وتعب خيول الناصري ويهاجمه، بل أنفق الأموال على قادة الجيش الذين تسللوا إلى الناصري وتركوه وحيدا على الرغم من الأموال التي أخذوها والأيمان التي حلفوها[5]، فاختفي حتى قبض عليه وحبس ببلاد الكرك في 19 من جمادي الآخر سنة 791 هـ/ 17 يونيو 1389م[6].

وبذلك أطاح يلبغا الناصري بحكم برقوق وأصبح الطريق مفتوحا أمامه لتولي الحكم، لكن معارضة منطاش ومن معه من المماليك منعته من اتخاذ تلك الخطوة، فأعاد الحكم للسلطان

---

(1) ابن حجر، أنباء، ج1، ص 385.

(2) محمد بن أبي بكر العباسي ت سنة 808 هـ/ 1405م، ابن تغري بردي، النجوم، ج 13، ص 154؛ السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة، "راجعه جمال محمود مصطفى، دار الفجر للتراث، القاهرة، سنة 1999م، ص 389.

(3) ابن حجر، أنباء، ج1، ص 365.

(4) من هؤلاء الخائنين لبرقوق احمد بن يلبغا، أيدكار، فارس الصرغتمش، شاهين أمير آخور، وغيرهم، المقريزي، السلوك، ج3، ص 599؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج11، ص 265؛ الصيرفي، نزهة، ج 1، ص 192 - 193.

(5) ابن حجر، أنباء، ج1، ص 367؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج11، ص 275 - 276.

(6) ابن حجر، أنباء، ج1، ص 369.

حاجي بن الأشرف شعبان ت 814هـ/ 1411م، ولكي يوطد أقدامه أخذ يوزع المناصب على أتباعه، وصار متحكما في كل شئون البلاد[1].

ولقد ترتب على استبداد الناصري بأمور البلاد، غضب شريكه منطاش غضبا شديدا وأعلن العصيان عليه في 16 شعبان سنة 791هـ/ 12 أغسطس 1388م[2] حتى انتصر منطاش عليه وحبسه بالإسكندرية.

وظل محبوسا حتى عاد برقوق للحكم ووصل القاهرة في 14 صفر[3] 792هـ/3 فبراير1390م فأمر بالإفراج عنه في 18 صفر 792 هـ/ 7 فبراير 1390م، ثم أمره بالتوجه لقتال منطاش وجعله قائدا على الجيوش، ورغم ذلك فقد جاءت الخيانة من الناصري لبرقوق مرة ثانية، الأمر الذي انتهى بقتله على يد برقوق[4].

**ثانيا: حركة الأمير على باي[5]:**

ادعى الأمير على باي أنه مريض في إطار حيلة لقتل السلطان برقوق في 19 ذي القعدة سنة 800 هـ حتى يزوره السلطان في بيته كعادته مع الأمراء، في حين أنه جهز بيته فأخلى حريمه وخيوله وجهز كثيرا من مماليكه بالسلاح لينقضوا على السلطان بمجرد دخوله من الباب وينتهي من عدوه[6].

---

(1) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، م9، ص 113.

(2) المقريزي، السلوك، ج3، ص 644؛ ابن حجر، أنباء، ج1، ص 372 – 373؛ ابن تغري بردي، النجوم، ح11، ص 335 – 336.

(3) اتفق كلا من، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، م9، ص 199؛ العيني، عقد الجمان، ص 297؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص2، على الأفراج عنه في 18 صفر؛ ولكن ابن إياس، بدائع، ج1، ص 430، ذكر دخوله في 16 ربيع أول سنة 792 هـ، ولم يحدد يوم الأفراج عن يلبغا وقال أفرج عنه في ربيع.

(4) العيني، عقد الجمان، ص 336، 337.

(5) المقريزي، السلوك، ج3، ص 903 وكتبه "ألي باي"؛ أما ابن حجر، أنباء، ج2، ص 16 – 18؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص 82 على باي، أما العيني، عقد الجمان، ص 449 "علباي" وهو أحد مماليك برقوق ترقى حتى صار خازندار قتل سنة 800ه/1397م، ويضيف العيني أنه كان يريد قتله في الثاني عشر من ذي القعدة سنة 800/1397م.

(6) ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص 82 – 84؛ ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، ج3، ص 664.

ويوضح لنا المؤرخون أن سبب ذلك العصيان كان تعرض مملوك لعلي باي يسمى نكباي لجارية الأمير أقباي الطرنطاي فقام الأمير أقباي بضرب نكباي مملوك على باي نحو من أربعمائة عصا، فشكي على باي الأمير أقباي إلى السلطان ليقبض عليه ولكن السلطان لم يفعل، فغضب على باي وقرر الانتقام من السلطان بقتله[1]، ووضع على باى خطة التخلص من برقوق إلا أنه فشلت عندما قام أحد جيرانه[2] بإخبار السلطان بمكيدة على باي.

أخذ على باي يعض أصابع الندم على فوات فرصة قتل برقوق واشتعلت نار غضبه وقام بقتل المملوك الذي أوقفه حارسا بالباب، ثم أسرع وركب خيوله وانطلق ومعه أربعين فارسا ليلحق بالسلطان الذي أغلق أبواب القلعة، فقاتل على باب مماليك السلطان أمام باب القلعة ولكنه انهزم ثم قبض عليه وقتل[3].

وبعد قتل على باي تباعدت الألفة بين الأمراء والسلطان برقوق واشتد فزعهم منه خشية أن يكون على باي قد ذكر للسلطان أن واحدا منهم قد خطط معه لقتل السلطان، ومن حينئذ فسد أمر السلطان مع مماليكه واتسع أمر الخلاف معهم حتى مات، أما السلطان لخوفه منهم فلم ينزل من القلعة حتى مات[4] ثم إنه أمر في 16 محرم سنة 801هـ/ 28 سبتمبر 1398م بالقبض على سبعة من الأمراء إخوة وأقارب على باي وأمر بقتلهم[5].

**ثالثا: تمرد جرباش الظاهري[6]:**

قبض برقوق في 13 صفر سنة 801 هـ/ 26 أكتوبر سنة 1398م على الأمير جرباش الظاهري، الذي ظهرت أسباب تمرده عندما سأله السلطان بعد القبض: لماذا تريد قتلي وأنا أستاذك؟ فقال "أنت لم ترقني ورقيت زملائي وهم أقل مني واشتريتهم بعدي، فأمر بالقبض عليه"[7].

---

(1) العيني، عقد الجمان، ص 452؛ أضاف ابن قاضي شهبة في تاريخ، ج3، ص 664، إذا قتل السلطان والأمراء ويتصرف في الملك.

(2) هو سودون الأعور، المقريزي، السلوك، ج3، ص 903، كما نادته امرأة وحذرته؛ الصيرفي، نزهة، ج1، ص 468.

(3) العيني، عقد الجمان، ص 453.

(4) المقريزي، السلوك، ج3، ص 907؛ ابن إياس، بدائع، ج1، ص 507.

(5) العيني، عقد الجمان، ص 480؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج 12، ص91.

(6) جرباش الظاهري أمير آخور، ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص 92؛ وذكره العيني، عقد الجمان، ص 481، باسم سرباش، واتفق ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص 92 مع المقريزي والصيرفي في أسباب القبض عليه.

(7) المقريزي، السلوك، ج3، ص 919؛ الصيرفي، نزهة، ج1، ص 482؛ لم يذكر العيني، عقد الجمان، ص 481، سبب القبض عليه، واتفق ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص 92 مع المقريزي والصيرفي في أسباب القبض عليه.

**رابعا: عصيان الأمير نوروز[1]:**

اتفق نوروز مع بعض المماليك على قتل السلطان على فراشة في أثناء نوبة حراستهم بالقصر الصغير[2]، ثم يكسرون الثرية المعلقة بقناديلها الموقدة وتكون إشارة على قتل السلطان، فيركب نوروز ويملك القلعة بغير قتال[3].

وعلى الرغم من ذلك التدبير المحكم فقد أخبر أحد هؤلاء المماليك[4] السلطان بالمؤامرة فأخفي الأمر حتى كان اليوم الموعود، فنادي على الأمير نوروز كأنه متعب ويتكأ عليه ثم أشار إلى حراسه فقبضوا عليه، ويوضح المؤرخون أسباب القبض عليه أنه كان يعرف بمؤامرة على باي سنة 800 هـ/1397م ولم يخبر السلطان بها، كما تخاذل في فتح باب القلعة للسلطان، عندما أسرع إليها قبل أن يقتله على باي، ثم تدبيره المؤامرة الأخيرة لقتل السلطان فقبض عليه[5].

## عهد السلطان فرج بن برقوق:

**أولا: انتفاضة يلبغا المجنون[6]:**

جاءت الفرصة يلبغا المجنون عندما خرج السلطان والأمراء لقتال الخارجين عليه من الأمراء بالشام، فأعلن العصيان بمدينة دمياط في 9 رجب سنة 802هـ/7 مارس 1400م وأفرج عن الأمراء المحبوسين الذين أمر السلطان بنقلهم للإسكندرية، ثم وصل إلى ديروط[7] بعض الأمراء المحبوسين أيضاً فأطلقهم، ثم كتب إلى نائب البحيرة ليأتيه بخيول الطواحين، كما قصد مدينة دمنهور فقبض على واليها، وخضعت له العربان فكثرت جموعه[8].

ولكي يغري أهل البحيرة بالانضمام إليه نادي بحط الخراج عنهم لمدة ثلاث سنين، كما انضم إليه نائب الوجه البحري وعظم خطره، فأرسل السلطان لحاكم الإسكندرية بأخذ الحذر

---

(1) نوروز الحافظي صار رأس نوبة، قتل سنة 817ه/1414م، ابن حجر، أنباء، ج3، ص 50؛ ابن إياس، بدائع، ج2، ص 14.

(2) بناه العزيز بالله الفاطمي، وموضعه حيث البيمارستان المنصوري، المقريزي، الخطط، ج2، ص 458.

(3) ابن حجر، أنباء، ج2، ص 38؛ العيني، عقد الجمان، ص 481.

(4) الذي أخبر السلطان هو قاني باي، ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص 93.

(5) المقريزي، السلوك، ج3، ص 919 -920؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص 92 -93.

(6) يلبغا الأحمدي الظاهري المعروف بالمجنون تولى الإستادارية قتل سنة 802هـ/1399، ابن قاضي شهبه، تاريخ ابن قاضي شهبة، م4، ص138؛ ابن حجز، إنباء، ج2، ص106؛ ابن إياس، بدائع، ج1، ص586

(7) ديروط، إحدى بلاد مركز المحمودية بالبحيرة، رمزي، القاموس، ق2، ج2، ص270

(8) المقريزي، السلوك، ج3، ص1006؛ ابن حجز، أنباء، ج2، ص104.

والتيقظ على المسجونين بها، وحفظ المدنية، كما أنكر على العربان انضمامهم له وعدم القبض عليه، وأن السلطان حط الخراج أيضا عن البحيرة لمدة ثلاث سنين[1].

خشى يلبغا من تحالف العربان مع قوات المماليك ضده، فاتجه إلى الغربية ودخل المحلة الكبرى ونهب دار الكاشف[2]، كما قبض على أحد أعيانها "إبراهيم بن بدوي" وأخذ من بيته ثلثمائة قفة فلوس وست قفاف عن كل قفة ستمائة درهم، ثم انتقل إلى الشرقية وسار حتى وصل إلى العباسة[3]، واقترب من القاهرة، فاضطربت القاهرة وأغلقت الأبواب وحبست الخيول لكيلا يستولى عليها.

توجه يلبغا إلى قطيا[4] فأرسل إليه الأمير بيبرس[5] نائب السلطان أمانا صحبة أحد عمال البريد ولما قرأه أمر بتفييده ثم أقبل بجموعه إلى القاهرة فخرج الجيش للقائه وحدثت معركة كبيرة، هزم فيها يلبغا ولكنه فر في عشرين فارسا إلى جهة القلعة، ثم سار نحو الصعيد وانتهى أمره هناك غريقا في النيل بعد أن أكل السمك وجهه[6].

**ثانيا: حركة الجراكسة والروم:**

جاءت الفرصة لتنفيذ الخطة يوم النوروز[7] 24 ربيع أول سنة 808 هـ/21 سبتمبر1405م عندما جلس السلطان مع جماعة من الأمراء والمماليك وشرب الخمر، حتى غلبه السُكر، ثم ألقى بنفسه في فسقيه ماء، وألقى الأمراء بأنفسهم معه، وصار السلطان يسبح في الماء

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص203.

(2) الكاشف، المسئول عن كشف الجسور والسدود، واشتقت من الكشف والإظهار للمختفي، القاموس المحيط، ج3، ص18؛ المعجم الوجيز، ص535.

(3) العباسية، هي أول ما يلقى الخارج من مصر إلى الشام وسميت بعباسية بنت أحمد بن طولون، من قرى أبو حماد شرقية، رمزي، القاموس، ق2، ج1، ص69.

(4) قطيا، قرية صغيرة تقع على بعد يوم من الفرما، وهي نهاية الدرب بحيث لا يمكن الوصول إلى الديار المصرية إلا منها، وتؤخذ بها المرتبات السلطانية من التجار الواردين إلى مصر والصادرين منها، ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص167؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص377.

(5) بيبرس الظاهري نائب الغيبة، ت سنة 811هـ/1408م، ابن تغري بردي، المنهل، ج3، ص481، السخاوي، الضوء، ج3، ص21.

(6) المقريزي، السلوك، ج3، ص1018؛ ابن حجز، إنباء، ج2، 106؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص214.

(7) عيد النوروز، هو عيد رأس السنة القبطية، القلقشندي، صبح الأعشي، ج2، ص429؛ المقريزي، الخطط، ج1، 493.

ويمازحهم وترك الوقار، فجاء أحد أمراء الجراكسة[1] من خلفه وجذبه بشدة وأخذ يغمره في الماء مرارا كأنه يلاعبه، حتى أصفر وجه وضاق صدره وأشرف على الموت، فانتبه له أحد الأمراء الروم فحمله وخلصه من يده وأخذ يسب ذلك الأمير الجركسي، وهم بقتله فمنعه السلطان، وقال له كان يلعب معي، ولكنه أسرها في نفسه، ثم أخذ يذم الجراكسة وهم قوم أبيه وشوكة دولته وأكثر عسكره، وأخذ يمدح الروم ويتعصب لهم، مما أغضب الأمراء الجراكسة فأخذوا حذرهم وطلبوا من السلطان إبعاد بعضهم[2] فأبى عليهم فتحزبوا عليه واجتمعوا على الأمير الكبير بيبرس ابن أخت برقوق[3].

**ثالثا: تمرد الأمراء الظاهرية[4]:**

عقد جماعة من أمراء – الظاهر برقوق – العزم على قتل السلطان فرج في أول صفر سنة 812هـ/15 يونية 1409م وذلك لعدة أسباب منها:- تقديمه مماليكه عليهم، وكثرة إنفاقه الأموال عليهم، واختصاصهم بالوظائف، مما أوغر صدورهم عليهم، وعزموا على التخلص من فرج الذي أحب الروم (جنس أمه) وكره الجراكسة لكثره تمردهم[5].

وقد لاحظ السلطان تغير أحوال الجيش بعد أن علم بعض المماليك بالمؤامرة فاضطربت المماليك، وكثر كلام الجنود، وهدُمت الخيام وحدثت ضجة عظيمة، وتحرك غير معلوم فاشتد اضطراب الجيش، وكثر قلق السلطان طوال الليل حتى طلع الفجر، وظهر أن الذين تآمروا قد

---

(1) ذكر ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص329، أنه الأمير أزبك الإبراهيمي ت سنة 1405/808؛ أما السخاوي، الضوء، ج2، ص273 فذكر وفاته سنة 807ه/1404م تقريبا، والأرجح ما ذكره، ابن تغري بردي الذي كان معاصراً له.

(2) تغربردي والد ابن تغري بردي والأمير أرغون، المقريزي، السلوك، ج4، ص1167؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص328.

(3) المقريزي، السلوك، ج3، ص1177؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص 329.

(4) ذكر المقريزي، السلوك، ج4، ص95، إن المماليك الظاهرية تحدثوا عن إثارة فتنة، أي تدبير مؤامرة لقتله كما أتفق معه ابن تغري بردي، النجوم، ج13؛ ص78، أما ابن حجز، إنباء، ج2، ص421 فذكر أنهم يريدون الركوب على السلطان، أما ابن إياس، بدائع، ج1، ص794، فذكر أنهم قصدوا قتله.

(5) المقريزي، السلوك، ج4، ص95؛ ابن حجر، إنباء، ج2، ص421؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج3، ص 78.

هربوا إلى الأمير شيخ وهم الأمراء تمراز الناصري[1]، وسودون بقجة[2]، وإينال المنقار[3]، وغيرهم من الأمراء والمماليك [4] مما أدى لخلخة الجيش.

وأمام ذلك الموقف الصعب استشار السلطان من حوله، فأشار عليه فتح الله كاتب السر بالثبات[5] في مكانه حتى يأتيه من كان طائعا ويعرف عدد جيشه فيهاجم أو يعود، أما الأمير جمال الدين[6] فقد رأى أن يرحل السلطان إلى مصر ويترك حرب الأمير شيخ والأمراء، ولكن السلطان أخذ برأي فتح الله، ثم توجه إلى شيخ فقاتله حتى تم الصلح وانتهى العصيان ونجا السلطان.

**رابعاً: حركة شيخ ونوروز الاستقلالية:**

طغت ظاهرة عصيان الأمراء في عهد السلطان فرج الذي أراد أن يثبت استحقاقه للحكم بكثرة مطاردته لهؤلاء العصاة، ولذا أرسل لشيخ ونوروز يخيرها بين ثلاثة أمور:- الأول: الخروج من مملكته، والثاني: الاستعداد لقتاله، والثالث: الرجوع إلى طاعته وأخبرهما بأنه سيقيم ببلاد الشام لمدة ثلاث سنوات حتى ينتهي أمرهما[7] ولكنهما رفضا، ثم ما لبث الصراع أن أشتعل بينهما ببلاد الشام فلما أحسا بالخطر يحيط بهما عندما خرج فرج في 4 ربيع أول سنة 813هـ/ 8 يوليو 1410م تركا التقاتل فيما بينهما وعقدا صلحا، وحلف كل للأخر ولكن لماذا؟ إنه الخوف من أن يظفر السلطان بأحدهما فيتفرغ للأخر[8].

---

(1) تمراز الناصري نائب السلطنة، ت سنة 814ه/1411م، انظر: المقريزي، السلوك ج4، ص201؛ ابن تغري بردي، المنهل، 3، ص78.

(2) سودون بقجة ت سنة 1410/813م، السخاوي، الضوء، ج3، ص282.

(3) إينال المنقار، ت سنة 1410/813م، السخاوي، الضوء، ج2، ص327.

(4) من هؤلاء الذين فروا الأمير علان، قرايشبك، سودون الحمصي، ابن تغري بردي، النجوم، ج13، ص78.

(5) فتح الله بن معتصم التبريزي ت سنة 1413/816م السخاوي، الذيل التام، م1، ص487؛ الضوء، ج6، ص165.

(6) جمال الدين يوسف البيري، ت سنة 1409/812م، الصيرفي، نزهة النفوس، ج2، ص260.

(7) المقريزي، السلوك، ج4، ص139؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج13، ص105.

(8) المقريزي، السلوك، ج4، ص153؛ ابن حجز، إنباء، ج2، ص449؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج13، ص112.

ولما ضيق السلطان الخناق على الأميريين ببلاد الشام هربا إلى مصر، وكان لهما هدفان: الأول الاستيلاء على القلعة وسلطنة ابن السلطان الطفل الرضيع، الثاني الابتعاد عن قوات السلطان التي تلاحقهم، أما السلطان فقد أرسل في أثرهم الأمير بكتمر جلق[1]، وجماعة من الأمراء، وبالفعل قدم الأميران القاهرة في 8 رمضان سنة 813هـ/6 يناير 1411م كما أنهما استعانا بعربان بني وائل من عرب الشرقية[2] والأمير سعد كاشف الشرقية والعديد من الأمراء والكثير من الذعر الذين ينتظرون الفرصة للنهب، أما الأمير شيخ فإنه أقام رجلا واليا للقاهرة ونادي بالأمان وترخيص الأسعار وإزالة المظالم فمال إليه كثير من العامة واستطاعوا أن يملكوا المدرستين المواجهتين للقلعة (مدرسة الأشرف شعبان، ومدرسة السلطان حسن) واجتهدوا في قتال أهل القلعة.

ووصلا إلى القلعة ولكن الحراس لم يفتحوا الباب، واعتذروا بأن المفتاح مع الزمام[3] كافور فاستدعوه، ولكنه حذرهم من نهب الحريم، فقالوا له لا نريد النهب بل سلطنة ابن السلطان.

وحينما سألهم عن السلطان قالوا لو كان حيا ما كنا هنا، وبعد إلحاح منهم لفتح الباب، طلب منهم أن يحلفوا أمام القضاة على ألا يمسوا الطفل بسوء فوافقوا، وكان كافور يريد مطاولتهم بالوقت حتى يصل بكتمر جلق لنجدة القلعة، فباتوا على ذلك ولكن في الصباح ظهرت طلائع الجيش، وارتفع التهليل والتكبير، فهرب الأميران إلى الكرك فحاصرهم بها السلطان في 24 ذي القعدة سنة 813هـ/19 مارس 1411م ثم اصطلحا مع السلطان[4].

**خامسا: تمرد الأمير جانم من حسن شاة[5]:**

خطط جماعة من الأمراء لقتل السلطان أثناء رحلته للصيد بسرياقوس[1]، وما أن علم السلطان في 20 رجب 814هـ/10 نوفمبر 1411م حتى عاد مسرعا وأخذ يفحص عن الأمراء العصاة.

---

(1) بكتمر بن عبد الله، ت سنة 815ه/1412م، ابن حجز، إنباء، ج2، 515؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج3، ص 403.

(2) ابن تغري بردي، النجوم، ج13، ص 109؛ وأضاف المقريزي، السلوك، ج4، ص152 أنهم استعانوا بعربان الزهور وأمير سعيد كاشف الشرقية.

(3) أصله الزنان وهو المتحدث على باب ستارة السلطان أو الأمير من الخدام أو الخصيان، القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص459.

(4) المقريزي، السلوك، ج4، ص186؛ أبن حجز، إنباء، ج2، ص483؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج13، ص116.

(5) جانم من حسن شاه قتل سنة 814هـ/1411م، المقريزي، السلوك، ج4، ص201؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج4، ص216.

فعلم أن زعيمهم الأمير جانم من حسن شاة[2] ت 814هـ/1411م، ثم أرسل السلطان الأميرين بكتمر جلق وطوغان الحسني[3] للقبض على رأس الفتنة، الأمير جانم والذي كان في إقطاعه بالغربية بقرية منية ابن سلسيل[4] فرسما خطة محكمة للقبض عليه، وهي أن يسير بكتمر جلق في البر ليسد عليه طريق الهرب، ويكون طوغان في النيل، فوجده طوغان بالنيل وقاتله على ظهر المراكب حتى تغلب طوغان على جانم وضيق عليه الخناق، فلم يجد للنجاة سبيلاً إلا أن يلقى بنفسه في النيل، ولكن أصحاب طوغان كانوا له بالمرصاد فرموه بالسهام حتى قتل، ثم قطعت رأسه في 22 رجب سنة 814هـ / 13 نوفمبر 1411م[5].

**سادسا: الأمراء العصاة للسلطان بالشام:**

توجه الناصر فرج في أول محرم سنة 815هـ/ 13 أبريل 1411م لقتال الأمراء الذين خرجوا عن طاعته بالشام، وما أن سمعوا بمقدمه فروا من أمامه فطمع في الانتصار عليهم، ولكن عند أول لقاء فر كثيراً من أمراء جيشه، ونصحه فتح الله كتاب السر بالتوجه لدمشق فاتهمه بالخيانة[6] كما نصحه الأمير دمرداش[7] بالتوجه لمصر ولكنه رفض فأحاط الأمراء العصاة بالخليفة المستعين[8] وفتح الله كاتب وجميع رجال الناصر، فلجأ الناصر إلى قلعة دمشق فحاصروه بها ثم نادوا بخلعه من السلطنة، واتفقوا على سلطنة الخليفة المستعين، فأنفض المماليك والناس عن الناصر فقتل في 16 صفر سنة 815هـ/29 مايو سنة 1411م[9].

---

(1) خانقاة سرياقوس تقع شمال القاهرة على بعد بريد منها، أنشأها الناصر محمد سنة 725هـ/1324م، المقريزي، الخطط، ج2، ص420.

(2) جانم من حسن شاه قتل سنة 814ه/1411م، المقريزي، السلوك، ج4، ص201؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج4، ص216.

(3) طوغان بن عبد الله الحسني الدوادار، ت سنة 818ه/1415م، ابن تغري بردي، المنهل، ج7، ص18؛ السخاوي، الضوء، ح 4، ص11.

(4) منية ابن مسلسل من القرى القديمة التابعة لمركز المنزلة دقهلية، رمزي، القاموس، ق2، ج1، ص204.

(5) المقريزي، السلوك، ج4، ص186؛ ابن حجز، إنباء، ج2، ص485؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج13، ص125.

(6) المقريزي، السلوك، ج4، ص206

(7) دمرداش المحمدي نائب حلب ت سنة 818ه/1415م، ابن تغري بردي، المنهل ج5، ص311؛ السخاوي، الضوء، ج3، ص29

(8) المستعين بالله بن المتوكل محمد بن المعتصم تولى السلطنة في 25 محرم سنة 815-30 رجب 815هـ/8مايو 1412-23 نوفمبر 1413م؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج13، ص146، ج14، ص3، ت سنة 1429/833؛ المقريزي، السلوك، ج4، ص844؛ ابن حجر إنباء، ج3، ص445؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص340.

(9) المقريزي، السلوك، ج4، ص224؛ ابن حجر، إنباء، ج2، ص510-511؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج13، ص148.

## عهد المؤيد شيخ (815-824هـ/1412/1421م):

### أولا: حركة الأمير طوغان الحسني ت818هـ/1415م[1]:

خطط الأمير طوغان الحسني للتخلص من السلطان شيخ فلبس السلاح وألبس مماليكه في 16 جمادي الأولى سنة 816هـ/16 أغسطس 1413م، ومعهم جماعة من الناقمين على السلطان من المماليك الظاهرية برقوق، والناصرية فرج، وكانت خطته تعتمد على اجتماع المماليك أمام بيته ليلا فأخذ ينتظرهم[2]. إلا إنهم خافوا من بطش السلطان بهم فتراجعوا ولم يخرجوا للانضمام لطوغان، فأعاد طوغان حساباته مرة أخرى، ورأى أن يختفي بالقاهرة حتى تواتيه الفرصة للعصيان بعد ذلك إذا كثرت جموعه، فخرج متخفياً ومعه مملوكين فقط أما السلطان فإنه نادى في القاهرة بالأمان بعد أن أغلقت المتاجر "وإن من أحضر طوغان فله ما عليه وله خبزه"[3] فظهر أنه مختبأ في بيت صهره وزوج ابنته المسمى ابن بنت الملكي، فقبض عليه في العشرين من جمادي الأولى سنة 816هـ/20 أغسطس 1413م وحبس بالإسكندرية.

### ثانيا: تمرد الأمير قاني باي المحمدي[4]:

---

(1) ذكر المقريزي، السلوك، ج4، ص265، أن طوغان استعد للركوب على السلطان، ووافقه العيني، السيف المهند في سيرة الملكشيخ، ت فهيم شلتوت ط هيئة قصور الثقافة سنة 2003؛ وانفق معه الصيرفي، نزهة، ج2، ص339، أما ابن حجر، إنباء، ج3، ص12، فذكر لفظ الوثوب، بمعنى الهجوم.

(2) المقريزي، السلوك، ج4، ص265؛ ابن حجر، إنباء، ج3، ص12؛ العيني، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ، تحقيق: فهيم شلتوت، الهيئة العامة لقصور الثقافة سنة 2003، ص317؛ الصيرفي، نزهة، ج2، ص329.

(3) الخبز هو الإقطاع، وإقطاع مقدمي الحلقة ألف وخمسمائة دينار، وإقطاع أعيان الجنود مائتين وخمسين دينار، ابن تغري بردي، النجوم، ج14، ص6، هامش 1.

(4) قاني باي المحمدي الظاهري نائب الشام، قتل سنة 818هـ/1415م، السخاوي، الضوء، ج4، ص196.

رفع الأمير قاني باي المحمدي راية العصيان[1] مع الأمراء في 22 رجب سنة 818هـ/28 سبتمبر 1415م على السلطان شيخ، فخرج السلطان لقتالهم، وعند اللقاء فروا، وقبض على قاني باي ونودي عليه: "هذا جزاء من خان السلطان وأطاع الشيطان وعصى الرحمن"[2] وكان جزاؤهم القتل لأنهم قالوا عن سبب عصيانهم: ما خرجنا إلا لقتل السلطان.

**ثالثا: تمرد الأمير أقباي بن عبد الله المؤيدي نائب الشام، ت820هـ/1417م[3]:**

اشترى الأمير أقباي من المماليك والخيول والسلاح أضعافا مضاعفة، كما تحالف مع المماليك العصاة الذين كانوا مع الأمير قاني باي بعد قتله سنة 818هـ/1415م، وأنكر عليه السلطان عدم قيامه بالقبض على بعض الأمراء العصاة الذين أمره بالقبض عليهم، ثم إنه جاء إلى مصر بغته دون إذن السلطان، وعندما علم آقباي بسفر السلطان لبلاد الشام خشى القبض عليه وبادر بالحضور إليه ليزيل شكوك السلطان من جهة فيطمأن إليه، وليمنع السلطان من الخروج بالجيش لقتاله من جهة أخرى، وكان السلطان من الذكاء بمكان فقد أنعم عليه وأحسن

---

(1) ذكر المقريزي، السلوك، ج4، ص328، ألفاظ خامر، وعصى؛ ووافقه العيني، عقد الجمان ص229، فذكر كلمة عصيان، مخامرة، فتنة كبيرة، كما ذكر في السيف المهند، ص333 أيضاً، العصيان، فتنة كبيرة، وفي ص 336 المخامرين؛ واتفق معه ابن تغري بردي، النجوم، ج14، ص37، وكلها ألفاظ متقاربة المعنى، وهي تعنى العصيان.

(2) المقريزي، السلوك، ج4، ص328؛ ابن حجز، إنباء، ج3، ص68؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج14، ص36.

(3) ذكر المقريزي، السلوك، ج4، ص419، أشيع عن أقباي نائب الشام الخروج عن الطاعة، وذكر أسباب عصيانه أن السلطان اشتراه صغيرا وجعله خازندارا له، وعندما تولى الحكم جعله من الأمراء وجعله دوادارا كبيرا ثم ولاه حلب ولكن أقباي كان متكبرا وكلما انتهى إلى منزله أراد أعلى منها فأوى اتباع قاني باي بعد قتله واستكثير من المماليك وجاء للقاهرة دون إذن السلطان فولاه نيابة الشام ولكنه كان يظهر السرور إذا مرض السلطان ونقل عنه الأمراء ذلك فقبض عليه، واتفق معه كلا من ابن تغري بردي، النجوم، ج14، ص58؛ الصيرفي، نزهة، ج2، ص 395، أبن نائب حلب وقاتله فهرب منه للقاهرة وأنه أشاع عنه أنه عاصي، والصواب ما أجمع عليه المؤرخون.

لقاءه ولم يعاتبه على قدومه لمصر دون إذنه، حتى إذا فرح بما خطط له قبض عليه، وقضى على حركته وتمرده[1].

## عهد السلطان برسباي (825-841 هـ/1421-1437م):

### حركة الأمير أزبك[2]:

اتفق الأمير أزبك مع جماعة من الأمراء والمماليك على قتل برسباي في 6 ذي الحجة سنة 831هـ/17 سبتمبر 1427م حيث تآمروا على قتله ليلا من خلال إلقاء السهام عليه من مساكن المماليك بالقلعة، فقد ألقى عليه ثلاثة سهام ذات ليلة، ثم تتابع رمي السهام عليه من أمامه ومن خلفه[3].

ولما علم السلطان أن هؤلاء الأمراء والمماليك يجتمعون عند الأمير أزبك قبض عليه ونفاه إلى القدس، كما نفي جماعة من الأمراء إلى الصعيد وجماعة إلى الشام، وأخذ حذره من المماليك، وإن كان ابن تغري بردي يرى أن القبض على أزبك والمماليك كان بسبب الأمير الهارب جانبك الصوفي[4]، وهذا الرأي ليس صحيحا فقد ذكر هو نفسه أن السلطان عندما قبض

---

(1) المقريزي، السلوك، ج4، ص419، أبن حجر، إنباء، ج3، ص371؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج14، ص58.

(2) أزبك الدودار ت بعد نفيه للقدس سنة 833ه/1429م، السخاوي، الضوء، ج2، ص273؛ الذيل لتام، ج1، ص568.

(3) ذكر المقريزي، السلوك، ج4، ص783-784، القبض على الأمير أزبك ونفيه للقدس بعد القبض على جماعة من الخاصكية، ثم ذكر السبب، واتفق معه ابن تغري بردي، النجوم، ج14، ص321؛ أما بن حجر، إنباء، ج3، ص407 فذكر القبض على أزبك فقط في حين أننا نجد؛ الصيرفي، نزهة، ج3، ص135-136 يذكر القبض على الأمراء، ولم يوضح من هم الأمراء أو سبب القبض عليهم.

(4) جانبك الصوفي ت سنة 841ه/1438م، ابن تغري بردي، النجوم، ج15، ص211؛ السخاوي، الضوء، ج3، ص57.

على الأمراء سألهم "إن قتلتموني من الذي تسلطنوه؟ قالوا الأمير أزبك" هذا الاعتراف الصريح منهم يبعد التهمة عن جانبك الصوفي[1].

## عهد جقمق (842-857هـ / 1438-1453م):

### حركة الأمير قرقماس [2]:

انتهز الأمير قرقماس فرصة عصيان المماليك من أجل زيادة رواتبهم[3]، ليقضى معهم على السلطان جقمق، وذلك لتطلعه للسلطنة والاستبداد بالأمر، إضافة إلى حقده وحسده للسلطان[4].

وفي محاولة لضم المماليك لصفوفه نادى من يأتي من المماليك فله مائتا دينار، ومن يأتيه من العامة فله عشرين دينار، فرد عليه السلطان بأن من كان طائعا يأتيه وقام بنثر الذهب على العامة فانضموا لقواته وتركوا قرقماس، وعند التقاء الجيشين أمام القلعة انسحب كثير من اتباعه، وانضموا إلى السلطان فانهزم ثم قبض عليه[5].

## عهد خشقدم (865-872هـ / 1460-1472م):

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم، ج14، ص321.

(2) قرقماس الشعباني الظاهري برقوق ترقي حتى صار أمير سلاح، قتل سنة 842ه/1438م، المقريزي، السلوك، ج4، ص1149؛ ابن حجر، إنباء، ج4، ص124.

(3) ذكر المقريزي، السلوك، ج4، ص1091 ثارت المماليك وطلبوا زيادة رواتبهم، وأخذوا ينتظرون نزول الأمراء من القلعة ليحدثوا السلطان فيما أرادوا، حتى جاء قرقماس فوعدهم أن يتحدث مع السلطان حتى كثر جمعهم وأركبوه للقتال؛ ويتفق معه ابن تغري بردي، النجوم، ج15، ص264، الذي كان شاهد عيان لتلك الأحداث؛ أما أبن إياس، بدائع، ج2، ص201، فيسميها فتنة ويذكر أن قرقماس أراد القبض على جقمق أثناء لعب الكرة فقام بمعانقته ولكن لم يأت أحد من الأمراء، فأنفلت منه السلطان وساق نحو الدهيشة بالقلعة، فليس قرقمس السلاح ومعه مماليكه وجماعة كثيرة من الأمراء، وهي رواية مغايرة لما ذكره المعاصرون من المؤرخين.

(4) ابن تغري بردي، النجوم، ج15، ص265.

(5) المقريزي، السلوك، ج4، ص1093؛ ابن حجر، ج4، ص96؛ الصيرفي، نزهة، ج4، ص31.

**تمرد الأمير يرش[1]:**

رفع الأمير يرش راية العصيان، وخطط لقتل السلطان خشقدم والإطاحة بحكمه في ذي الحجة سنة 868هـ/ أغسطس 1463، وذلك احتجاجاً على مقتل أستاذه جانبك سنة 867هـ/1462[2]، وبالفعل اتفق الأمير يرش مع جماعة من مماليك السلطان على قتل السلطان وهو بالدهيشة[3] وقت الظهر، ولكن الخبر وصل إلى السلطان الذي أمر على الفور بالقبض على الأمير يرش وضربه ضربا مبرحا، وانتهى أمره بالقتل[4].

## عهد تمربغا (872هـ/1467م):

**عصيان الأمير خير بك[5]:**

طمع الأمير خير بك في منصب السلطنة، ومن ثم دبر لعصيان كبير لخلع السلطان تمربغا الذي أخذ حذره واستعان بصهره الأمير كسباي[6] ومن معه من الأمراء الجراكسة، أما خير بك فقد استعان بأبناء جنسه[7] من المماليك، واستطاع خير بك إقناع جماعة من الأمراء والمماليك بالانضمام إليه مقابل توزيع المناصب والاقطاعات لهم والقضاء على المماليك الظاهرية جقمق

---

(1) يرش الدواداري جانبك، ت سنة 868هـ/1363م، السخاوي، الضوء، ج10، ص269.

(2) جانبك الظاهري جقمق الدوادار، ت سنة 867 ه/1362م، السخاوي، الضوء، ج3، ص57-59.

(3) الدهيشة، أنشأها الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون سنة 745ه/1344م، المقريزي، الخطط، ج2، ص212.

(4) ابن إياس، بدائع، ج2، ص422.

(5) ذكر أبن إياس، بدائع، ج2، ص472، أن خاير بك يقصدان يوثب على السلطان ويقبض على جماعة من الأمراء، وتوثب، بمعنى استولى عليه ظلما؛ القاموس المحيط، ج1، ص135.

(6) كسباي الظاهري خشقدم الدوادار، ت سنة 1476/881م، السخاوي، الضوء، ج6، ص299.

(7) ذكر ابن تغري بردي في النجوم، ج6، ص387، أن خير بك من جنس آبزا وذكرهم؛ العيني في السيف المنهد، ص 26-27 أنهم بطن الجراكسة تتكلم بلسان آبزا.

والأشرفية برسباي بعد القبض على الأمراء الظاهرية وحبسهم والقبض على السلطان[1]، وبدأ تنفيذ الخطة في 6 رجب سنة 872هـ/ 2نوفمبر1468م منتهزا فرصة قلة عدد الأمراء الذين صعدوا إلى السلطان وقبض على الأميرين طرباي وكسباي وحبسهما[2]. ثم دخل جماعة من أتباع خير بك على السلطان فقبضوا عليه وحسبوه، وأخذوا منه شارات السلطنة[3]، وأعطوها لخير بك الذي جلس على كرسي المملكة وسمي نفسه بالعادل وأخذ يتصرف كسلطان[4].

## عهد قايتباي (872-901هـ / 1467-1495م):-

### أولا: حركة الأمراء الثلاثة:

اجتمع ثلاثة من الأمراء وهم شاد بك أبازا الأشرفي، خاير بك الاينالي، سيباي، وعقدوا العزم على التخلص من السلطان قايتباي، ولكن السلطان علم بها في رجب سنة 879هـ/ فبراير 1474م وأعاد حياة هؤلاء الأمراء العسكرية إلى الصفر، فأمر بحملهم إلى خان الخليلي ليباعوا[5]، وآل الأمر إلى أن حمل شاد بك أبازا والآخرين فحملوا إلى المنصور بدمياط فأشهد على نفسه بعنفهم، فأمر السلطان بنفي شاد بك إلى دمشق ونفي خايربك إلى طرابلس وشفع في سيباي بأن يقيم بمصر بطالا[6].

---

(1) ابن إياس، بدائع، ج2، ص 473.

(2) ذكر ابن تغري بردي أنه طراباي المحتسب أحد أصحاب كسباي، النجوم، ج16، ص387، ولم أجد له ترجمة.

(3) ذكر ابن تغري بردي أنها النمجة والدرقة والفوطة، النجوم، ج16، ص388؛ وذكر ابن إياس، بدائع، ج2، ص474، أنهما النمجة والترس.

(4) ابن تغري بردي، النجوم، ج16 ص 388؛ وذكر ابن إياس، بدائع، ج2، ص 472 أنهم لقبوه بالظاهر كأستاذه خشقدم.

(5) ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص100.

(6) ذكر ابن إياس، بدائع، ج3، ص101، أنهم قصدوا الوثوب على السلطان لما وثبو المماليك على الأمير يشبك الدوادار في ذي الحجة سنة 878هـ/ابريل 1473م.

**ثانيا: حركة الأمير جانبك الفقيه[1]:**

أصيب السلطان قايتباى بمرض حاد عجز به عن الحركة وأشيع أنه مات، فأظهر بعض الأمراء ما في نفسه من التطلع للسلطنة، وأرسل الأمير جانبك الفقيه في شهر رمضان سنة 882هـ/ ديسمبر 1477م إلى الأمير بردبك جليس[2] بأن يستميل المماليك الخشقدمية الناقمين على السلطان، ليكونوا أعوانا للأمير جانبك لتولي الحكم بعد موت السلطان[3].

وكان حلم تولي السلطنة يراود جانبك، ولكن الحلم لم يتحقق بسبب شفاء السلطان في أواخر رمضان من السنة، وافتضاح الأمر على يد الأمير يشبك[4]، الذي استدعى الأمير بردبك وضربه ضربا مبرحا ونفاه للواحات.

## عهد محمد بن قايتباي (901-904هـ/1495 - 1498م):

**أولا: تمرد قانصوه خمسمائة:**

قام قانصوه خمسمائة بتعيين الناصر محمد بعد وفاة والده وتولي قانصوه منصب قيادة الجيش، وأخذ يتتبع أنصار أقبردي بالسجن والنفي[5] ثم هجم على القلعة في 28 جماد أول سنة 902هـ/3 فبراير1497م ودخلها وكاد أن يتملكها بقواته، ثم أرسل للخليفة والقضاة الأربعة وكتبوا محضرا بخلع الناصر محمد وتولية قانصوه[6].

---

(1) جانبك من ططخ الظاهري أمير سلاح، ت سنة 883 ه/ 1478م، السخاوي، الذيل التام، م2، ص 317؛ الضوء، ج3، ص 53؛ ابن إياس، بدائع، ج3، ص148

(2) بردبك الأشرفي قايتباي، ت سنة 897ه/1491م، السخاوي، الضوء، ج3، ص6.

(3) ابن إياس، بدائع، ج3، ص136، 137.

(4) يشبك من مهدي الظاهري، ت سنة 885ه/1480م، السخاوي، الضوء، ج 10، ص272 - 275

(5) ابن الشحنة، عفيف الدين حسين بن محمد الشحنة، البدر الزاهر في نصرة الملك الناصر، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط بيروت سنة 1983، ص44-45، ابن إياس، بدائع، ج3، ص341-342.

(6) ذكر ابن الشحنه، البدر الزاهر، ص 71 أن الخليفة رفض بيعته حتى جاءوا بمن كذب وادعى أن الناصر عاجز عن الحكم، ابن طولون، مفاكهة الخلان، ق1، ص 172.

وظن قانصوه أنه السلطان، فأرسل من يأتي بشارات السلطنة من الناصر، واطمأن قانصوه لوجود الجيش والخليفة والقضاة معه، ولكن كانت المفاجأة أن أكثر من ألف مملوك من مماليك قايتباي تعصبوا لابنه محمد، ورفضوا حبسه أو تسليم الشارات، وقاتلوا قتال الموت ومعهم جماعة من العبيد والخدام، حتى هزموا قوات قانصوه، فاجتمع الخليفة والقضاة وأعادوا الناصر بعد أن خلع لمدة ثلاثة أيام[1].

ثم ظهر قانصوه في 18 جماد آخر سنة 902هـ/24 فبراير 1497م فاجتمع إليه أنصاره فأراد التوجه إلى القلعة لأخذها ولكنه علم أن مماليك القلعة قد نزلوا لقتاله ففر إلى طريق الشام ليقتل عدوه أقبردي بغزة، وهناك حدثت معركة كبيرة انتصر فيها قانصوه وكاد أن يقتل أقبردي لولا المساعدات التي جاءته من نواب الشام فانتصر على قانصوه وقتله ومن كان معه[2].

**ثانيا: حركة الأمير أقبردي الدودار:**

انقسم الجيش إلى ثلاث فرق: فرقة مع السلطان، وفرقة مع أقبردي، وفرقة مع قانصوه[3] خال السلطان وبدأ العصيان عندما هاجمت الفرقة الأخيرة بيت أقبردي ونهبوه، أما أقبردي فقد اجتمع عنده كثير من الأمراء، كما استعان أقبردي بجماعة من العربان لقتال قانصوه خال السلطان[4].

زحف أقبردي بقواته إلى القلعة وحاصرها لمدة واحد وثلاثون يوما وأهل القلعة لا يستسلمون، ولما طال أمر الحصار انسحب أتباعه وانضموا للسلطان بالقلعة[5]، وفر أقبردي لبلاد الشام، ومات بها في ذي القعدة سنة 904هـ/ يونية 1499م[6].

## عهد جان بلاط:

**أولا: تمرد طومان باى:**

---

(1) ابن الشحنة، البدر الزاهر، ص 75-79؛ ابن إياس بدائع، ج 3، ص342-345.

(2) ابن إياس، بدائع، ج3، ص348-351.

(3) قانصوه بن قانصوه الأشرفي أخو زوجة السلطان قايتباي تسلطن بعد قتل الناصر محمد في 17 ربيع سنة 1498/904م وخلع في 28 ذي القعدة سنة 905ه /1499م، ابن إياس، بدائع، ج3، ص404-405-436-437.

(4) ذكر ابن إياس، بدائع، ج3، ص 364، أنه استعان بجماعة من عربان بني وائل وعربان عزالة، POLIAK:LES REVOLTES p260.

(5) ابن إياس، بدائع ج3، ص365 – 368.

(6) ابن إياس، بدائع، ج3، ص381-389-397-398-408-411-420-421.

كان قائد الجيش جان بلاط[1]، عقبة في طريق وصول طومان باى إلى السلطنة، إذ إن الجيش لن يرضى به فسعى في سلطنة جان بلاط في 2ذي الحجة سنة 905هـ/29 يونية سنة 1500م[2].

انتهز طومان باى فرصة عصيان نائب الشام فخرج على رأس حملة عسكرية كبيرة لقتاله في ربيع الآخر سنة 906هـ/ أكتوبر 1500م وهو ينوي ألا يعود إلى مصر إلا وهو سلطان، وبالفعل بعد شهر فقط أي جمادي الأولى، انضم نائب الشام إلى طومان باي، وأعلن طومان باي نفسه سلطانا بدمشق في 5 جمادي الأولى سنة 906هـ / 28 نوفمبر 1500م بعد كتابة محضر بخلع جان بلاط، وخطبوا باسم طومان باي على منابر دمشق[3].

سعى جان بلاط لإرضاء المماليك بالمناصب والاقطاعات، وتحليفهم الايمان الغليظة أن لا يخونوا ولا ينضموا لطومان، كما قام بتحصين القلعة ووضع حولها المدافع وأصلح سورها، وخزن كثيرا من الطعام استعدادا للحصار[4]، كما أمر العلماء والخليفة وسائر رجال الدولة بالصعود إلى القلعة حتى لا ينضموا لطومان باي[5].

التقى الجيشان في 12 جمادي الآخرة سنة 906هـ/ 5 يناير سنة 1501م انهزمت قوات جان بلاط ثم انسحب كثير من الامراء وانضموا لطومان باي الذي وعدهم بالأموال، فهجم طومان على باب القلعة وملكه، فلما طال أمر الحصار اختفى جان بلاط بمكان مهجور بدور الحريم، فقبض عليه في18 جمادي الآخرة سنة 906هـ/11 يناير سنة 1501م وسجن بالإسكندرية[6].

---

(1) جان بلاط الأشرفي قايتباي قائد الجيش، حكم ست شهور وثمانية عشر يوما ثم خلعه طومان باي في سنة 1500/906م، ابن إياس، بدائع، ج3، ص 462- 463.

(2) ابن إياس، بدائع، ج3، ص 439.

(3) ابن إياس، بدائع، ج3، ص452- 453.

(4) يذكر ابن إياس، بدائع ج3، ص456، أنها كانت فتنة مهولة، نظرا لشدة الصراع بين السلطان وطومان باي الذي رفع راية العصيان ببلاد الشام أعلن نفسه سلطانا، وكلمة فتنة، تعني الاختلاف والصراع والقتال.

(5) ابن إياس، بدائع، ج 3، ص 454-457

(6) ابن إياس، بدائع، ج3، ص 458-462.

## عهد قانصوه الغوري (906 – 922 هـ/ 1501-1516م):

**أولا: حركة الأمير مصرباي[1]:**

بعد تولى الغورى السلطنة بسنة قبض على الأمير مصرباى إرضاء للأمراء[2] الذين خافوا من سطوته وغضبوا من تحكمه في شئون البلاد، ولكنه نجح في الهرب من سجنه بالإسكندرية بمساعدة مملوك له يسمى إياس مما نشر الخوف والفزع في نفوس الأمراء[3].

وأراد السلطان والأمراء القبض على مصرباي فاتفقوا في جماد أول سنة 907هـ/ نوفمبر 1501م مع الجيش على أنهم يريدون العصيان وخلع السلطان ويلبسون السلاح ليظهر مصرباي وينضم إليهم ولكنه لم يظهر، ثم نادى السلطان في القاهرة بالأمان للأمير مصرباي ولكنه لم يظهر أيضا[4].

ظهر مصرباي 12 رمضان سنة 907هـ/22 مارس 1501م أمام القلعة ومعه 12مملوكا، إلا أنه لم ينجح في محالته الفاشلة بجمع المماليك حوله[5]، ولما بلغ السلطان أن مصرباى ليس معه سوى قلة من الرجال أرسل إليه طائفة من المماليك مع والي القاهرة فاشتبكوا معه وهزموه ثم قتلوه[6].

**ثانيا: حركة الأمير جاني بك الشامي، خيربك المعروف باللامي[7]:**

هرب كل من الأمير جاني بك الشامي، وخير بك المعروف باللامي من حبسهما ببرج القلعة، وهرب معهما جماعة من المماليك المحبوسين[8].

خاف السلطان بعد هروبهما إذ كانا من ألد خصومه، وجمع الأمراء وحلفهم على المصحف بحضور الخليفة على أن لا يغدروا به أو يقوموا بالتمرد عليه[9].

---

(1) مصر باي الاشرفي قايتباي تولى الداودارية ثم حبس في المحرم سنة 907ه/1501م ثم قتل في رمضان سنة 907ه/1501م، ابن إياس، بدائع، ج 4، ص 27.

(2) ابن إياس، بدائع، ج 4، ص17.

(3) ابن إياس، بدائع ج4، ص21.

(4) ابن إياس، بدائع، ج4، ص 22-23

(5) ذكر ابن إياس، بدائع، ج 4، ص 26-27، أنه توجه نحو الازبكية وبات بها فلم يحضر إليه سوى 20 مملوكا.

(6) ويعلق ابن إياس، بدائع، ج 4، ص 27، إنه لم قتل خمدت الفتنة، أي العصيان، ثم يؤكد أنه قتله كان من جملة سعد السلطان.

(7) جاني بك الشامي، وخير بك اللامي كاشف الغربية هما من مماليك أقبردي الدودار المشهورين بالشجاعة قتلا في سنة 908ه/1502م، ابن إياس، بدائع، ج4، ص43.

(8) ابن إياس، بدائع ج4، ص18.

(9) ابن إياس، بدائع، ج 4، ص 18.

وقد فتش الوالي الكثير من البيوت والحارات بسبب اختفائهما، فقد قطعا الطريق على المماليك الذين كانوا يحملون مبلغ 12 ألف دينار إلى القلعة فأخذوه، وكان مخصصا، لنفقة المماليك مما شدد الطلب عليهما، فظفر بهما ثم قتلهما[1].

**ثالثا: تمرد قائد الجيش الأمير قيت الرجبي[2]:**

خطط الأمير قيت لتولي السلطنة، بعد أن ضمن نفقة المماليك من بدر الدين بن مزهر[3] التحالف مع سيباي نائب حلب ليظهر العصيان، ويخرج قيت بالجيش لقتاله، فإذا وصل إلى بلاد الشام انضم إليه النواب هناك ثم يعلن سلطانا، فلما تحقق السلطان، عزله عن قيادة الجيش ثم قبض عليه وصادر أمواله وحبسه بالإسكندرية[4].

ومما أكد عند السلطان قيام الأمير قيت بالمؤامرة تلك الخطابات التي أرسلها إلى سيباي نائب الشام، وكذلك اتفاقه مع كاتب السر على أن يجهز الأخير الأموال اللازمة لنفقة المماليك، ولكن السلطان علم بالمؤامرة وقبض على بن مزهر وأمر بمعاقبته حتى مات تحت العقوبة[5].

**رابعا: تمرد الأمراء الطبلخانات الأربعة[6]:**

اتفق جماعة من الأمراء على قتل السلطان الغورى، وكان القائم بهذا التمرد أربعة من الأمراء الطبلخانات' وهم: جان بردي تاجر المماليك، الأمير قلج أمير آخور ثان، بيبردي أخو "جان بلاط" الذي تسلطن، والأمير تنم المقري، وعندما تأكد السلطان من تخطيطهم أمر بنفيهم[7].

---

(1) ابن إياس، بدائع، ج 4، ص 43.

(2) قيت الرجبي الأشرفي قايتباي كان قائدا للجيش، ثم حبسه الغوري سنة 910ه/1504م ثم أطلق سنة 923هـ/1517م ثم قتل أثناء المعارك مع العثمانيين سنة 923ه/1517م، ابن زنبل، آخرة المماليك، ص93- 133- 134.

(3) محمد بن أبي بكر الأنصاري، تولي نظر الخاص والحسبة وكتابة السر، ت سنة 910ه/1504م، ابن إياس، بدائع، ج 4، ص 71.

(4) ابن إياس، بدائع، ج 4، ص 74.

(5) ابن إياس، بدائع، ج 4، ص 71.

(6) أمير طبلخاناه، يكون أمير مائة مقدم ألف، ويدق على بابه الطبول كالسلاطين، وفي خدمته أربعين مملوك، المقريزي، السلوك، ج1، ص 239، حاشية 1.

(7) ابن إياس، بدائع، ج 4، ص 97.

## المبحث الثاني: تمرد وعصيان المماليك ضد السلاطين:-

**أولا: تمرد مماليك السلاطين السابقين ضد برقوق:**

بدأ هذا التمرد في شعبان سنة 784هـ/ أكتوبر 1382م باجتماع جماعة من مماليك السلاطين السابقين مع مماليك برقوق لقتله ولإعادة نظام الحكم السابق، ولكنهم فشلوا لأن أحدهم أخبر السلطان بالمؤامرة قبل وقوعها[1]، ومن ثم تتبع برقوق المماليك الذين أرادوا الفتك به، فقبض على جماعة من مماليكه[2]، كما نفي بعضهم إلى بلاد الشام والإسكندرية والصعيد[3].

**ثانيا: تمرد المماليك الأشرفية[4]:**

لم يتوان المماليك في محاولة قتل برقوق، بسبب نفي (المماليك الأشرفية) لبلاد الشام وأخذ اقطاعاتهم وتوزيعها على مماليكه[5] سنة 785هـ/1383م، فتمرد هؤلاء انتقاما لإخوانهم المماليك وأساتذتهم من الأمراء الذين أطاح بهم برقوق وانفرد بالحكم، ولذا قام برقوق في 13 من صفر سنة 786هـ/21 أبريل 1384م بالقبض على سبعة من المماليك ومعهم أحد

---

(1) ابن خلدون، العبر، ج5، ص 474؛ ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، ج3، ص85 ؛ ابن حجر، انباء، ج1، ص257.

(2) المقريزي، السلوك، ج 3، ص479؛ العيني، عقد الجمان، ص72

(3) أمر بنفي الأمير ألابغا العثماني العثماني دواداره لأنه علم بالمؤامرة ولم يخبر برقوق، ابن قاض شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، ج3، ص85.

(4) نسبة للسلطان الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاون، ت سنة 778ه/1376م، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص288؛ ابن تغري بردي النجوم، ج11، ص24

(5) المقريزي، السلوك، ج3، ص500؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج1، ص 78 - 79.

الأمراء الصغار ويدعى "يلبغا الصغير الخازندار"[1] بعد أن علم أنهم يريدون قتله، فأمر بضربهم ثم نفاهم إلى بلاد الشام[2].

وقد أمر في المحرم سنة 788هـ/ فبراير 1386م بالقبض على عدة من المماليك الأشرفية وضربهم أيضا، لما بلغه أنهم أرادوا الهجوم عليه وقتله، ثم أمر بالقبض على الأمير تمربغا[3] لأنه علم بالتمرد ولم يخبره، فأمر بأن يطوفوا بهم القاهرة على الجمال ونساؤهم يلطمن الخدود، ثم أمر بقتلهم[4].

## عهد المؤيد شيخ:

انتهز المماليك فرصة رجوع المؤيد شيخ إلى القلعة في صفر سنة 822هـ/فبراير 1419 واجتمعوا وخططوا للتمرد عليه، ولم يكن مجرد غضب طارئ ينتهي بالهتاف والكلمات ضده فقط، بل إنهم رجموه بالحجارة وتتابع القذف، حتى كادوا أن يقتلوه، فعاد السلطان ولم يستطع الصعود إلى القلعة بسبب المماليك، واضطر السلطان أن يستجيب لمطالبهم التي تتلخص في زيادة رواتبهم وزيادة الأموال المخصصة لملابسهم وخيولهم، مثلما كانت أيام السلطان برقوق وأخذ السلطان يتلطف بهم، ووعدهم بالزيادة المطلوبة حتى هدأ المماليك وخمد التمرد[5].

---

(1) الخازندار، المشرف على خزائن وأمتعة السلطان، عاشور، العصر المملكي، ص410.

(2) المقريزي، السلوك، ج3، ص512، ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، ج3 ص131؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج11، ص 237.

(3) تمربغا الحاجب قتل سنة 788ه/1386م، ابن حجر، أنباء، ج1، ص 313؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج11، ص242.

(4) المقريزي، السلوك، ج3، ص541؛ ابن حجر، أنباء، ج1، ص313؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج11، ص242.

(5) ذكر المقريزي، السلوك، ج4، ص 480، أنهم رفضوا أخذ النفقة وطالبوا بأن يصرف لهم من أول دولة المؤيد سنة 815هـ/ 1411م حتى يومهم نظير ما كان يصرف أيام برقوق وتوقع الناس حدوث شر وفتنة؛ ابن حجر، أنباء، ج3، ص 191؛ أما ابن إياس، بدائع، ج2، ص 43، فقال ثارت عليه المماليك الذين بالقلعة ورجموه، أي غضبت وتمردت، ثم قال واستجاب لهم حتى خمدت الفتنة.

## عهد جقمق:

انتهز المماليك فرصة تولي السلطان جقمق الحكم سنة (842-857هـ/ 1438-1453م) واجتمع منهم في 29 ربيع أول سنة 842هـ/23 سبتمبر 1438م تحت القلعة أكثر من ألف فارس من مماليك الأمراء، لإعلان التمرد على السلطان لأنه أنفق في المماليك السلطانية ولم ينفق فيهم. الأمر الذي اضطر السلطان أن ينفق عليهم، وكان ذلك من ذكائه فانتهى تمردهم[(1)].

وفي 17 من صفر سنة 846هـ/ 28 يوليو 1442م أعلن المماليك العصيان[(2)] بالقلعة طلبا لزيادة النفقة، وأخذوا يرجمون من أراد الدخول إلى القلعة حتى امتنع الأمراء من الصعود إلى القلعة، فغضب السلطان جقمق وأراد قتالهم فمنعه الأمراء من ذلك[(3)].

ولم يقف خطر المماليك عند ذلك الحد، فإنهم هاجموا مخازن السلاح بالقلعة ونهبوا منها السلاح والآلات والملابس بأكثر من عشرين ألف دينار، مما زاد غضب السلطان وأمر الأمراء بقتالهم فقالوا له أنهم أكثر من ألفي مملوك، ولم يزالوا يتلطفون به ويمنعوه لأن ذلك: سيكون نقصا في حق الدولة[(4)].

وبطبيعة الحال فإن الأمراء خافوا من كثرة المماليك من جهة، وخشوا من عصيان مماليكهم عليهم إذا أرادوا قتالهم من جهة أخرى ثم تابعوا محاولتهم في منع المماليك من التمرد فخرجوا إليهم وحدثوهم، ولكن المماليك انقسموا إلى فريقين، فرقة تقاتل من كانوا أعلى القلعة، والفرقة الثانية تقاتل من كانوا أسفلها حتى قتلوا من العامة أكثر من ثلاثين، وضربوا كاتب السر

---

(1) ذكر المقريزي، السلوك، ج4، ص 1066، أنهم أرادوا إثارة الفتنة؛ السخاوي، الضوء، ج3، ص9.

(2) ذكر ابن تغري بردي، النجوم، ج15، ص 352، كلمة، وثب جماعة من مماليك السلطان، في حين ذكر كلا ؛ من العيني، عقد الجمان، ص 578؛ والسخاوي، التبر المسبوك ص41؛ ابن إياس، بدائع، ج2، ص 234، لفظ ثارت فتنة من المماليك بالقلعة.

(3) العيني، عقد الجمان، ص 578.

(4) ابن تغري بردي، النجوم، ج15، ص352؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج4، ص248؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص 41.

ابن البارزي[1] حتى سقط عن فرسه وأشيع موته، ونادوا بخلع السلطان جقمق من السلطنة ورددوا ذلك، ومع ذلك لم يقم السلطان بقتالهم شفقة عليهم لا خوفا منهم[2]، وظل الأمر كذلك حتى تدخل الأمراء وأصلحوا بين السلطان والمماليك حتى سكنت الفتنة [3].

## عهد عثمان بن جقمق:

على الرغم من خوف عثمان بن جقمق من عدم توفير النفقة فقد قبض على جماعة من المماليك المؤيدية شيخ بإشارة من حواشيه فحقدوا عليه وانضموا للناقمين عليه، كما عزل عددا من

المماليك المؤيدية من مناصبهم وأعطاها لحواشيه أيضا، مما أشعل غضبهم وخططوا للتمرد عليه ولكن قلة عددهم جعلتهم ينتظرون الفرصة المناسبة[4].

بدأ العصيان[5] عندما اجتمع الغاضبون من المماليك المؤيدية مع المماليك الأشرفية برسباي ومن انضم إليهم من المماليك لأنهم علموا أن السلطان لن يساوي بين المماليك في النفقة، فسيعطيها كاملة للبعض، ونصفها للبعض، وربعها للبعض، وسيقبض على جماعة أيضا[6]، فازداد غضبهم ووقفوا على باب القلعة ومنعوا صعود الأمراء للسلطان وأخذوهم رغما عنهم وتوجهوا إلى بيت قائد الجيش إينال العلائي[7].

---

(1) محمد بن محمد بن البارزي، تولى القضاء وكتابة السر، ت سنة 856ه/1452م السخاوي، الضوء، ج9، ص236.

(2) ابن تغري بردي، النجوم، ج15، ص253.

(3) العيني، عقد الجمان، ص 578؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج15، ص352؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص 41؛ ابن إياس، بدائع، ج1، ص234.

(4) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج1، ص 363؛ النجوم، ج 16، ص 26 – 27 – 30 – 31.

(5) سماها ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص 38، (الوقعة بين السلطان عثمان والأتابك أينال العلائي)، واستخدام ألفاظ، الركوب، الخروج على الطاعة، الفتنة؛ أما ابن إياس، بدائع، ج2، ص304، فقال وثبوا على السلطان، وهي معان متقاربة.

(6) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج1، ص348.

(7) إينال العلائي حكم (857–865هـ/1453–1460م) السخاوي، الضوء، ج2، ص328

وانضم إليهم الكثير من المماليك فكثرت جموعهم، ولكي يقضي الأمير اينال على آمال السلطان عثمان، فإنه استدعى الخليفة حمزة والقضاة الأربعة وكتبوا محضرا بخلع السلطان يتضمن إساءته في حق الخليفة[1]، وكذلك قيامه بحبس رسل الصلح[2]، فبويع أينال وخلع عثمان بن حقمق، ثم شدد الحصار على القلعة، كما أطلق أصحاب إينال النار في البيوت المجاورة للميدان وهدموا جانبا من سور الميدان ودخلوا إلى القلعة فولى أتباع السلطان الأدبار وتركوا أباب القلعة فدخلت القوات وقبضوا على السلطان عثمان وحبس بالإسكندرية[3].

## عهد إينال:

أعلن المماليك العصيان في 3 صفر سنة 861هـ/13 يناير 1456م وتوجهوا لنهب مخازن السلاح فمنعهم الأمير نوكار[4] المسئول عنها ووعدهم بصرف الأسلحة أول الشهر الجديد، ثم التقوا بالمحتسب على العجمي[5] فضربوه ضربا شديدا حتى كاد أن يهلك فأرسل إليهم السلطان الأمير يونس الأقبائي[6] فطالبوه بعدة أمور أولها: هو دفع رواتبهم المتأخرة، وثانيها:

---

(1) جلس السلطان وترك الخليفة والعلماء وقوف أثناء قراءة إعلان توليته الحكم، ولم يحترم مكانتهم ولا كبر سنهم، ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص40.

(2) كان رسل الصلح الأمير سونجبغا رأس نوبة ت سنة 857ه/1452م، السخاوي، الضوء، ج3، ص 287، والأمير نوكار الناصري فرج، ت سنة 1459/861م؛ السخاوي، الضوء، ج 10، ص 205 – 206.

(3) ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص56؛ ابن إياس، بدائع، ج2، ص304.

(4) نوكار الناصري فرج كان مسئولا عن مخازن السلاح، ت سنة 861ه/1456م السخاوي، الضوء، ج10، ص205

(5) على بن عبد الله المعروف بالشيخ على الخرساني تولى الحسبه، ت سنة 862ه/1457م، السخاوي، الضوء، ج6، ص 47

(6) يونس الأقبائي الدودار، ت سنة 865ه/1460م، السخاوي، الضوء، ج10، ص 345.

زيادة رواتبهم، مطالبهم المتعددة والتي كان منها تكفيتهم باللحم لأنه لا يكفيهم وأن يصرف لهم نوعا جيدا من القمح، ولكن السلطان رفض[1].

ثم تطور الأمر إلى الأسوأ عندما خرج السلطان عليهم بنفسه فاشتد غضبهم وقاموا برجمه بالحجارة، فعاد إلى مكانه بالقلعة وأمر من كان معه من الأمراء بالنزول لدورهم، ثم توجه ومعه ابنه أحمد وبعض حراسة إلى قصره، فجاءه الرجم من كل جهة، فأسرع في مشيته، والرجم يأتيه من كل جانب، حتى سقط حارس السلطان الذي كان يحمل ترس السلطان من الرجم، فحمله حارس آخر، كما شج رأس حارس ابن السلطان وجماعة كثيرة، وسقطت إحدى نعلي السلطان من رجله فلم يلتفت إليه، ولم يفلت منهم إلا بدخوله القصر[2].

ظل المماليك مصرين على مطالبهم حتى زاد السلطان كسوتهم من ألفي درهم إلى ثلاثة آلاف، كما جعل لكل منهم في الأضحية ثلاثا من الغنم بعد أن كانوا رأسين فقط، فهدأ عصيانهم، بعد أن كاد السلطان أن يهلك من الرجم وهو يحتمل منهم لحبه لهم حتى وإن ظهر مستسلما لأوامرهم قليل المروءة[3].

ومن تمردات المماليك أن جماعة من أعيان جزيرة قبرص قدموا على السلطان في شعبان سنة 864هـ /مايو 1459 م يطلبون تعيين ابنة ملكهم بعد وفاة أبيها، فوافق السلطان وأرسل إليها خلعة الاستمرار في الحكم[4]، ثم أتى أخو الملكة المسمى "جاكم بن جوان" وبكى وذكر أنه أحق بالملك من أخته ولكن السلطان "إينال" رفض طلبه[5].

وعلى الرغم من حسم السلطان لأمر حكم قبرص فإن المماليك تعاطفوا مع جاكم وأخذوا الخلع التي أعطاها من الرسل وضربوهم وقالوا للسلطان "لا نريد سوى جاكم مكان والده".

## عهد أحمد بن إينال:

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم، ج 16، ص 100.

(2) ابن تغري بردي، النجوم، ج 16، ص 100؛ إبن إياس، بدائع، ج 2، ص 337.

(3) ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص 102؛ ابن إياس، بدائع، ج2، ص337.

(4) ابن تغري بردي، النجوم، ج 16، ص 147، وأرسل الخلع مع الأمير تغربدي الطياري؛ إبن إياس، بدائع، ج 2، ص 359.

(5) السخاوي، الذيل التام، م2، ص 147

انهارت سيطرة المؤيد أحمد بن إينال على المماليك، عندما أمر بخروج حملة عسكرية لتأديب عربان البحيرة في جمادي الآخرة سنة 865هـ / مارس1460م، ورفض المماليك الخروج[1].

وازداد الأمر سوءا عندما أمر السلطان بجمع الأمراء في 18 رمضان سنة 865هـ/28 من يونيه 1460م على غير العادة ومن غير حاجة لذلك فخشي الأمراء من القبض عليهم واجتمعوا في بيت الأمير خشقدم[2] ولم يصعدوا إلى القلعة عند السلطان، فاجتمعت المماليك [3]:- الناصرية فرج، والمؤيدية شيخ، والأشرفية برسباي، الظاهرية جقمق الذين أبعدهم والد السلطان عن مناصبهم وأمر بنفيهم وسجنهم بعد أن كانت الدولة لهم فحقدوا عليه.

قام أحد الظاهرية "جانبك الظاهري"[4] بجمع كلمة المماليك على خلع السلطان وتولية خشقدم[5] والتوجه لقتال السلطان، الذي لم يعبأ باجتماعهم في بيت خشقدم حتى فوجئ بحصارهم للقلعة ثم انتصارهم على مماليكه فاختفى بالقلعة فقبض عليه وحبس بالإسكندرية[6].

ويعلل ابن تغرى بردى سبب هذا التمرد بقوله: (ولعلها دعوة مظلوم غفلوا عنه، كما أن الجزاء من جنس العمل فقد خلع والده أينال – عثمان بن جقمق – وتمرد عليه، بعد أن كان أباه

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم، ج 16، ص 224؛ السخاوي، الذيل، م 2 ص 151 ؛ ابن إياس، بدائع، ج 2، ص373

(2) الظاهر خشقدم أبو سعيد الرومي تولي السلطنة سنة 865ه/1460م، ت سنة 872ه/1467م، السخاوي، الضوء، ج3، ص175- 176.

(3) ذكر ابن تغري بردي، النجوم، ج 16، ص 233، اجتمع المماليك لإثارة الفتنة، ثم حدد بعد ذلك فقال إن المماليك الظاهرية ثارت في تلك الليلة ودارت على رفقتهم وإخوانهم ومن له غرض في القيام على الملك المؤيد؛ أما ابن إياس، بدائع، ج2، ص 376، فقال وثب جماعة من المماليك، ثم ركبوا مع المماليك على السلطان.

(4) جانبك الظاهري جقمق الدوادار ت سنة 867 ه/1462م، السخاوي، الضوء، ج 2، ص 57، 58

(5) يرى ابن تغري بردي، النجوم، ج 16، ص 233- 243 أن المماليك داروا على الأمراء وكبار رجال الدولة وأمسكوا منهم جماعة وأخذوهم إلى بيت خشقدم بينما يرى؛ ابن إياس، بدائع، ج 2، ص 376، أن المماليك قاتلوا المؤيد وهزموا فاختفى في القلعة مع أخيه محمد ثم توجهوا إلى بيت الأمير خشقدم فأركبوه غصبا فطلع لباب السلسلة، والرأي الصحيح، ماذكره ابن تغري بردي الذي كان معاصرا للأحداث

(6) ابن تغري بردي، النجوم، ج 16، ص 241 ؛ ابن إياس، بدائع ، ج2، ص376.

جقمق صاحب الفضل في وصوله إلى أعلى المناصب وكما تدين تدان، بالإضافة إلى تكبره، وانتقام المماليك الظاهرية جقمق منه، ولو سار سيرة أبيه في تأليف القلوب وأخذ الخواطر مع إرادة الله لطالت أيامه) [1].

## عهد خشقدم:

### أولا: عصيان المماليك الأشرفية والناصرية:

تولي السلطان خشقدم للسلطنة في رمضان سنة 865 / يونية 1460م قرب أنصاره وقبض على جماعة من أمراء المماليك الأشرفية[2]، برسباي، ولما علم زملاؤهم المماليك الأشرفية أعلنوا العصيان[3] على السلطان وانضم اليهم المماليك الأشرفية اينال وجماعة من الناصرية فرج، ونادوا بتولية جرباش الناصري[4] ولقبوه بالناصر، وأخذوه رغما عنه إلى القلعة ولكن لم ينجحوا لأن الأمير جرباش عندما رأى اختلاف كلمتهم وقلة عددهم، صعد إلى السلطان معتذرا فقبل عذره، بأنهم اركبوه رغما عنه[5].

### ثانيا: تمرد المماليك الظاهرية:

تخلص السلطان من بعض الأمراء الظاهرية جمقمق، ومن ثم فقد المماليك الثقة في السلطان وتوقعوا منه الغدر في كل وقت، ولذا تآمروا على قتله مع جماعة من زملائهم وحددوا موعد التنفيذ بعد العشاء ليله 29 ذي الحجة سنة 867هـ/ 23 ديسمبر 1462م، وعندما علم

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص 248-249

(2) من هؤلاء جابنك الأشرفي، ت سنة870ه/1464م، السخاوي، الضوء، ج3، ص53، جابنك المشد، ت سنه 881ه/1476م، السخاوي، الضوء، ج3، ص54، بيبرس الأشرفي ت، سنة873هـ/1468م، السخاوي، الضوء، ج3، ص21.

(3) ذكر ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص261، أنهم ثاروا على السلطان ؛ أما ابن إياس، بدائع، ج2، ص386، فقال أنهم وثبوا على السلطان ثم استطرد قائلاً، وعند ذلك اشتدت الفتنة وكثر الاضطراب.

(4) جرباش الناصري فرج ترقى حتى صار قائداً للجيش، ت سنة 877ه/1472م، السخاوي، الضوء، ج3، ص66.

(5) ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص261.

السلطان بخبرهم ضاقت عليه الأرض بما رحبت، فأخذ يستدرك أمره ويعيد التفكير في قراره بالقبض على الأمراء، فأمر بالإفراج عنهم، واعتذر لهم، واصطلح مع الأمراء الظاهرية، وطيب خاطرهم، كما أغدق عليهم الأموال وأعادهم إلى مناصبهم فانتهى تمردهم، وعلم السلطان أن سبب العصيان اثنين من مماليكه (برسباي الخاصكي – قانم) فأمر بالقبض عليهما وضربهما بين يديه[1].

## عهد يلباي المجنون (872هـ/1467م):

لم يستطع يلباى إرضاء المماليك الخشقدمية الذين استعدوا للعصيان[2] في 4 جمادى الأاولى 872هـــ/2 ديسمبر 1467 م والتخلص من المماليك المؤيدية شيخ بالقبض عليهم.

وعلى الرغم من أن المؤيدية هم المقربون لدى السلطان فإنهم عندما علموا بالأمر، أخذوا يخططون للتخلص من منافسيهم الخشقدمية، فقد تجهز زعيم المؤيدية الأمير يشبك الفقيه[3] بمماليكه ومعه طائفة كبيرة من الأمراء المؤيدية، كما انضم إليه المماليك الأشرافيه برسباي، الإينالية وبعض العامة ثم توجه إلى المدرسة الجاولية [4] لينضم إليه السلطان يلباي فتقوى صفوفه ضد الخشقدمية [5].

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص279–282؛ ابن إياس، بدائع، ج2، ص413.

(2) ذكر ابن تغري بردي: النجوم، ج16، ص367، وثوب يشبك للقتال، أما ابن إياس: بدائع، ج2، ص464، فقال أن المماليك الخشقدمية قصدهم إثارة الفتنة، ولما حضر يشبك من الصعيد قصد أن يثير فتنة ويقبض على جماعة من الخشقدمية , وفي يوم الخميس وثب الأمير يشبك ولبس لامة الحرب.

(3) يشبك من سلمان شاه المؤيدي الدوادارات سنة 878ه/1473 م، السخاوى، الضوء، ج10، ص 270

(4) المدرسة الجاولية، أنشاها علم الدين سنجر الجاولي سنه 723ه/1323م وجعل لها أوقافا كثيرة، المقريزي، الخطط، ج 2، ص398

(5) ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص 367، 369؛ السخاوي، الذيل التام، م2، 209؛ ابن إياس، بدائع، ج2، ص 464

ولكن خاب ظنه، فلم ينزل السلطان من القلعة لينضم إلى حليفه يشبك كما تكاسل يشبك عن القتال فلم يركب بنفسه ليشجع من كانوا معه وظل ينتظر نزول السلطان، وعندما رأت المماليك الظاهرية والأشرفية عدم قيام يشبك بقتال أهل القلعة من الخشقدمية نفروا منه واتفقوا مع المماليك بالقلعة على أن يتركوا مساعدة السلطان لأنه يريد أن ينتقم منهم، فأنضم مماليك السلطان إلى الظاهرية والأشرفية والخشقدمية لخلع السلطان[1].

وتمكن المماليك الخشقدمية أن يهزموا قوات يشبك الذي اختفي ثم دخل جماعة من فجار الخشقدمية على السلطان يلباي، وقبضوا عليه وسجنوه، وبايعوا الأمير تمر بغا[2] الظاهري سلطانا[3].

## عهد قايتباي:

### أولا: تمرد المماليك الإينالية:

تمرد المماليك الإينالية على السلطان قايتباى في شهر ذى الحجة سنة 872هـــــــ / يونيه 1468م ومنعوا الامراء من الصعود للقلعة، وكاد أن يكون تمردا كبيرا، وكان سبب ذلك التمرد هو تأخر المسئول عن مرتبات المماليك، في توزيع رواتبهم من الخبز واللحم، فلما أعلن المماليك التمرد وافق السلطات على طلباتهم، وأعطاهم من المال ما يطلبون فسكتوا[4].

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص369؛ ابن إياس، بدائع، ج2، ص465.

(2) تمربغا الظاهري جقمق تولى السلطنة سنة 872ه/1463م، ت سنة 879ه/1474م، السخاوي، الضوء، ج3، ص40-41.

(3) ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص369.

(4) ذكر إبن إياس، بدائع، ج3، ص17، أن المماليك ثارت في ذي الحجة بالقلعة وكادت أن تكون فتنة كبيرة.

**ثانيا: تمرد المماليك لأجل النفقة:**

قام المماليك في شهر جمادي الآخرة سنة 878 هـــــــــ/ سبتمبر1473م بالتمرد على السلطان بالقلعة وأغلقوا أبوابها، ومنعوا الأمراء من الدخول، واستمر ذلك لمدة يوم واحد[1].

ثم تكرر تمردهم[2] في شهر رجب سنة 878هـــــ/ نوفمبر سنة 1473 م طلبا لزيادة النفقة ومنعوا الأمراء وكبار رجال الدولة من الصعود للقلعة وبالتالي عزله القلعة وتعدل مصالح العباد وأمور البلاد[3].

أما السلطان فتتبع المسئول عن ذلك التمرد حتى قبض على أحد المماليك المسمى "على باي الخشن" وقام بضربه حوالي ألف عصاه، ثم أمر بنفيه إلى بلاد الشام ثم جاءت الأخبار بعد مدة بأن حائطا سقط عليه فمات تحت الهدم[4].

وبعد عودة المماليك من قتال العثمانيين أخذوا يطالبون السلطان بالنفقة عليهم وإلا قتلوا الأمراء والمماليك الذين لم يسافروا للقتال[5]، ولما تحقق السلطان من ذلك جمع العلماء في ربيع الأول سنة 894/فبراير سنة 1489م واتفقوا على فرض أجرة شهرين على أرباب الأملاك والأوقاف التي بمصر والقاهرة مساعدة للسلطان[6].

---

(1) اعتاد ابن إياس، بدائع، ج3، ص92، أن يسمى تمرد المماليك بالثورة فيقول: وفي جماد الآخرة ثار جماعة من المماليك.

(2) ذكر ابن إياس: بدائع، ج3، ص92، وفي رجب ثر المماليك بالقلعة، ثم يستطرد قائلا، وكان رأس الفتنة على باي الخشن، فلما خمدت الفتنة ضربة السلطان، وهو يسمى التمرد بالثورة كلفظ دارج لا يعنى مفهوم الثورة بمعناها الواسع، كما يستخدم لفظ الفتنة أيضا ليؤدي نفس المعنى.

(3) ابن إياس، بدائع، ج3، ص92

(4) ابن إياس، بدائع، ج3، ص92

(5) ذكر ابن إياس، بدائع، ج3، ص260، أن المماليك يقصدون ان يثيروا فتنة كبيرة، ثم يستطرد قائلا، والمماليك يريدون نفقة وإلا يثيرون فتنة كبيرة.

(6) السخاوي، الذيل التام، م2، ص513 ؛ ابن إياس، بدائع، ج3، ص261.

وعلى الرغم من سعي السلطان لتوفير المال فإن بقية المماليك عادوا إلى مصر وأخذوا يطالبون بمائة دينار نفقة، فجمع السلطان القضاة مرة أخرى في 4 ربيع الآخرة سنة 894هـ/8 مارس سنة 1489م وأخبرهم بأن المماليك يريدون نفقة مائة دينار، وقد نفذ المال الذي في الخزائن على الحملات العسكرية ثم (أقسم بالله أن نفذ منى من المال إلى الآن على الحملات العسكرية منذ تولى السلطنة سبعة آلاف ألف دينار ومائة وخمسة وستين ألف دينار فاختاروا لكم سلطانا غيري)[1].

وخلع شارات السلطنة، ثم قال إني أشهدكم بأني خلعت نفسي من السلطنة، واخذ يفكك أزرار ثوبه، ويتوجه إلى خارج القلعة وحاول القضاة والعلماء منعه وهو مصمم على ترك السلطنة ثم تدخل الأمير تمراز[2] بين السلطان والمماليك للصلح حتى تم الاتفاق بين الجانبين على أن تكون النفقة خمسين دينارا بدلا من المائة منها أربعين دينارا معجلة وتتأخر عشرة دنانير بعد شهرين فهدأت المماليك[3].

وبعد أن خلع السلطان نفسه من السلطنة ورفض العلماء، أرسل مرة أخرى إلى الخليفة والعلماء وجددت بيعه ثانية بحضرة القضاة والخليفة فكانت مدة سلطنته حتى ذلك اليوم اثنتين وعشرين سنة إلا ثلاثة أشهر، ثم أمر السلطان بالاجتهاد في جمع المال اللازم لنفقة المماليك، ويتعجل القائمين على تحصيل المال فحدث للناس من ذلك غاية الضرر والظلم[4].

وعلى الرغم من اجتهاد السلطان في توفير المال فقد عاد المماليك للتمرد مرة أخرى في شعبان سنة 894/يونيه 1489م عندما تأخرت العشرة دنانير الباقية من الخمسين فاضطر السلطان للإنفاق عليهم[5].

وكانت عادة المماليك كلما خرجوا لقتال أو عادوا من الحرب أن يطلبوا من السلطان الإنفاق عليهم، وإلا أعلنوا التمرد[6]، فعندما عاد المماليك في المحرم سنة 896هـ/ نوفمبر

---

(1) ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص261.

(2) تمراز الشمسي الأشر في برسباي، أمير سلاح، وسافر لقتال العثمانيين سنوات 891هـ/1486م، 893هـ/1487م، 895هـ/1488م، 894ه/1489م، ولم يذكر السخاوي سنة وفاته، الضوء، ج3، ص36-38.

(3) ابن إياس، بدائع، ج3، ص262.

(4) السخاوي، الذيل التام، م2، ص513.

(5) ذكر ابن إياس، بدائع، ج3، ص266 وفي شعبان ثارت فتنة من المماليك بسبب العشرة دنانير، ولما أعطاهم سكنت.

(6) ذكر ابن إياس، بدائع، ج3، ص276، إن المماليك يقصدون إثارة فتنة.

1490م من قتال العثمانيين، انتشرت الإشاعات بين الناس بأن المماليك يريدون التمرد إذا لم يعطهم السلطان النفقة على غير العادة.

أما السلطان فإنه قد اشتعل غضبا وأقسم بالله العظيم أنه لا يملك المال والخزائن خالية، وإذا أصروا على المطالبة بالنفقة، فإنه سيترك السلطة وينزل من القلعة تحت جنح الليل ويتوجه إلى مكة المكرمة ويقيم بها[1]، ورغم ذلك طالبوه بالنفقة في شهر ربيع الآخر فأنفق عليهم[2].

وقد تكرر مسلسل تمرد المماليك لزيادة رواتبهم، فقاموا في رجب سنة 898هـ/ أبريل 1492م بالتمرد[3] على السلطان ووقفوا أمام القلعة ومنعوا الأمراء من الصعود إلى السلطان، وطالبوا السلطان بالنفقة، وعندما ازداد الأمر خطورة تدخل بعض الأمراء للصلح بين السلطان والمماليك وأخبروهم بأن السلطان سينفق عليهم بعد انتهاء الشهر، فانتهي تمردهم[4].

**ثالثا: تمرد المماليك لأجل الحصول على إقطاعات المماليك الأموات:**

انتهز المماليك فرصة موت كثير من المماليك بالطاعون وأعلنوا التمرد[5] بالقلعة، مطالبين السلطان بأخذ إقطاعات المماليك الأموات في الطاعون، وأمام تمرد المماليك قام السلطان في رمضان سنة 897/يونية 1491م باستدعاء المماليك كل مملوك باسمه كما يفعل في توزيع النفقة الشهرية، وأخذ يقسم الاقطاعات عليهم ويحاول إرضائهم ولكن أطماعهم لا تنتهى حتى تحير السلطان في إرضائهم[6] ويوضح لنا السخاوي أن السلطان اشترط عليهم في أخذ الاقتطاعات أن يلزموا التدريب على الفروسيه، وذلك لأنه لم يكن لديه ما يكفي من إقطاعات فجعل التفوق في فنون الفروسية شرطا لأخذ الإقطاعات[7].

---

(1) ابن إياس، بدائع، ج3، ص276.

(2) ابن إياس، بدائع، ج3، ص280.

(3) ذكر ابن إياس: بدائع، ج3، ص295، أن جماعة من المماليك ثاروا على السلطان.

(4) السخاوي، الذيل التام، م3، ص68؛ ابن إياس، بدائع، ج3، ص295.

(5) ذكر ابن إياس: بدائع، ج3، ص292، قوله وفي رمضان ثارت فتنة كبيرة بين المماليك بسبب تفرقة الأقاطيع.

(6) ابن إياس، بدائع، ج3، ص292–293، فكان يفرق إقطاع كل من توفى من الطباق لأهل طبقته،وكان اكثر كل إقطاع نحو ثلاثون ألف درهم وأقلها خمسة عشر ألف درهم، كما أخرج الاقاطيع التي كانت متوفرة في الذخيرة للماليك الذين لم ياخذوا من الاقطاعات المتوفرة من الطاعون حتى لم يبق مملوكا بلا اقطاع، واستمرت تفرقة الاقطاعات ثلاثة أشهر.

(7) السخاوي، الذيل التام، م2، ص657.

**رابعا: تآمر المماليك لقتل السلطان:**

بلغ الاستهتار بالمماليك أنهم لم يكتفوا بطلب زيادة رواتبهم، أو نهب البيوت والأسواق، أو محاولة الاعتداء على كبار رجال الدولة، بل القيام بالتأمر لقتل سيدهم وسلطانهم في ذي القعدة سنة 901هـــــ/يوليو 1495م، ورأي بعضهم الفرصة مواتية لتنفيذ مخططهم في أثناء نوم السلطان في فصل الصيف على الدكة التي بالحوش بالقلعة فيقومون برميه بالسهام وهو نائم من مساكنهم بأعلى القلعة[1] فلا يعلم بمن رماه، وإذا قتل لا يعرف قاتله.

ولما كان السلطان في عمره بقية، فقد أبلغه أحد المماليك بخطة المماليك، فبادرا السلطان وانتقل من على الدكة وتحول إلى مكان آخر، فلما أصبح وجد ثلاثة سهام في المخدة التي ينام عليها.

لذا أصدر السلطان أوامره بنقل المماليك الذين يسكنون حول الحوش إلى أماكن أخرى، كما أمر ببناء حائط يمنع رؤية من بالحوش، ثم تتبع من قام برمي السهام عليه، حتى اعترف المماليك على مملوك يسمى "شرمنت" فقبض عليه وأحضره بين يديه وضربه نحوا من ألفى عصاه، ثم ضرب معه جماعة من أصحابه وسجنهم وقطع رواتبهم[2].

## عهد الغورى:-

**أولا: تمرد المماليك للتخلص من السلطان:**

خطط المماليك للتخلص من حكم السلطان الغوري، نراهم يخططون للقيام بالعصيان[3] بمساعدة مماليك السلاطين السابقين (مماليك الظاهر قانصوه،ومماليك الأشرف جانبلاط، ومماليك العادل طومابای) وذلك أثناء توزيع المرتبات في 18 محرم سنة907هـــــ/25 يوليو سنة 1501م فلم يصعدوا إلى القلعة لأخذ المال ولكنهم لبسوا السلاح واتفقوا مع غيرهم من المماليك

---

(1) ابن إياس، بدائع، ص322.

(2) ابن إياس، بدائع، ج3، ص 322، حاشية3.

(3) ذكر ابن إياس، بدائع، ج4، ص18، ان المماليك لبست السلاح وكانت فتنة مهولة.

واستمروا يقفون بالميدان أمام القلعة من الصباح حتى المغرب، ووصف ابن إياس ما فعله المماليك(بأنها كانت فتنة مهولة)[1].

وأسفر ذلك العصيان عن إصدار السلطان أوامره بنفيهم إلى الصعيد، بعد أن أشهر النداء بخروج مماليك "الظاهر قانصوه، الأشرف جانبلاط، والعادل طومان" من القاهرة ومن بقى شنق وكرر النداء ثلاثة أيام فخرجوا وهم في غاية الذل[2].

وفي شوال سنة 913/فبراير 1508م نزل المماليك من مساكنهم بالقلعة وأخذوا ينبهون القلعة وأظهروا التمرد، وتجرأوا على السلطان وحاولوا قتله في أثناء جلوسه بقاعة الدهيشة فقام مسرعا، ولما علم الأمراء ذهبوا ليصلحوا بين المماليك والسلطان فرفضوا وقالوا (لا نرجع إلا إذا أنفق علينا كل واحد مائة دينار) بل إنهم استمروا على عصيانهم طوال الليل، وقاموا في الصباح بمنع صعود الأمراء للقلعة، كما لم يخرج السلطان من قصره خوفا منهم ولما وجد السلطان تصميم المماليك على العصيان أراد ترك القلعة والاختفاء، فمنعه الأمير طومان باي الذي تسلطن بعده، واستمر عصيانهم ثلاثة أيام، والمماليك لا تريد إلا النفقة[3].

**ثانيا: تمرد المماليك بسبب النفقة والعطاء:**

بمجرد أن تأخرت رواتب المماليك في محرم سنة 916هـــ/أبريل 1510م تمردوا على السلطان وطالبوه بنفقة لكل منهم مائة دينار وقاموا برجم الناس بالحجارة من أعلى القلعة[4].

واختلط الأمر على ابن طولون الذي قال أن سبب تمردهم أن السلطان ولد له ولد ذكر ونادى بزينة القاهرة وأن العادة أن يهب للمماليك شيئا معينا ولكنه لم يعطهم فتمردوا[5].

---

(1) ابن إياس، بدائع، ج4، ص18-19.

(2) ابن إياس، بدائع، ج4، ص18-19.

(3) ابن إياس، بدائع، ج4، ص127.

(4) ذكر ابن إياس: بدائع، ج4، ص177، وفي المحرم ثار جماعة من المماليك طلبا للنفقة، ولكن السلطان رفض فاتسعت الفتنة، ثم علموا أن الأمراء يقصدون الوثوب عليهم فخلعوا السلاح وعادوا لمساكنهم، واستخدم كلمات(ثار –الفتنة–الوثوب).

(5) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان "قسمين"، تحقيق، محمد مصطفى زيادة، ط القاهرة 1962، ص340

لم يستجب السلطان لمطالبهم، فنزلوا من القلعة إلى بيوت كبار الأمراء وأركبوهم رغماً عنهم ليتوسطوا لهم عند السلطان في إجابة طلبهم، وتكرر رفض السلطان، بل قال "اذهبوا واختاروا من تشاءوا،وأراد أن يخلع نفسه من السلطنة[1].

وأمام رفض السلطان توجه المماليك إلى نهب الدكاكين والقماش والأسواق وكل ما يقع تحت أيديهم مستغلين حالة الفوضى التي نتجت عن سكوت السلطان عن اتخاذ إجراءات وقائية لمنع فسادهم، حتى وصل النهب لأكثر من 20000 دينار وكادت مصر تخرب عن آخرها في يوم واحد(السبت 11 محرم916هـ/21أبريل1510م)، كما انضم للمماليك الكثير من الغلمان والعبيد واستفحل أمر المماليك، ومنعوا الأمراء من الصعود للقلعة، فأغفلت الأسواق واضطربت الأحوال، وكان رد فعل الغورى المناداة باجتماع المماليك، فضربوا بندائه عرض الحائط وتوجهوا إلى بيت الأمير دولات باي أمير سلاح[2] ليسلطنوه ولكنه فرمنهم إلى الغورى[3] وهو في الحقيقة يفر من منصب تحوطه أشواك المماليك ومطالبهم.

ولما وجد السلطان أن المماليك قد زادوا عن الحد استدعى الأمراء إلى القلعة بمماليكهم وسلاحهم لقتال المماليك المتمردين، وعندما رأوهم ألقوا سلاحهم وصعدوا إلى مساكنهم بالقلعة، وأمر السلطان والي القاهرة بمنع المماليك والعبيد من المشي في الأسواق بعد المغرب ثم قام الوالي بقتل بعض الغلمان والعبيد فهدأ تمردهم، كما قام الأمير طومان باي بإعادة المسروقات إلى أصحابها[4].

وقد قام المماليك في 19 من صفر سنة 920هـ / 28 مارس 1514م بتمرد كبير بالقلعة، فقد منعوا الأمراء من الصعود إلى للقلعة، ونهبوا الدكاكين الموجودة بالقلعة، ثم نزلوا إلى الأمير طومان باي وأركبوه من بيته غصبا وصعدوا به إلى السلطان ليعطيهم رواتبهم المتأخرة من أربعة أشهر.

---

(1) ابن إياس، بدائع، ج4، ص178.

(2) أمير سلاح هو الذي يحمل سلاح السلطان في المجامع، ويتحدث في أمر خزائن السلاح، المقريزي، الخطط، ج2، ص222.

(3) ابن إياس، بدائع، ج4، ص178.

(4) ابن إياس، بدائع،ج4،ص178.

وحاول السلطان تهدئة المماليك فأعلن بأن النفقة بعد يومين، وصعد المماليك وكلهم أمل في أخذ المال، ولكن السلطان لم يعطهم إلا القليل، فاشتد غضبهم واستعدوا للتمرد، فقابل السلطان بعض رؤسائهم ووضح لهم عدم قدرة المسؤولين عن تلك الرواتب على صرفها وقلة الأموال في الخزائن، ولكن المماليك انتقدوا تصرف السلطان في شراء مماليك جدد مما كان سبباً لحدوث أزمة مالية وهؤلاء (الجدد لا يحسنون القتال بل أكثرهم أصحاب مهن فمنهم صناع أحذية، وخياطون)، فأجاب بأنه اشتراهم ليكونوا عوناً لهم في الحروب وفداء لهم من الأعداء[1].

كما اتهم المماليك السلطان بأنه غير طريقة السلطان قايتباي في صرف الرواتب، فأصبحت تتأخر كثيراً وإذا صرف لهم قمح كان رديئاً ومسوساً لا يصلح حتى لطعام الخيل، كما لا يكفي استئجار بيت أو استئجار مكان للخيل، فضلاً عن دفع مرتب خادم، ولا حتى يكفي لشراء الملابس لارتفاع الأسعار" فلا نشبع في أيامك أو نستطيع شراء ملابسنا وحاجتنا "[2].

وتجلت فطنة السلطان في حل تلك المشاكل قائلاً ألا ترضون أن أعطيكم الرواتب المتأخرة، والحبوب الجيدة، وأرخص لكم القماش، فضجوا له بالدعاء، وانصرفوا شاكرين له بعد أن عزموا على نهب بيوت الأمراء والأسواق وحرق البيوت، ولو فعلوا ما منعهم أحد.

ثم إن هؤلاء المماليك قاموا بخطف مال النفقة من المماليك الجدد يوم توزيعها فمنهم من أخذ منها دينار وأعاد الباقي وبعضهم أخذها وهرب، والسلطان لا يمنعهم لعلمه بغيظهم منه[3].

**ثالثا: تمرد المماليك لخلع السلطان بسبب مرضه:**

انتهز المماليك فرصة مرض السلطان الغوري بارتخاء جفون عينيه في 23 من ربيع الآخر سنة 919هـــ/29 يونيو 1513م، لإعلان العصيان عليه وخلعه من السلطنة بنشر الإشاعات بأنه قد صار أعمى، ولا يصلح للسلطنة ويجب خلعه[4] وتوليه من يختاره الأمراء، وتخويف الناس من الفوضى التي ستحدث.

ولما علم السلطان أرسل إلى الأمراء، فحلفهم على المصحف وعلى طاعته، كما حلف لهم على ألا يغدر بهم، ثم أمر والي القاهرة بالمناداة بالأمن والأمان وألا ينقل الناس قماشهم أو متاعهم، وأن المملوك الذي يخرج بعد المغرب يقبض عليه، وألا يضايق مملوك تاجرا أو بائعا بالأسواق.

---

(1) ابن إياس، بدائع، ج4، ص369.

(2) ابن إياس، بدائع، ج4، ص369.

(3) ابن إياس، بدائع، ج4، ص369-370.

(4) ذكر ابن إياس، بدائع، ج 4، ص311-313، أنه في ربيع آخر قويت الإشاعات بالركوب على السلطان، ثم يستطرد وفي ربيع أخر أشيع الركوب على السلطان.

ولما جاء 25 من ربيع الآخرة سنة 919هــــ/2 يوليو 1513 م تزايد أمر إشاعة تمرد المماليك على السلطان بسبب مرضه فأرسل إلى الأمراء ووبخهم بالكلام وقال لهم "ما هذه الإشاعة التي تبلغني عنكم إن كان عندكم من تسلطنوه فأنا أخلي لكم القلعة، وأنزل أقعد في جامعي حتى الموت[1] فأخذوا يعتذرون له، فأمرهم بلزوم بيوتهم كالمعزولين، وأسرعوا في توزيع قماشهم ومتاعهم وإخفاء أموالهم خوفا من المماليك.

وفي هذه الفترة لم يخرج السلطان لصلاة الجمعة لشدة مرض عينيه، واضطربت الأحوال، وتوقع السلطان وقوع عصيان المماليك فجهز السلطان مماليكه بالسيوف والسلاح وأمرهم بالمبيت في القلعة والاستعداد لأي هجوم على القلعة، ثم أرسل إلى الإسكندرية بتشديد حبس السلطان المخلوع قانصوه[2] ومنع اجتماعه بأحد، بعد أن علم السلطان أنهم يريدون سلطنته [3].

أخذ السلطان يتألف الأمراء والمماليك ويأخذ بخواطرهم قائلاً "أنا مقصر في حقكم، ومن كان له راتب متأخر أو نفقة سأعطيها له، ثم نادى في المماليك بأن النفقة مع الراتب لكل مملوك ثلاثون ديناراً من كبير وصغير، والأمراء الكبار لكل منهم ألف دينار، وأمراء الطبلخاناة مائتين، والعشرات مائة، وحاول إرضائهم بإطلاق المحبوسين وإلغاء الضرائب وإظهار العدل فارتفعت له الأصوات بالدعاء وما أجمل هذا لو استمر[4]!

**رابعا: تمرد المماليك بسبب الضرائب:**

أعلن المماليك العصيان في 28 شوال سنة 921هــ / 6 من ديسمبر 1515 م[5] على السلطان في أثناء توزيع الرواتب الشهرية وأخذوا يرجمون الأمراء من مساكنهم، فنزل السلطان

---

(1) ابن إياس، بدائع، ج4، ص351، فقد وبخ بعض الأمراء منهم اركماس أمير مجلس، قاني باي قرا أمير آخور كبير أنص باي، تمر سودون الدودارا، علان.

(2) ابن إياس، بدائع، ج 3، ص436-404، قانصوه أخو زوجة قايتباى تسلطن سنة 904ه/1498 م ثم خلع سنة 905هــ/1499 بالأشرف جان بلاط، وحكم لمدة ثمانية أشهر وثلاثة عشر يوما.

(3) ذكر ابن إياس، بدائع، ج4، ص316، أنه حلفهم على أن لا خامروا عليه ولا يركبوا عليه، وان لا يثيروا فتنة بين المماليك والسلطان

(4) ابن إياس، بدائع، ج4، ص316-318.

(5) ذكر ابن إياس، بدائع، ج4، ص483، إن المماليك أثاروا فتنة كبيرة، وفي ج5، ص7، لم ينفذ ما اتفقوا عليه وأشيع إثارة فتنة ثانية، ثم قال لهم السلطان، لا تسمعوا لمن يرمون بيني وبينكم الفتن، ... فلما سمعوا ذلك قصدوا يثيرون الفتنة وتزايد الاضطراب ولهج الناس بوقوع فتنة كبيرة، واستخدم (كلمة الفتنة) في مواضيع كثيرة فمرة تدل على غضب المماليك، ثم تدل على التمرد، ثم تدل على الاختلاف، ثم التمرد، ثم التمرد أيضا.

إلى الميدان، فطالبوه (بإلغاء الضرائب المفروضة على التجار والتي تسببت في ارتفاع أسعار السلع أضعافاً مضاعفة مما جعل المماليك لا يستطيعون شراء حاجتهم، وكذلك طالبوا بدفع رواتبهم المتأخرة، ومنع الظلم والاستيلاء على الأموال، ونشر العدل مثل الملوك السابقين، وعزل جماعة من المسؤولين)[1].

ولقد تردد الأمراء بين السلطان والمماليك حتى حان وقت صلاة الجمعة وقام السلطان ليصلي فأغلق المماليك الباب[2] في وجهه ثم رجموه بالحجارة حتى أصاب حجراً العمامة على رأسه وكاد أن يطيح به، ولم يكتفوا بذلك بل أوسعوه سباً فاحشاً، فلما وجد السلطان ذلك خشى على نفسه فخرج متخفياً من القلعة من بين الكيمان وتوجه إلى جامع المقياس[3] وصلى به الجمعة فأخذ الأمراء يرجونه في العودة وهو يقول "تركت السلطنة فاختاروا منكم سلطاناً"[4].

أما المماليك فإنهم أرادوا نهب بيوت الأمراء، ولكن منعهم بعض المماليك، فذهبوا إلى دكاكين التجار بالصليبة وخطفوا الخبز والحلوى، واستمروا في خطف العمائم والأقمشة طوال الليل، مما سبب أضرارا بالغة للتجار والناس، وكان السلطان قد صحب معه ولده حتى لا يتعرض له المماليك بسوء[5].

وما أن علم باقي الأمراء وكبار رجال الدولة بنزول السلطان من القلعة حتى ذهبوا إليه بأجمعهم يوم السبت 29 شوال سنة 921هـ /7 ديسمبر 1515م واخذوا يستعطفونه فشق ملابسه وأخذ يبكي حتى أغمى عليه ورشوا على وجهة الماء، وهو يردد: "لا أريد السلطنة ولا حاجة لي بها، واختار لكم قائد الجيش"[6].

ولما وجد السلطان إجماع الأمراء على عودته للسلطنة، رضي الرجوع ولكن بعد الانتهاء من عصيان المماليك، أرسل إلى كبار المماليك فلما حضروا أخذوا يشكون له من تأخر رواتب

---

(1) ابن إياس، بدائع، ج4، ص483، هم المحتسب الذي زاد الضرائب والوزير المسئول عن رواتبهم والوالي الذي قتل زملاءهم وضيع هيبتهم بين العامة، ووزير الخزانة لمعارضته منحهم الأموال.

(2) ذكر ابن إياس، بدائع، ج4، ص 484، أنهم أغلقوا باب السبع حدرات.

(3) جامع المقياس، الجامع المبني بجوار مقياس النيل حيث كان السلاطين يفتحون الخليج، المقريزي، الخطط، ج2، ص290- 293.

(4) ابن إياس، بدائع، ج4، ص 484.

(5) ابن إياس، بدائع، ج4، ص484.

(6) اتابك الجيش، مقدم العسكر والقائد العام للجيش، القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص18.

المماليك من اللحم وكذلك ارتفاع الأسعار بسبب الضرائب وكثرة المظالم[1] ثم عرضوا على السلطان مطالب المماليك وضرورة عزل بعض المسئولين، فوافقهم ثم طلب المصحف وحلفهم. ثم عاد إلى القلعة بعد أن قضى بالمقياس ثلاثة أيام، حتى كان أول محرم سنة 5/922 فبراير سنة 1516م أمر المحتسب بركات بن موسى والوالي كرتباي أن ينادي بالأمن والأمان والبيع والشراء، وان لا يتكلم أحد فيما لا يعنيه، وأن الضرائب كما هي، وأن لا يخرج أحد من بعد العشاء ولا يمشى بسلاح، ولا يتزيا بزي المماليك، أو يغطى وجهة، ومن فعل ذلك شنق في الحال[2].

أما رد فعل المماليك فإنهم لما سمعوا النداء غضبوا وأرادوا قتل المحتسب لأنه نادى بعودة الضرائب ولكن السلطان استطاع القضاء على العصيان عندما جمع قادة المماليك وحذرهم من الاستماع للشائعات أو عاقبهم فانتهي العصيان[3].

## عهد طومان باى:-

### أولا: تمرد المماليك بسبب النفقة:

أعطى السلطان طومان بأي في شوال سنة 922هـــ/أكتوبر 1516م المماليك الذين عينهم لقتال العثمانيين، لكل منهم خمسين دينارا، قاموا برد هذا المبلغ للسلطان وقالوا انه قليل، ثم خرجوا مسرعين يريدون إثارة التمرد[4] فأشار بعض الأمراء على السلطان أن يرضيهم وينفق عليهم لكل واحد مائة دينار، ومرتب ثلاثة شهور عبارة عن مائة وعشرين دينارا فسكن التمرد[5].

ولما كان الخامس من ذي القعدة سنة 922هـــ/1 ديسمبر سنة 1516م أمر السلطان الجيش بالخروج وعدم التخلف، لكن المماليك اعترضوا قائلين "لا نسافر حتى تعطينا ثمن جمل وهو ستة دنانير لكل واحد، وتصرف اللحم المتأخر والطعام"، فرفض السلطان أن ينفق عليهم، فخرجوا وهم كارهين، وذلك على الرغم من استغاثة حاكم غزة: "أدركونا بالجيش قبل أن يملك ابن عثمان غزة ولا تستطيعوا أخذها منه"[6].

---

(1) ابن إياس، بدائع، ج4، ص485.

(2) ابن إياس، بدائع، ج5، ص6.

(3) ابن إياس، بدائع، ج5، ص7

(4) قال ابن إياس: بدائع، ج5، ص116، انهم خرجوا على حمية وقصدوا ينشئون فتنة.

(5) ابن إياس، بدائع، ج5، ص116

(6) ابن إياس، بدائع، ج5، ص118.

وفي 23 من ذي القعدة سنة 922هـ/24 ديسمبر سنة 1516م أخذ السلطان طومان بأي يوزع النفقة على المماليك فأعطى لكل مملوك ثلاثين دينار، وراتب ثلاثة أشهر عشرين دينارا ولكن لم تعجبهم النفقة فألقوها في وجه السلطان وقالوا (لا نسافر حتى نأخذ مائة دينار فرد بأن الخزائن خالية وإن لم ترضوا فاختاروا لكم سلطانا غيري)[1].

ويبدو أن مسالة ترك السلطنة أصبحت أمرا مألوفا حتى قالوا له "مادمت قد رضيت بالسلطنة فأعطنا المال كما كان يفعل الملوك السابقين وإن تركت السلطنة فاذهب وعليك اللعنة فسيأتي من يتولى السلطنة غيرك ويعطينا، فلما سمع السلطان ذلك رد عليهم: ألا تذكرون أنكم أخذتم من السلطان الغوري مائة وثلاثين دينار ولم تقاتلوا، وكنتم السبب في الهزيمة وقتلة"[2].

وفي محاولة من السلطان لإقناع المماليك بعدم وجود المال، انتهز فرصة صعود الأمراء ومحمد بن الغوري إلى القلعة فقال لهم: "هذا ابن سلطانكم قد حضر فاسألوه إن كان أبوه ترك في الخزائن شيئا من المال يخبركم به وإن أردتم أن تسلطنوه فأنا أول من يسمع ويطيع، فانقسموا فريقين، مماليك السلطان والمماليك الكبار، فأما مماليك السلطان فقالوا أما نحن فنسافر بلا نفقة لنأخذ بثأر سلطاننا، وأما الكبار فقالوا لا نسافر حتى نأخذ 130 دينار مثل من قبلنا"[3] وترتب على تمردهم رفض الإنفاق عليهم لعدم وجود المال، ورفض السلطان فرض أجرة سنة مقدما على الأملاك كما فعل قايتباي والغوري وقال لا أحدث هذه المظلمة، فكتب ذلك في حسناته[4].

---

(1) ابن إياس، بدائع، ج5، ص126، ويذكر أنه حدث في ذلك اليوم بعض اضطراب وأشيع إثارة الفتنة بين العسكر.

(2) ابن إياس، بدائع، ج5، ص126.

(3) ابن إياس، بدائع، ج5، ص126.

(4) ابن إياس، بدائع، ج5، ص126-127.

## المبحث الثالث: عصيان الأمراء ضد الأمراء:-

### عهد برقوق:

جمع التمرد والعصيان على الظاهر برقوق بين الأميرين منطاش ت795هـــ/1392م ويلبغا الناصري. فقد توجه منطاش إلى مصر مع الناصري بعد هزيمة الجيش المصري خارج دمشق، ونجحت قوات الناصري في الاستيلاء على القاهرة وهزيمة قوات برقوق، وخلعه وتوليه السلطان حاجي[1].

ويبدو أن الناصري قد عقد اتفاقا مع منطاش في تقاسم المناصب والسلطة بدليل غضب منطاش من استبداد الناصري بأمور البلاد فقال "لقد حلف لي مرارا أننا سنكون شيئا واحدا، وأن السلطان يحكم بما يشاء، ولما انتصر استبد بالأمراء وحجر على السلطان، وقرب زملاءه اليلبغاوية وأبعدني وزملائي الأشرفية، والله لا أرجع حتى أقتله أو يقتلني أو يقيم سلطانا يتصرف في الأمور[2].

واستخدم منطاش حيلة قديمة وهي أن يدعى أنه مريض فيأتي الناصري لزيارته فيقبض عليه وكان ذلك في 16 شعبان[3] سنة 791هـــ/20 يونية سنة 1389م ولكنه فطن له، فلم ينزل من القلعة، ثم وقف منطاش ومن معه على مدرسة السلطان حسن المواجهة للقلعة واخذوا يقذفونها بالحجارة، وانضم إليه كثير من زملائه من الأمراء الأشرفية، وكذلك مماليك برقوق فكثرت جموعه واستطاع هزيمة يلبغا الناصري الذي تعجب من ازدياد أعداد أنصار منطاش، الذين أصبحوا أكثر من ألفين بعد أن كان معه سبعة وثلاثون فقط[4].

لعبت الخيانة دور كبير في هزيمة الناصري، فقد انسحب كثير من الأمراء وانضموا لمنطاش، وكذلك استبسال العامة الذين كانوا يخطفون السهام من الهواء ويأتون بها منطاش، بعد

---

(1) حاجى بن الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون ت سنة 814ه/1411م، السخاوي، الضوء، ج3، ص87.

(2) المقريزي، السلوك، ج3، ص644؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج11، ص335-336.

(3) العيني، عقد الجمان، ص247؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج 11، ص 322.

(4) العيني، عقد الجمان، ص248؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج11، ص334.

أن كسب ودهم بتوزيع الذهب عليهم، فتعصبوا له، كما أخذ يستعطفهم ويلاطفهم قائلا: إنما أنا واحد منكم [1]، فاجتمعوا حوله، واستطاعوا هزيمة أتباع الناصري[2].

لجا الناصري إلى الخليفة المتوكل[3] طالبا الصلح مع منطاش، وإنهاء الحرب بعد أن قل أنصاره، ولكن منطاش رفض قائلا: أنا في طاعة السلطان والأمراء أخوتي، وغريمي هو الناصري وقد حلف لي أن نكون شيئا واحدا والسلطان يحكم بما شاء، ولكنه بعد النصر استبد بالأمر، ففشلت تلك المحاولة، فاستعد الناصري للقتال ولكنه هزم، ثم فر من القلعة فقبض عليه وحبس بالإسكندرية[4].

## عهد فرج:

### أولا: الصراع بين الأمير أيتمش البجاسي وأتباعه والأمير يشبك الشعباني وأتباعه:

بعد موت الظاهر برقوق سنة (810هـ/1398م) كان الأمير أيتمش البجاسي (ت802هـ/1400م) هو المتحدث في أمور البلاد طبقا لوصية الظاهر برقوق[5] فضاق بذلك جماعة من المماليك بزعامة الأمير يشبك الشعباني (ت810هـ/1407م)[6] فأخذوا يكيدون

---

(1) PoLI AK:Less Revoltes p260.

(2) ابن الفرات، تاريخ ابن القرات، م9، ص118؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج11، ص333–337.

(3) الخليفة المتوكل على الله، محمد بن أبي بكر بن سليمان العباسي ت سنة 808ه/1405م، ابن تغري بردي، النجوم، ج13، ص154؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص389.

(4) العيني، عقد الجمان، ص 249؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج11، ص340.

(5) ذكر ابن حجر، إنباء، ج2، ص94، ان الخلاف وقع بين الأمراء الخاصكية والأمراء الظاهرية القدامى ؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج3، ص143؛ الصيرفي، نزهة، ج2، ص62.

(6) ابن تغري بردي، النجوم، ج13، ص170؛ السخاوي، الضوء، ج10، ص278؛ الذيل التام، م1، ص455

لأيتمش وفريقه، لإبعادهم عن القلعة[1] وينفردوا بتدبير أمور السلطان الصغير، ومن ثم حرضوا السلطان فرج على أن يخبر أيتمش أنه بلغ الرشد، فجمع أيتمش القضاة والخليفة وحكموا برشده، وأن يستبد برأيه في الأمور[2].

ونتيجة لبلوغ السلطان الرشد نزل أيتمش من القلعة، وكان ذلك هو هدف فريق يشبك، ولم يكتف يشبك بإبعاد أيتمس عن القلعة والسلطان، بل دبر حيلة للقبض عليه، فأشاع أنه مريض ليزوره أيتمش فيقبض عليه[3] ولكن أيتمش أخذ حذره، وجمع مماليكه وأنصاره وتوجه لقتال يشبك ومن معه من الأمراء بالقلعة في 10 ربيع أول سنة 11/802 نوفمبر 1399م.

بدأت الحرب وشجع يشبك المماليك قائلا: أن هؤلاء خرجوا عن طاعة السلطان وأرادوا أن يسلطنوا أيتمش، فهم أعداء السلطان وأعداؤنا، فظنوا كلامه حقا فاتبعوه، أما أيتمش فقد نادى بأن من قبض على مملوك جركسي فله كذا وكذا، فغضب الجراكسة وتركوه وانضموا للأمراء فكانت الهزيمة[4]

---

(1) انفرد ابن تغري بردي: النجوم، ج12، ص183، بغضب أبيه لومه لايتمش قائلا، خربت بيتك وبيوتنا بسوء تدبيرك بنزولك من باب السلسلة نصف القلعة ثم تترك الإسطبل والسلاح فيتحكم فيها المنافسون، وهم لابد سيثرون الفتنة، فندم حيث لا ينفع الندم.

(2) المقريزي، السلوك، ج3، ص985؛ابن حجر، إنباء، ج2، ص95؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص182؛ الصيرفي:نزهة، ج2، ص35.

(3) ذكر المقريزى: السلوك، ج3، ص986، أن يشبك ادعى المرض ليزوره ايتمش فيقبض عليه؛ ووافقه ابن حجر، إنباء، ج2، ص94، 95؛ أما ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص184-185، فذكر أن ايتمش ندم على نزوله من باب السلسلة ولم يجد بدا من الركوب واتفق مع الأمراء على الركوب، ولم يذكر حيلة يشبك في ادعائه للمرض لتكون السبب المباشر لركوب ايتمش؛ ووافقه الصيرفي، نزهة، ج2، ص 35، على أن أيتمش اتفق مع الأمراء الكبار والمماليك السلطانية على أن يركبوا ويمسكوا الأمراء الذين اتفقوا على ترشيد السلطان والمماليك الذين معهم، وكذلك ابن إياس، بدائع، ج1، ص558.

(4) المقريزي، السلوك، ج3، ص987؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص187.

توجه أيتمش البجاسي في 10 ربيع أول سنة 11/802 نوفمبر 1399م ومن معه إلى الأمير تنم[1] نائب الشام (ت1399/802م) الذي رحب بهم وعبر عن غضبه قائلا: (السلطان صغير، وكل ما يصدر عنه إنما هو من الأمراء، وأنا وصى على السلطان فلا يعمل أحد شيئا إلا بمراجعتي)[2] ليدخل في حلبة القتال على السلطة مع الأمراء ويستبد بتدبير أمور الناصر فرج ويزيح بقية الأمراء [3] ولهذا وافقه جميع نواب الشام فاشتدت قوته [4].

ولكثرة جموعه (أكثر من 11 ألف مقاتل)[5] لم يشك أحد في سلطنته، ولا أمراء مصر الذين اتفقوا على أن يبعثوا له في 19 رجب سنة 16/802 مارس 1400م بالعلماء لطلب الصلح، والأمان من السلطان، ثم خيروه في أن يظل كما هو نائبا للشام أو يعود قائدا للجيش بمصر، ولكنه اشترط للصلح عودة أيتمش ومن معه إلى مصر كما كانوا، وأن يرسل له السلطان أعداءه من الأمراء، وبالطبع رفض الأمراء[6].

---

(1) تنم بن عبد الله الحسنى نائب الشام، ت سنة 1399/802م ابن حجر، إنباء، ج2، ص119؛ الصيرفي، نزهة، ج2، ص66.

(2) المقريزي، السلوك، ج3، ص966؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص176.

(3) ذكر المؤرخون تطلع تنم للعصيان منذ وفاة برقوق فاستولى على قلعة دمشق في 28 شوال 801هـــ/7يولية 1399م، المقريزي، السلوك، ج3،ص965؛ بل إن ابن حجر، إنباء، ج2، ص52، ذكر انه ثار بالشام واظهر الخلاف وملك القلعة ؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص176؛ ابن إياس، بدائع، ج1، ص542.

(4) المقريزي، السلوك، ج3، ص1002؛ الصيرفي، نزهة، ج2، ص52

(5) ذكر كلا من، المقريزي، السلوك، ج3، ص1010؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص206؛ ابن إياس، بدائع، ج1، ص578، على عدد 11 ألف؛ ولكن ذكر الصيرفي، نزهة، ج2، ص52، أنه كان معه زهاء 30000 ألف من الفرسان المماليك والأجناد والترك، والصواب ما أجمع عليه المؤرخون.

(6) ابن حجر، أنباء، ج2، ص100، طلب تسليم، يشبك، جاركس المصارع وسودون طاز وغيرهم.

وعندما التقى الجيشان دارت الدائرة على الأمير تنم وقبض عليه وهزم جيشه لانسحاب بعض الأمراء من جيشه ومخامرتهم[1] عليه وانضمامهم لجيش السلطان.

وقبض على الأمراء الذين معه ثم قتلوا في 4 رمضان سنة 802هـــ/1 مايو 1400م، ونهبت أموالهم وبيوتهم وخيولهم، كما ترتب على قتل تنم نائب الشام طمع المغول في بلاد الشام[2].

وفي ظل الصراع على السلطة بين الأمراء وإبعاد المنافسين، أغرى الأمير يشبك الشعباني، (ت810 هـــ/1407م)[3] السلطان فرج بأن يتخلص من منافسيه من الأمراء بتعيينهم ببلاد الشام، فأصدر السلطان أوامره في 7 شوال سنة 22/803مايو سنة 1401 بخروج الأمراء ولكنهم لم يسافروا، فغضب السلطان وقال: من رد أمري فهو عدوي[4]، ولكن لم يكن لغضبه أهمية، فأوامره كطبل أجوف، لأن هناك من يدبر الأمور لصالحه فقط حتى تحدث الناس عن وقوع التمرد بين الأمراء[5].

---

(1) ذكر المقريزي: السلوك، ج3، ص1007، انضمام كلا من دمرداش المحمدي نائب حماة بمماليكة، والطنبغا العثماني نائب صفد بعساكره، ثم صراي تمر الناصري أتابك حلب بمماليكه، ثم جقمق الصفوى نائب ملطية بقواته، ثم فرج بن منجك بعساكره، ثم تبعهم عدة أمراء لجيش فرج؛أما ابن حجر، إنباء، ج2، ص99-100، فذكر لفظ مخامرة المذكورين، وقال أنهم بلغوا:18أميرا بتمامهم بالإضافة لجمع كثير من المماليك؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج11، ص204؛ ابن إياس، بدائع، ج1، ص578.

(2) ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص211-213 وذكر مقتل 14 اميرا كبيرا في ليلة واحدة.

(3) ابن تغري بردي، النجوم، ج13، ص170؛ السخاوي، الضوء، ج10، ص278؛ الذيل التام، م1، ص455.

(4) المقريزي، السلوك، ج3، ص1060؛ ابن حجر، إنباء، ج2، ص145؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص271.

(5) ذكر المقريزي، السلوك، ج3، ص1060، أن الخلاف وقع بين الامراء ولهذا كثر حذرهم من بعضهم البعض، وتحدث الناس بإثارة فتنة؛ ووافقه كلا من ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص271؛ ابن إياس، بدائع، ج1، ص625.

وحاول الأمراء الالتفاف حول أمر السفر، فذهبوا للأمير نوروز ليشفع لهم في عدم السفر فاعتذر لهم، كما أرسلوا إلى السلطان سودون المارديني[1] ولكن السلطان أصر على سفرهم، فلما علموا رفضوا واجتمعوا تحت القلعة وهاجموا[2] الأمراء في 8 شوال، فاستدعى السلطان جميع الأمراء إلى القلعة، فصعدوا إلا الأمير جكم[3] وسودون طاز[4] ومن وافقهم، ثم اجتمعوا لقتال الأمير يشبك ومن معه.

وأراد يشبك تفريق صفوف الأمراء فأمر بالقبض على جماعة منهم ولكنهم فروا إلى جكم، ثم أرسل على لسان السلطان بأمان لجكم وتوليته نيابة صفد، فرفض فلما علم يشبك بالرفض بكى، ثم أشار على السلطان أن يبعث الأمير نورزو والقضاة لطلب الصلح مع جكم الذي رفض قائلاً: "لابد من غرمائنا" وحينئذ قال السلطان ليشبك: "انزل لغرمائك" وتخلى عنه فنزل يقاتل جكم ونوروز وسودون طاز ومن معهم، فهزم ثم قبض عليه وسجن بالإسكندرية[5].

**ثانيا: الصراع بين الأميرين جكم ونوروز، وبين الأمير سودون طاز:**

اشتعل الصراع بين كلا من: جكم ونوروز من جهة، وسودون طاز من جهة أخرى في 2 شوال سنة 804 هـ/ 6 مايو 1402م، وعندما وقعت الحرب كانت كفة جكم هي الأرجح فلجأ

---

(1) سودون المارديني أمير مجلس، ت سنة 811ه/1408م ابن تغري بردي، المنهل، ج6، ص141، 142؛ السخاوي، الضوء، ج3، ص285.

(2) ذكر المقريزي، السلوك، ج3، ص1060، إنهم ثاروا عليه؛ ووافقه ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص272؛ ابن إياس، بدائع، ج1، ص626.

(3) حكم عبد الله الظاهري ترقى حتى صار رأس نوبة، ثم تسلطن بالشام سنة 809ه/1406م وقتل سنة 809ه/1406م ابن حجر، أنباء، ج2، ص364؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج4، ص313؛ السخاوي، الضوء، ج3، ص76.

(4) سودون بن عبد الله الظاهري، أمير آخور ت سنة 1403/806م، المقريزي، السلوك، ج3، ص1129؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج6، ص132؛ السخاوي، الضوء، ج3، ص281.

(5) المقريزي، السلوك، ج3، ص1063؛ ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، م4، ص186؛ الصيرفي، نزهة، ج2، ص107.

سودون للحيلة، وجعل السلطان يرسل القضاة للصلح، فوافق نوروز وجكم، ونجحت مكيدته بعد أن كاد أن يهزم، ويسلمه السلطان للأمراء[1].

قام الخليفة والقضاة بتحليف الأمراء على السمع والطاعة للسلطان وإخماد العصيان، ثم أشار سودون على السلطان بأن يخلع على نوروز فقط، ولا يخلع على جكم لكي يفرق بينهما، فغضب جكم وأعلن العصيان وتوجه إلى بركة الحبش[2] وهناك لحق به نوروز وجماعة من الأمراء والمماليك فازدادت قوته[3].

أما سودون فقد أخذ في إحكام تدبيره فاشتبكت طلائع قواته مع قوات جكم، ولكنها هزمت[4]، ثم ارسل جكم للسلطان ليتخلى عن مناصرته لسودون ولكنه رفض[5]، فاستغل سودون الموقف ونادى على لسان السلطان باجتماع الجند والأمراء يوم الخميس 14 شوال 804هـ للقتال، ثم ركب مع السلطان والعلماء من باب القرافة في 15 شوال 804 لمباغته جموع جكم من جهة، ولاكتساب الشرعية بخروج السلطان والعلماء معه من جهة أخرى، وأمام المفاجأة هزمت قوات جكم ونوروز، ثم فرا إلى جهة الصعيد، ثم قبض عليهما وحبسا بالإسكندرية.

استبشر الأمير سودون خيرا عندما استطاع إزاحة الأميرين جكم ونوروز من طريقه وتم حبسهما بالإسكندرية سنة 1401/804م وظن أنه انفرد بتدبير أمر السلطان، ففوجئ بإفراج السلطان عن الأمير يشبك الشعباني ومن كان معه بحبس الإسكندرية، فحزن لمجيئهم، لإبعاده عن التحكم في الدولة، وخشى سودون على نفسه وترك المبيت بالقلعة وجمع أتباعه عند المرج

---

(1) المقريزي، السلوك، ج3، ص 1083؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص284؛ المنهل، ج6، ص134-135.

(2) ذكرها ابن مماتى قوانين الدوانين ت عزيز عطية، ط سنة 1991، ص118، من البلاد التابعة لبلدة الأطفيحية، وذكرها رمزي، في القاموس الجغرافي، ق2، ج3، ص4، إنها الأراضي الزراعية التابعة لزمام قرية البساتين ويحدها من الغرب جسر النيل وتتبع مركز الجيزة.

(3) ابن حجر، إنباء، ج3، ص202؛ ولكن انفرد الصيرفي، نزهة، ج2، ص139 "بأن جكم خلع عليه وهو سهو منه لأن كل المصادر السابقة أجمعت على نزوله بدون خلعه".

(4) ابن إياس، بدائع، ج1، ص651.

(5) ابن قاضى شهبه، تاريخ ابن قاضي شهبه، م4، ص267.

والزيات، وأعلن الحرب على يشبك ومن معه، في 13 صفر سنة 805 هـ/ 12سبتمبر 1402م[1].

وظن سودون أن السلطان معه، ولكن السلطان عين الأمير إينال باي أمير آخور[2] بدلاً منه، كما أنه أرسل إليه (بلزوم الطاعة والعودة لوظيفته، أو اختيار أي منصب بالشام من غير إقامة فتنة)، فامتنع، فركب السلطان لقتاله ومعه الأمراء في 6 ربيع الأول سنة 805هـ/ 5 أكتوبر 1402م فهزم وفر إلى جهة الشرقية فتبعه السلطان، وحاول بعض أتباعه مهاجمة القلعة ولكنهم فشلوا[3].

ولما علم السلطان بمهاجمة أتباع سودون للقلعة عاد مسرعا، وانجلت المعركة عن هزيمة وفرار سودون ثم القبض عليه ونفيه لدمياط في 7 ربيع أول سنة 805هـ/ 6 أكتوبر 1402م وظل بها حتى 24 جمادى الآخرة سنة 805/ 30 ديسمبر 1402م عندما أراد الخروج على السلطان بمساعدة عربان الشرقية، الذين قبض أميرهم عليه[4] ثم حبس بالإسكندرية 3 رجب 805هـ/ 5 يناير 1403م[5].

**ثالثا: الصراع بين الأمير يشبك وأتباعه والأمير إينال وأتباعه:**

جمع الأمير يشبك الشعباني بيده مقاليد أمور الدولة وأراد أتباعه أن يتحكموا في كل الوظائف عن طريق إبعاد الأمير إينال باي[6] عن وظيفة أمير آخور، حيث كان يبيت عنده

---

(1) ذكر المقريزي، السلوك ج3، ص1094؛ إنه نزل هناك ليقيم الفتنة أما؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص292، فذكر ج12، ص292، فذكر أنه أقام هناك حتى يأتيه من وافقه ويركب على أخصامه ويقهرهم ويعود إلى وظيفته؛ الصيرفي، نزهة ج2، ص153؛ ابن إياس، بدائع، ج1، ص661، 662.

(2) أمير آخور، وظيفة يقوم صاحبها بالإشراف على الإسطبل وما فيه من خيول وحيوانات، عاشور، العصر المماليكي، ص392.

(3) المقريزي، السلوك، ج3، ص1095؛ ابن حجر، أبناء، ج2، ص231-233.

(4) علم الدين سليمان بن بقر، أمير عربان الشرقية، ابن تغري بردي، النجوم، ج13، ص296.

(5) المقريزي، السلوك، ج3، ص1099؛ ابن حجر، أبناء، ج2، ص231-233.

(6) إينال باي من قجماس، كان والده قريبا لبرقوق فرقاه حتى أمير آخور ت سنة 809 هـ/ 1046م، ابن تغري بردي، المنهل، ج3، ص217 - 221؛ النجوم، ج13، ص169.

السلطان فرج فقد كان ابن عم السلطان من جهة، وزوج أخته من جهة أخرى، وقرروا أن تكون هذه الوظيفة بيد الأمير جركس المصارع[1] أحد أعوان يشبك، وليس يشبك[2].

بدأ العصيان[3] في مستهل جمادى الأول سنة 807هـ/ 5 نوفمبر 1404م عندما امتنع هؤلاء الأمراء من الصعود للقلعة ثم اشتبكوا مع مماليك أينال باي، فخشى السلطان من اتساع القتال وأمر يشبك بالانتقال من داره المجاورة لمدرسة السلطان حسن المواجهة للقلعة حتى لا يستغلها بالرمي على القلعة في أثناء العصيان ولكنه رفض فتأكد السلطان بأنه يريد العصيان.

واستدعى السلطان القضاة للصلح بين الأمير إينال والأمراء فلم يتم الصلح لتمسك كل طرف برأيه، فامتنع أينال من النزول من القلعة خوفاً من الأمراء، ثم قام يشبك ومن معه بمحاصرة القلعة واستمر القتال من الأحد 3 شوال 807هـ حتى الخميس 7 شوال 807هـ/ وعلى الرغم من ذلك هزم يشبك وفر إلى بلاد الشام [4].

التف جميع نواب الشام حول الأمير يشبك، واتفقوا على الزحف إلى مصر، فلما علم السلطان سار بجيشه حتى التقى بهم بالشرقية عند السعيدية[5]، ونظرا لمفاجئة الأمراء فإنه هزم ووقع الخليفة والقضاة في يد الأمراء، ونجا السلطان وتوجه إلى القلعة وجاء الأمراء وحاصروها وكادوا أن يملكوا القلعة والقاهرة، ولكن الأمير جكم تعجل في أن يكون سلطانا فأنف بقية

---

(1) جركس بن عبدالله المصارع، نائب حلب ت سنة 810هـ/ 1407م، ابن تغري بردي، المنهل، ج4، ص209؛ السخاوي، الضوء، ج3، ص67.

(2) المقريزي، السلوك، ج3، ص1136؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص303؛ الصيرفي، نزهة، ج2، ص196؛ ابن إياس، بدائع، ج1، ص698؛ السخاوي، الذيل التام، م1، ص435.

(3) ذكر المقريزي، السلوك، ج3، ص1136، أن شهر جماد أول أهل والفتنة قائمة بين أمراء الدولة؛ واتفق معه ابن حجر، إنباء، ج2، ص290-291؛ أما الصيرفي، نزهة، ج2، ص196، فذكر الحوادث في شهر جمادي الآخرة؛ واختلف التوقيت عند ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص303، الذي جعل الأحداث في شهر صفر؛ كما ذكر ابن إياس، بدائع، ج1، ص698ــ وقال واستهل شهر جماد الأول والفتنة قائمة بين أمراء الدولة، والصواب ما أجمع عليه المؤرخون.

(4) المقريزي، السلوك، ج3، ص1138؛ ابن حجر، انباء، ج2، ص291؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص306.

(5) تقع بين بلبيس والخطارة بالشرقية، وسميت باسم السعيد محمد بركة بن بيبرس، القلقشندي، صبح الأعشى، ج14، ص377؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص300؛ رمزي، القاموس، ق1، ج1، ص70.

الأمراء واختلفوا[1]، ففر منهم جماعة إلى السلطان وطلبوا الأمان فأمنهم، ولم يكن غريباً أن يختفي يشبك ولكن المدهش أن يعيده السلطان لوظيفته والسبب مساعدته للسلطان على الهروب من المعركة[2].

وأدت هزيمة يشبك إلى إنتهاز السلطان الفرصة وألزم وكلاء الأمراء الذين فروا مع يشبك إلى الشام بدفع غرامات مالية، ففرض على وكيل يشبك الدودار 100000 دينار، وعلى وكيل تمراز 100000 دينار، وعلى وكيل سودون الحمزاوي 30000 دينار، وعلى وكيل قطلوبغا الكركى 20000 دينار، وأن يكون الدينار بمائة درهم[3].

**عهد محمد بن ططر:**

**أولا: الصراع بين الأمير جانبك الصوفي والأمير برسباي:**

انقسم الأمراء بعد موت السلطان ططر وتولية ابنه محمد وعمره تسع سنين 824هـ/ 1421م) إلى فرقتين، الأولى مع الأمير جانبك الصوفي[4] قائد الجيش ومدبر المملكة بوصية ططر، والثانية بقيادة الأمير برسباي.

بدأ الصراع عندما حث أتباع جانبك أن يأمر برسباي بالنزول من القلعة ليخلو لهم الأمر، فأمره بالنزول هو والأمير طرباي[5]، وغضب برسباي ولكن طرباي أمره بالتظاهر بطاعة الأمر، وأخذ طرباي يستميل كثيرا من المماليك إلى جانب برسباي ضد جانبك الذي أبغضه

---

(1) ذكر الصيرفى، نزهة، ج2، ص204–205، أنهم ظهروا في أول النهار على المصريين وكادوا أن يأخذوا المدينة لولا أن جماعة منهم خامروا وطلبوا الطاعة.

(2) ابن حجر، انباء، ج2، ص294.

(3) المقريزى، السلوك، ج3، ص1141؛ ابن إياس، بدائع، ج1، ص702.

(4) ابن حجر، إنباء، ج3، ص250، ولكن اتفق كلا من المقريزي في السلوك، ج4، ص590، ابن تغري بردي، النجوم، ج14، ص211، أنه تولى وهو ابن عشر سنين؛ أما ابن إياس، بدائع، فذكر أنه تولى الحكم وسنه 11 سنة.

(5) طرباي بن عبد الله الظاهري، نائب طرابلس، ت سنة 1424/838م، المقريزي، السلوك، ج4، ص953؛ السخاوي، الضوء، ج6، ص7.

المماليك بسبب مليه الشديد للأمير يشبك الجكمي[1]، وهم أقدم منه إلا أنه رقاه لمنزلة أعلى منهم، وقربه إليه، فحقدوا عليه[2].

ولم تفلح محاولات أصحاب جانبك في صرفه عن ميله ليشبك، فقالوا "لا نطيعه إن صار سلطانا ومعه يشبك لو ذهبت أرواحنا"[3]، فانضموا لبرسباي ليضمنوا الوصول لأعلى المناصب ولإزاحة عدوهم يشبك، ولجأ جانبك إلى الحيلة المعتادة للتخلص من برسباي ومن معه فتظاهر بالمرض ليزوره برسباي والأمراء ويقبض عليهم، فتركوه، فتعجل المبادرة بقتال برسباي والأمراء، فلم يصلي عيد الأضحى 10 ذي الحجة 824 هـ/ 7 ديسمبر 1421م مع السلطان وقام أتباعه بالرمي بالسهام على أتباع برسباي وأغلق باب القلعة.

وعندما ذهب الأمير طرباي والأمراء إلى جانبك، أخذ طرباي يلومه على عدم الصلاة مع السلطان، وإغلاقه باب القلعة، فشكى لهم سوء أدب برسباي معه "ولا يجتمعا ببلد واحد" فأخبروه باجتماع الأمراء في بيت الأمير بيبغا المظفري للصلح بينهما، ولكن بمجرد دخول جانبك ويشبك إلى ذلك البيت قبض عليهما[4].

**ثانيا: الصراع بين الأمير طرباي والأمير برسباي:**

غضب الأمير طرباي من حليفه الأمير برسباي لأن أحد الأمراء قد مات وأراد أخذ إقطاعه فعارضه برسباي[5]، ويكشف لنا ابن تغري بردي أن طرباي غضب لاستبداد برسباي بأمور المملكة وحده دون مشاركة طرباي، مع أن الإتفاق كان تدبير الأمور مناصفة بالسوية، كما أصبح برسباي هو المشار إليه فكثر إقبال الناس عليه، ثم إنه خشى مما يردده الناس من تولى برسباي السلطنة، كل هذا على الرغم من أن طرباي يقول في نفسه أنه هو الذي ساعده للوصول لتلك المنزلة، بعد أن خوف المماليك من جانبك حتى تم القبض عليه، وجعلهم يلتفون حول برسباي[6].

---

(1) يشبك الجكمي من عوض ت سنة 833/1429م، السخاوي، الضوء، ج 10، ص 275-276.

(2) ابن تغري بردي، النجوم، ج14، ص214-215.

(3) ذكر ابن تغري بردي، النجوم، ج14، ص215، أن الأمير سودون من عبد الرحمن، حدثه في الأمر فغضب من أجل يشبك.

(4) المقريزي، السلوك، ج4، ص592.

(5) ذكر ابن حجر، إنباء، ج3، ص267، أن الأمير الذي مات هو حسن بن سودون الفقيه، وأراد طرباي أخذ إمرته.

(6) ابن تغري بردي، النجوم، ج14، ص226-227.

ويتذكر طرباي أنه كان أقدم من برسباي عند أستاذهما برقوق ومتميزا عليه، فكيف يفعل ذلك دون مشاورته، فغضب وترك الصعود إلى القلعة، ثم إن برسباي استفز طرباي بأن قبض على بعض أصحابه لكي يصعد إلى القلعة[1].

ونجحت حيلة برسباى فقد صعد طرباى في 3 ربيع أول سنة 825هـ/ 15 فبراير 1422م إلى القلعة، على الرغم من تحذير أصحابه، فتم القبض عليه وعندما حاول الدفاع عن نفسه بادر برسباي بضربه بالسيف على يده فأطاح السيف من يده[2].

## عهد قايتباى:

### أولا: الصراع بين الأمير أقبردي الدوادار و الأمير قانصوه خمسمائة:

انتهز مماليك الأمير أقبردي الدوادار فرصة خروج الأمير قانصوه خمسمائة ليلة عيد الفطر 1 شوال سنة 900هـ/28 يونيه 1495م إلى بعض بلاده بأمر السلطان قايتباي، وقام هؤلاء المماليك بنهب دار قانصوه ثم أحرقوها، مما كان سبب لإشعال العداوة بينهما[3].

ولقد اشتد غضب قانصوه بعد عودته وحمل السلاح ومعه جماعة من الأمراء، واجتمعوا عند الأمير أزبك[4]، ولما علم السلطان باجتماعهم أمر بالمناداة على الجيش: (من كان طائعا لله وللسلطان يأتي لراية السلطان)، فصعد جماعة من الأمراء إلى القلعة منهم أقبردي الدوادار، وأخذت قوات قانصوه تنسحب من حوله بعد هذا النداء وتصعد إلى السلطان، ولم يبق مع قانصوه إلا مماليك الأمراء وظهرت هزيمته[5].

وفي محاولة من السلطان لإنهاء العصيان، أرسل للأمير أزبك فحضر مُسرعاً للقلعة وكادت المماليك أن تقطعه بالسيوف، لاعتقادهم أنه هو الذي شجع قانصوه خمسمائة على العصيان لأنه صهره من جهة، ولاجتماع المماليك العصاة عند بيته بالأزبكية من جهة أخرى، فأخذه السلطان لإحدى قاعات القصر خوفاً من المماليك.

---

(1) ذكر المقريزي، السلوك، ج4، ص604، أنه قبض على الأمير سودون الحمدي، وقانصوه النورزوي.

(2) ابن حجر، انباء، ج3، ص267، ذكر أن الأمير قصروه أمير آخور، ناوشه بالسيف ثم ضربه برسباي.

(3) ابن إياس، بدائع، ج3، ص309.

(4) أزبك من ططخ الظاهري جقمق، ترقى حتى صار قائد الجيش ت سنة 1498/904م، ابن إياس، بدائع، ج3، ص411.

(5) ابن إياس، بدائع، ج3، ص312.

أما الأمير قانصوه ومن معه من الأمراء، فعندما علموا ان السلطان أمر بمنع نزول الأمير أزبك من القلعة هربوا واختفوا، ولكي يقضى السلطان على العصيان نادى بالأمن والأمان وأن يخلع الجيش السلاح فانتهى العصيان، وسكنت الفتنة[1].

**ثانيا: الصراع بين الأمير أقبردي الدوادار وأتباع الأمير قانصوه خمسمائة:**

مرض السلطان قايتباي في 14 ذي القعدة سنة 901 هـ/26 يولية 1496م، وتحكم أقبردي الدوادار ابن عم السلطان في أمور الدولة واختفى منافسة الأمير قانصوه خمسمائة لمدة تسعة أشهر، فقام أتباع قانصوه خمسمائة بمحاصرة الأمير أقبردي الدوادار في بيته[2].

وكان الأمير أقبردي قد اتفق مع الأمير تمراز[3] الأتابك على سلطنة محمد بن السلطان قايتباي ليضمنا التحكم في أمور البلاد، فدخل تمراز على السلطان قايتباي وهو يعاني سكرات الموت وعرض عليه سلطنة أبنه، لكن السلطان لم يرد عليه، فبادر بأخذ محمد لكي يعلنه سلطانا ثم انتقل جماعة من أتباع قانصوه إلى قتال أعوان أقبردي بالقلعة حيث كان الاتفاق على حضور أقبردي الدوادار إلى القلعة ليقوم بإعلان محمد سلطانا على البلاد، فأسرعت قوات قانصوه بمهاجمة القلعة، وقبضت على تمراز وبطلت الإشاعة بسلطنته، وأعلن قانصوه وجماعة من الأمراء سلطنة محمد بن قايتباي وتولى هو قيادة الجيش، فاختفي أقبردي الدوادار[4].

---

(1) ابن إياس، بدائع، ج3، ص312-313.

(2) السخاوي، الذيل التام، م3، ص346-347؛ ابن إياس، بدائع، ج3، ص322.

(3) تمراز الشمس الأشرف برسباي، ترقى حتى صار أمير سلاح ثم أتابك، السخاوي، الضوء، ج3، ص36-38.

(4) السخاوي، الذيل، م3، ص346-347؛ ابن إياس، بدائع، ج3، 323-324.

## المبحث الرابع: تمرد وعصيان المماليك ضد مسئولي النفقة والمرتبات:-

### عهد برقوق:

أعلن جماعة من المماليك التمرد في 11 رجب سنة 794 هـ/15 يونية 1392م على الأمير محمود[1] الاستادار[2] (ت 799هـ/1396م)، ولما مر عليهم سبوه ولعنوه ورماه بعضهم بالحجارة من أعلى القلعة، وتطور الموقف عندما هموا بقتله وضربوا بعض مماليكه، فدخل هاربا إلى بيت الأمير أيتمش البجاسي ت 802هـ/1399م، الذي خرج بنفسه فلما رآه المماليك فر أكثرهم ووقف بعضهم، فما زال الأمير أيتمش يدافعهم عنه بالرفق حتى انصرفوا عنه، ثم حماه بمماليكه إلى بيته[3].

ويتضح لنا أن سبب تمردهم وهو تأخر النفقة وهو ما أكده ابن الفرات عندما ذكر أنهم طالبوه بالكسوة والنفقة[4]، ثم قام محمود بالإنفاق عليهم، فبلغ ما أنفقه من ماله ستمائة ألف درهم ضاعت عليه، ثم عزل وعين استادارا غيره كسرا لشوكة المماليك ومنعا لتمردهم[5].

### عهد السلطان فرج بن برقوق:-

تولى ابن غراب (ت سنة 808/1405م) وظيفة الاستادارية في 18 رجب سنة 803 هـ/5 مارس 1401م وألزمه السلطان فرج بن برقوق في أول ذي القعدة سنة 803 هـ/13

---

(1) المقريزي، السلوك، ج3، ص885 ؛ ابن حجر، إنباء، ج1، ص542؛ السخاوي، الذيل التام، م1، ص351.

(2) الاستادار يتولى بيت السلطان من المطابخ والشراب والنفقات والكساوي للمماليك، القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص20، ج5، ص457.

(3) المقريزي، السلوك، ج3، ص767؛ ابن إياس، بدائع، ج1، ص452.

(4) تاريخ ابن الفرات، م9، ص302.

(5) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، م9، ص302.

يونية 1401م بتجهيز نفقة المماليك، فتعهد بتجهيز مائة ألف دينار من جملة تلك النفقة[1]، وقام بالإنفاق على ألف مملوك، لكن تلك الأموال لم تكن كافية لجميع المماليك، ومن ثم تمرد بقية المماليك وقاموا بضرب ابن غراب وحبسوه بمكان ثم أفرجوا عنه[2].

وعندما واجه ابن غراب إيذاء المماليك وحده، دون أن يتحرك السلطان لنجدته أو أحد من الأمراء، آثر الاختفاء بعيداً عن المماليك لينجوا بنفسه حتى يهدأ تمرد المماليك فاختفي في 4 ذي الحجة سنة 803 هـ/19 يولية 1401م ومعه أقاربه ومماليكه[3].

والجدير بالذكر أن تمرد المماليك على ابن غراب لم ينته باختفائه، فقد أعيد لمنصبه ليتم توزيع النفقة وأعطى لكل مملوك ألف درهم، وفي أثناء نزوله من القلعة أدركه بعض المماليك فرجموه بالحجارة وهجموا عليه ليقتلوه، ففر منهم إلى بيت الأمير نوروز فاستجار به فأجاره ودفع المماليك عنه حتى وصل لبيته[4].

وكاد المماليك أن يقتلوا ابن غراب مرة أخرى في 21 شعبان سنة 805 هـ/15 مارس 1403م عند نزوله من القلعة لولا أن دفعهم عنه بعض الأمراء، فترك الصعود للقلعة خوفاً منهم، حتى قبض عليه في 18 رمضان سنة 805 هـ / 13 أبريل 1403م[5].

**عهد السلطان برسباى:-**

---

(1) المقريزي، السلوك، ج3، ص1065؛ ابن حجر، إنباء، ج2، ص146؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص278.

(2) المقريزي، السلوك، ج3، ص1067.

(3) المقريزي، السلوك، ج3، ص1067؛ ابن حجر، أنباء، ج2، ص146.

(4) ابن حجر، أنباء، ج2، ص147؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص280.

(5) المقريزي، السلوك، ج3، ص1103؛ ابن حجر، إنباء، ج3، ص232-233.

هاجم المماليك أول شهر ربيع الأول سنة 832 هـ/9 ديسمبر 1428م بيت الإستادار زين الدين عبدالقادر بن أبى الفرج[1]، وتسوروا الجدران حتى دخلوه فنهبوا ما فيه من قماش ومتاع وأموال واخذوا ما استطاعوا أخذه، وكان الإستادار غائبا[2].

وبعد ذلك توجهوا إلى بيت ناظر الخاص عبد الكريم بن بركة المعروف بابن كاتب حكم[3]، فهاجموه ونهبوه ثم توجهوا إلى بيت الوزير عبد الكريم بن عبد الرازق[4]، فمنعهم قائد المماليك وتلطف بهم حتى رجعوا. ثم عادوا لمهاجمة بيت الوزير يوم الجمعة ثاني عشر ربيع أول سنة 832 هـ/ 6 ابريل 1428م لتأخر رواتبهم، ونهبوه وأخذوا ما فيه من متاع[5].

وعندما تأخر راتبهم من اللحم لمدة يوم واحد فقط نزلوا من القلعة في يوم الجمعة 2 شعبان 832 هـ/27 أبريل 1430م ثم توجهوا لبيت الوزير كريم الدين بن كاتب المناخ الذي بحارة زويلة فكسروا أبوابه ونهبوا ما فيه، وكسرت عدة أواني من الصيني واستلبوا ثياب النساء والجواري وأفسدوا رخام منزله، فهرب الوزير في بيت بعض الجيران[6].

---

(1) عبد الغني بن عبد القادر بن أبي الفرج، وتولى الوزارة، ت سنة 833 هـ/1429م، ذكر المقريزي، السلوك، ج4، ص845، انه مات في 27 جماد الآخرة، وذكر العيني، عقد لجمان، ص293، أنه مات في 26 من جماد الآخرة، أما ابن تغري بردي، النجوم، ج15، ص164، أنه مات في 7 جماد الآخرة، السخاوي، الضوء، ج4، ص372.

(2) المقريزي، السلوك، ج4، ص793؛ ابن حجر، إنباء، ج3، ص418؛ الصيرفي، نزهة، ج3، ص147.

(3) عبد الكريم بن بركة، ت سنة 833 هـ/1429م، السخاوي، الضوء، ج4، ص308.

(4) عبد الكريم بن عبد الرازق بن عبد الوهاب، ت سنة 852 هـ/1448م السخاوي، الضوء، ج4، ص313.

(5) المقريزي، السلوك، ج3، ص802؛ ابن حجر، إنباء، ج3، ص420؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج14، ص327.

(6) ذكر المقريزي، السلوك، ج4، ص802؛ واتفق معه ابن حجر، إنباء، ج 3، ص420، وقال أنهم صبحوا الوزير؛ ولكن ابن إياس، بدائع، ج1، ص124، قال وفي (رجب) ثار جماعة من المماليك، وثورة المماليك بمعنى غضبهم ثم تمردهم ونزولهم من القلعة بسبب تأخر اللحم المقرر لهم.

واعترض المماليك مرة أخرى على النفقة، عندما حملت في 14 رمضان سنة 832 هـ/ 18 يونية 1429م، إلى القلعة لتنفق في المماليك على العادة، فامتنعوا من قبضها، وطلبوا زيادة لكل واحد ستمائة درهم وصمموا على ذلك، حتى ترددت الرسل بينهم وبين السلطان إلى ان استجيب لبعضهم[1].

وأسفر تمردهم عن عجز السلطان عن إصلاح المماليك فحاول إرضائهم بأي وسيلة، ويتضح ذلك من الحوار الذي دار في 23 رجب سنة 832 هـ/1429م، بين الأمير سودون عبد الرحمن نائب الشام والسلطان برسباي، وحدثه في جرأة المماليك وتعديهم على كبار الموظفين ونهب الأموال، فقال له السلطان: (قد عجزت عن إصلاحهم، ثم كشف رأسه ودعا عليهم بالموت)، فقال له قائد الجيش: ضع السيف فيهم واشترى غيرهم)[2] ولكنه لم يفعل.

ويوم الجمعة[3] 17 من ربيع الآخر سنة 835 هـ/24 ديسمبر 1431م نزل المماليك من مساكنهم بالقلعة إلى بيت الوزير عبدالكريم بن كاتب المناخ، وكانوا يريدون قتله لتأخر رواتبهم يوما واحدا، فلم يجدوه في بيته، ويبدو أن الوزير قد علم بأمر هجوم المماليك فاستعد لهم وحصن بيته، وهرب منه فلم يستطيعوا اقتحام بيته، ولا نهبه، أو قتل الوزير، فقاموا بنهب عدة بيوت حول بيته[4].

ولما علم السلطان بهجوم المماليك غضب وأخذ في الدعاء عليهم بأن يسلط الله عليهم الطاعون والفناء والوباء، حتى عارضه بعضهم قائلا: (يأمر مولانا السلطان بقتل هؤلاء المماليك

---

(1) المقريزي، السلوك، ج4، ص804؛ ابن تغري بردي، ج14، ص330.

(2) اكتفى المقريزي، السلوك، ج4، ص801، بقوله وفي 22 رجب قدم الأمير سودون عبد الرحمن نائب الشام وحمل هديته إلى السلطان؛ ولكننا نجد تفاصيل ذلك الحوار عند ابن تغري بردي، النجوم، ج14، ص326.

(3) ذكر المقريزي، السلوك، ج4، ص865؛ ابن حجر، إنباء، ج3، ص470؛ والصيرفي، نزهة، ج3، ص229؛ وابن تغري بردي، النجوم، ج14، ص356، أن هجوم المماليك كان في ربيع الآخر؛ ولكن ابن إياس، بدائع، ج2، ص140، ذكر واقعة هجوم المماليك في شهر صفر، والصواب ما أجمع عليه المؤرخون.

(4) أجمع المؤرخون المقريزي وابن حجر والصيرفي وابن تغري بردي أنهم لم يستطيعوا مهاجمة بيته، وانفرد ابن إياس بأنهم نهبوه، والصواب ما أجمع عليه المؤرخون المعاصرون.

ولا يدعو على المسلمين بالطاعون، فقال له السلطان كيف أأمر بقتلهم بغير ذنب وهم مسلمون)[1].

وأدى تمرد المماليك لاستعفاء الوزير من منصبه، فقبل السلطان وأعفاه وعين غيره، خوفا من تمرد المماليك.

وتجدر الإشارة إلى أن المماليك عندما كانت تتأخر رواتبهم كانوا يسارعون الى مهاجمة كبار رجال الدولة كما حدث في 17 من جماد آخر سنة 837 هــ/28 ديسمبر سنة 1433م حيث قاموا برجم كبار الدولة[2] عند خروجهم من القلعة، وذلك لتأخر رواتبهم عن وقت صرفها، فهربوا منهم[3]، وكما حدث في 13 صفر سنة 838هــ/19 سبتمبر 1434م [4]، فهاجموا بيوت كبار رجال الدولة، وبدأوا بناظر الدولة زين الدين عبد الباسط[5] فهاجموا بيته، ثم هاجموا بيت الوزير أمين الدين إبراهيم بن الهيصم[6]، ثم هاجموا بيت الاستادار عبد الكريم بن كاتب المناخ فنهبوه أيضا.

كما تمردوا في 7 رمضان سنة 839 هــ/26 مارس 1435م على الوزير تاج الدين بن الخطير[7] ورجموه بالحجارة حتى كادوا أن يقتلوه، والسبب تأخر رواتبهم[8].

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم، ج14، ص356.

(2) لم تذكر المصادر أسماء رجال الدولة الذين هاجمهم المماليك، ويبدو أنهم الوزير وناظر الخاص والاستادار وغيرهم ممن لهم علاقة برواتب المماليك.

(3) المقريزي، السلوك، ج4، ص909؛ الصيرفي، نزهة، ج3، 279.

(4) المقريزي، السلوك، ج4، ص930–931؛ ابن حجر، إنباء، ج3، ص536–537؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج 15، ص50–51؛ الصيرفي، نزهة، ج3، ص304–305.

(5) زين الدين عبد الباسط، ناظر الجيش ت سنه 854 هــ/1450م، السخاوي، الضوء، ج3، ص24–26

(6) إبراهيم عبد الغني بن الهيصم، تولى الوزارة، ت سنة 859 هــ/1455م السخاوي، الضوء، ج1، ص67–68

(7) عبد الوهاب بن نصر الله توما تاج الدين الأسلمي ويعرف بالخطير، تعرف على برسباي قبل سلطنته، فأكرمه بعد سلطنته وولاه عدة مناصب منها الوزارة، ت سنة 865 هــ/ 1460م، السخاوي، الضوء، ج5، ص114–115.

(8) أجمع المؤرخون، المقريزي، السلوك، ج4، ص975؛ ابن حجر، إنباء، ج4، ص22؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج15، ص76–77، بأنها كانت في 7 رمضان؛ ولكن الصيرفي، نزهة، ج3، ص339، بأنها كانت في 9 رمضان، أما ابن إياس، بدائع، ج2، ص169، فقال وفي رمضان، ولم يحدد اليوم، كما نلاحظ أن ابن تغري بردي لم يذكر سبب عزله من الوزارة.

**عهد يوسف بن برسباي:-**

اعتاد المماليك مهاجمة كبار رجال الدولة طلبا لزيادة رواتبهم، ومن ثم نراهم في 19 محرم سنة 842 هـ/13 يوليو 1438م، يهاجمون القاضي زين الدين عبد الباسط – الذي تولى وظيفتي نظر الجيش والاستادارية – وتمثل ذلك في التهديد والسب والإساءة له ومحاولة الاعتداء عليه، حتى أنه احتاج إلى بذل الأموال لهم ليكفوا عنه شرهم[1]، وهم بطبيعة الحال لا يشبعون، ومن ثم ضاعت هيبته وقلة حرمته[2].

ثم تكرر تمرد المماليك على القاضي مرة أخرى في شهر صفر سنة 842 هـ/ يولية سنة 1438م[3] الأمر الذي اضطر القاضي أن يطلب من السلطان أن يعفيه من وظيفته وكلم في ذلك كبار رجال الدولة والسلطان، ولكنهم أقنعوه بالاستمرار على وظيفته وأنعموا عليه بالخلع[4] فقبل على مضض.

**عهد السلطان جقمق:-**

كان أول تمرد للمماليك في عهد جقمق في شهر شعبان سنة 850هـ/أكتوبر 1446م عندما هجم جماعة منهم على زين الدين يحيى[5] الاستادار، أثناء نزوله من القلعة، فضربوه

(1) المقريزي، السلوك، ج4، ص1070؛ ابن حجر، أنباء، ج4، ص89؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج15، ص232؛ الصيرفي، نزهة، ج3، ص433.

(2) ابن حجر، إنباء، ج4، ص89.

(3) المقريزي، السلوك، ج4، ص1072؛ ابن حجر، أنباء، ج4، ص91؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج15، ص333؛ الصيرفي، نزهة، ج3، ص435؛ ابن إياس، بدائع، ج2، ص194.

(4) المقريزي، السلوك، ج4، ص1072؛ ابن حجر، أنباء، ج4، ص91؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج15، ص333؛ الصيرفي، نزهة، ج3، ص436؛ ابن إياس، بدائع، ج2، ص194.

(5) يحيى بن عبد الرازق المعروف بابن الأشقر ت سنة 874 هـ/1382م السخاوي، الضوء، ج 10، ص233.

ضربا شديدا، حتى كاد أن يهلك، فهرب منهم، ولولا أنه دخل بيت الأمير طوخ التمرازي[1] لقتلوه[2].

وتجدر الإشارة إلى أن المماليك وقفوا تحت القلعة يوم الثلاثاء 13 جمادى الأول سنة 854 هـ/25 يونية 1450م وهم مصممون على الفتك بابن النحاس الوزير[3]، بل أنهم طلبوا من السلطان صراحة أن يسلمه إليهم، وأن يعزل الأمير جوهر[4] مقدم المماليك ويعزل أيضا الأمير زين الدين يحيى الاستادار[5].

ومن الملاحظ أن رد فعل السلطان كان قويا، فقد رفض تلك المطالب، وهدد الأمراء بأنه سيترك السلطنة، ويرسل ولده عثمان وحريمه إلى بلاد الشام[6] ولكن نهاه الأمراء عن ذلك فأعاد عليه بعض أمرائه الحديث في أمرهم، فغضب وثارت ثائرته وشق ملابسه[7]. ويبدو أن هؤلاء المماليك أصروا إصرارا شديدا على مطالبهم، فتدخل بعض الأمراء لدى السلطان، فأصدر أوامر بإخراج ابن النحاس من القاهرة منفيا إلى مكة، وعزل جوهر مقدم المماليك فرضي المماليك وتفرقوا من حول القلعة[8].

ثم تكرر إلحاح المماليك على السلطان لا خراج ابن النحاس وعزل جوهر، فأرسلوا الأمير اسنبغا الطياري[9] ليتعجل لهم تنفيذ مطالبهم من السلطان، فما كان من السلطان إلا أن غضب

---

(1) طوخ من تمراز الناصري فرج يعرف بغليظ الرقبة صار رأس نوبة، ت سنة 872 هـ/1467م السخاوي، الضوء، ج4، ص9.

(2) ذكر ابن إياس، بدائع، ج2، ص256، قوله عن تمردهم، ثارت جماعة من المماليك على زين الدين يحيى الاستادار.

(3) ذكر ابن إياس، بدائع، ج2، ص279، قوله، وفيه ثارت فتنة كبيرة من مماليك السلطان.

(4) جوهر النوروز الجيشي تولى نيابة المماليك سنة 850 هـ/1446م وعزل عنها سنة 854 هـ/1450م ثم أعيد إليها سنة 865 هـ/1461م، السخاوي، الضوء، ج3، ص85-86 ولم يذكر سنه وفاته.

(5) ابن تغري بردي، النجوم، ج15، ص412؛ حوادث الدهور، ج1، ص214؛ ابن إياس، بدائع، ج2، ص279.

(6) ابن تغري بردي، النجوم، ج15، ص412.

(7) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج1، ص215؛ ابن إياس، بدائع، ج2، ص279.

(8) ابن تغري بردي، النجوم، ج15، ص413.

(9) اسنبغا الناصري محمد الطياري صار رأس نوبة، ت سنة 857 هـ/1453م السخاوي، الضوء، ج2، ص311.

وطلب إحضار جوهر وأنعم عليه بالاستمرار في منصبه، كما أمر أن يعود ابن النحاس إلى مناصبه بالقاهرة، كما أمر المسئول عن مخازن السلاح أن يضع عدة مدافع على أبراج القلعة ويستعد للقتال – معاندا للمماليك – وقال "ما لهم عندي إلا السيف"[1]. وعندما أعلن السلطان حالة الحرب انضم إليه الأمراء، ولكن منعه بعض خواصه من قتالهم كما يقول ابن إياس[2]، إلا أن السلطان أمر أحد مماليكه بإحضار بعض زعماء العصيان من المماليك، فأعلن العفو عنهم[3] وانتهى العصيان.

ويتبادر إلى الذهن أن السلطان قد اتفق مع بعض الأمراء رؤساء هؤلاء المماليك بالليل وأرضاهم في الباطن وخذل بعضهم عن بعض كما يذكر ابن تغري بردي[4]، وبذلك تفرق جمعهم وإلا فكيف ينتهي العصيان باستدعاء بعض هؤلاء المماليك، الذين أصروا على موقفهم أكثر من ثلاثة أيام تحت القلعة.

وفي شهر ربيع الأول سنة 855هـ/أبريل 1451م قام جماعة من المماليك بانتظار زين الدين يحيى في أثناء نزلوه من القلعة، وقاموا بضربه ضربا شديدا أشرف منه على الموت حتى سقط عن فرسه، كما أصيب في رأسه، ونزل محمولا إلى داره على أقبح حال[5].

ويوضح لنا ابن إياس أن سبب تمرد المماليك كان قلة القمح وارتفاع الأسعار، وانعدام وجود طعام الخيول والبهائم، وكان الاستادار لا ذنب له في تلك الأمور ولكنهم يريدون كبش فداء لأي أزمة تحدث لإخراج غضبهم[6] فهاجموه عند باب القلة[7] من قلعة الجبل. أما السلطان عندما علم بالأمر فإنه نزل من القلعة وقام بزيارة الاستادار في بيته، وتلطف به وأخذ يشجعه على عدم الاهتمام بالمماليك والعودة لممارسة عمله، والصعود إلى القلعة[8].

---

(1) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج1، ص216.

(2) ابن إياس، بدائع، ج2، ص279.

(3) ابن تغري بردي، النجوم، ج15، ص413.

(4) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج1، ص216.

(5) ابن تغري بردي، النجوم، ج15، ص433؛ ذكر ابن إياس، بدائع، ج2، ص289 قوله ثارت المماليك على زين الدين الاستادار.

(6) ابن تغري بردي، النجوم، ج15، ص433؛ ابن إياس، بدائع، ج2، ص289.

(7) باب القلة، أحد أبواب القلعة وعرف بذلك لوجود قلة بناها الظاهر بيبرس، والمقريزي، الخطط، ج2، ص212.

(8) ابن تغري بردي، النجوم، ج15، ص433؛ ابن إياس، بدائع، ج2، ص289.

## عهد السلطان إينال:

تمرد المماليك في عهد أينال في 26 من ذي الحجة سنة 859هـ/8 ديسمبر 1455م حيث هاجموا دار الاستادار الأمير ناصر الدين محمد ابن أبي الفرج[1]، ونهبوا جميع ما كان في بيته، ورجموه، فلما حدث ذلك صعد السلطان وطلب الاستعفاء من وظيفته فأعفى[2].

وتكرر الأمر في المحرم سنة 860 هـ/ ديسمبر سنة 1455م حيث نزلت المماليك من مساكنهم إلى بيت الوزير فرج بن النحال[3]، وكان ابن النحال قد خشي من مهاجمة المماليك فحمل ما في بيته من متاع وقماش، فلما جاءت المماليك لم تجد ما تنهبه، فانتقلت إلى بيوت جيرانه فنهبوا كل ما وجدوه وكان سبب هجومهم عجزه عن القيام برواتب المماليك[4] حتى هرب وترك الوزارة[5]، كما هاجموا في صفر سنة 860 هـ/ يناير 1455م ناظر الجيش يوسف بن كاتب جكم[6] وأخذوا عمامته من على رأسه وكادوا أن يقتلوه لولا أن هرب منهم[7].

الجدير بالذكر أن الوزير المسئول عن رواتب المماليك كان يختفي عن العيون عندما يعجز عن القيام بمهامه، لكي يتفادى غضبهم، ففي 14 صفر 860هـ/24 يناير 1456م، هرب

---

(1) محمد بن عبد الرازق بن أبي الفرج، تولى وظائف منها الاستادارية سنة 881هـ/1476م السخاوي، الضوء، ج8، ص55.

(2) ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص84؛ السخاوي، الضوء، ج8، ص56.

(3) فرج بن ماجد المعروف بابن النحال، تولى عدة مناصب منها نظر الدولة والوزارة، والاستادارية وما أفلح ت سنة 865 هـ/1460م، السخاوي، الضوء، ج6، ص169.

(4) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج1، ص491؛ النجوم، ج16، ص94-95؛ ابن إياس، بدائع، ج2، ص332.

(5) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج1، ص492.

(6) يوسف بن كاتب جكم تولى نظر الخاص، ونظر الجيش ت سنة 862 هـ/ 1457م، السخاوي، الضوء، ج6، ص322.

(7) ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص95؛ حوادث الدهور، ج1، ص492؛ ابن إياس، بدائع، ج2، ص232.

الوزير بن النحال، ولم يأخذ العبيد والغلمان رواتب اللحم المقررة لهم وللمماليك فنزلوا إلى شوارع القاهرة، ونهبوا الحوانيت والأسواق، ولم يمنعهم مانع[1].

ويبدو أن ابن النحال كان يستغل عطف وحب السلطان للمماليك من ناحية[2]، كما يستغل أيضا فساد المماليك الذين لم يأخذوا حظهم من التربية الصحيحة بسبب شرائهم كبار السن[3]، فيضغط على السلطان ويبتزه في عدم كفاية الرواتب ثم يدعي العجز.

لقد ضاق السلطان ذرعاً من كثرة اختفاء ابن النحال، وطلبه زيادة الرواتب، فهدده إن هرب أو عجز بعد تلك الزيادات بالقتل[4]، ولكننا نرى المماليك يقومون للسبب نفسه بمهاجمة فرج ابن النحال فقاتلهم، فاستشاط السلطان غيظا، وأمر به فضرب نحو العشرين عصاة ثم حبسه بالقلعة[5].

أما المماليك الذين قاتلهم الاستادار فقد توجهوا إلى بيته، فقاتلهم مماليكه، ومنعوهم من دخول بيته، فأخذوا ينهبون بيوت جيرانه، حتى نهبوا بعض المدارس من حول بيته[6]، ثم عادوا وقد كثرت جموعهم فدخلوا بيته ونهبوا جميع ما كان فيه[7].

وتجدر الإشارة إلى أن السلطان لم يستنكر فعل هؤلاء المماليك، بل إنه لم يرسل أحدا من الأمراء لمنعهم من الإفساد، وكانت هذه الحادثة من أقبح الأمور كما ذكر ابن تغري بردي ولم

---

(1) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج1، ص493؛ ذكر ابن إياس، بدائع، ج2، ص232، أنها كانت في صفر سنة 860 هـ/1456م وقال وفيه ثار المماليك على ناظر الخاص يوسف وضربوه فهرب، ثم قال، ثارت الغلمان والعبيد على الوزير ونهبوا بعض لدكاكين فاختفى الوزير والسبب قلة اللحم؛ واتفق معه السخاوي، الذيل التام، م2، ص11، بأن الغلمان والعبيد نهبوا عدة حوانيت للتجار وخطفوا العمائم، ولكنه لم يذكر أنهم توجهوا لبيت الوزير أو نهبوه.

(2) ذكر ابن تغري بردي ذلك في ترجمته، النجوم، ج16، ص159؛ السخاوي، الضوء، ج2، ص329.

(3) المقريزي، الخطط، ج2، ص213.

(4) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج1، ص495.

(5) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج1، ص509.

(6) ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص96؛ حوادث الدهور، ج1، ص509، حيث ذكر أنهم نهبوا مدرسة فخر الدين بن أبي الفرج.

(7) ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص96؛ حوادث الدهور، ج1، ص509.

ينتطح في ذلك عنزان[1]، ثم إنه عين الأمير زين الدين يحيى استادارا، ولكن تأخرت المرتبات الشهرية مرة ثانية فقبض عليه وضربه بين يديه، ثم أمر بإعادة الوزير فرج بن النحال إلى الاستادارية[2].

لقد بلغ نفوذ المماليك مبلغا عظيماً في عهد السلطان أينال، لدرجة أنهم صاروا أصحاب الحل والعقد في كثير من الأمور حتى صار الناس يلجأون إليهم في قضاء حوائجهم، ويعلق على ذلك ابن تغري بردي قائلا "وترك الناس الحكام، فقوى أمر المماليك وضعفت شوكة الحكام وتلاشي أمرهم إلى الغاية والنهاية"[3].

وتذكر المصادر أن المماليك في 17 جمادى أول سنة 861هـ/4أبريل 1457 تكلموا مع جمال الدين يوسف[4] ناظر الجيش وعظيم الدولة، وعنفوه بسبب ارتفاع سعر نوع القماش "البعلبكي"، فأجابهم بأن هذا الأمر ليس من اختصاصي وإنما من اختصاص محتسب القاهرة" فأعلن جماعه منهم التمرد على المحتسب، وشكوه إلى السلطان فأمر بعزل المحتسب صلاح الدين المكيني[5] عن حسبة القاهرة، وعين آخر بدلا منه"[6].

وعندما علم المماليك بأن السلطان يميل اليهم ولا يعاقبهم على جرائمهم أخذوا يتعرضون[7] لرجال الدولة مثلما حدث في يوم السبت 16 رجب سنة 863 هـ/20 مايو 1459م تعرض جماعه من المماليك للأمير زين الدين يحيي الاستادار[8] فهرب منهم، فضربوه

---

(1) ابن تغري بردي، حوادث، ج1، ص510، وهو مثل يضربه المؤرخ في عدم تدخل السلطان لأخذ حق المظلوم من المظالم.

(2) ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص97؛ ابن إياس، بدائع، ج2، ص333.

(3) ابن تغري بردي، النجوم، ج 16، ص 114.

(4) هو الصاحب جمال الدين يوسف ناظر الجيش والخاص ت 1458/862م السخاوي، الضوء، ج 10، ص 322.

(5) صلاح الدين أحمد بن محمد بن بركوت المكيني ت سنة 1476/881م، السخاوي، الضوء، ج 2، ص 99-101.

(6) عين السلطان قائي باي اليوسفي المهندار محتسباً، قال ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص 118، أن المماليك خاشنت ناظر الجيش في اللفظ، أما ابن إياس، بدائع، ج 2، ص 346، فقال، ثارت المماليك على المحتسب.

(7) ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص130 ؛ ذكر ابن إياس، بدائع، ج 2، ص 358، أن المماليك ثارت على زين الدين الاستادار.

(8) يحيي بن عبد الرازق الزين الاستادار، ت سنة 874هـ/1469م، السخاوي، بدائع، ج 10، ص 333-334.

ضرباً شديدا، ولم يستطع أي مسئول أن يقف أمام شوكة المماليك، لتساهل السلطان معهم ولعل السبب تأخر مرتبات المماليك من اللحوم مما دفعهم لمنع الأمراء من الصعود للقلعة[1].

فيعلق ابن تغري بردي قائلاً: "ولم تنتطح في ذلك عنزان" لقوة شوكة المماليك حتى تجاوزت الحد، وبطل أمر حكام مصر قاطبة، حتى صار كل من له حق يشتكي خصمة إلى المماليك، وفي الحال يأخذ حقه من خصمه، وخاف منهم كل أحد، لا سيما التجار والبائعين من كل صنف، فترك غالب الناس معايشهم، خوفاً على رأس مالهم، فعز بسبب ذلك وجود أشياء كثيرة، ووقع الغلاء في جميع الأشياء[2].

وكان تأخر رواتب المماليك من اللحوم أو تقليلها، سببا لانتقام المماليك، فتذكر المصادر أن الوزير منصور بن الصفي اختفي[3] في يوم السبت 9 ربيع الآخر سنة 864هـ/4فبراير 1460م فتأخرت بغيابه رواتب المماليك، فغضب المماليك ومنعوا الأمراء من الصعود إلى القلعة يومي الأربعاء والخميس 13، 14 ربيع آخر سنة 864هـ/14، 15 فبراير 1460م[4] وأمام هذا الوضع المتأزم أخذت الرسل تتردد بين السلطان وبينهم حتى طلب السلطان سعد الدين فرج بن النحال[5]، وعينه وزيراً كما كان قبل ذلك[6].

الجدير بالذكر أن المطلع على الأحوال في تلك الفترة يشعر بضخامة مسئولية الوزراء في ذلك الحين، وخاصة مع عدم قدرة الوزراء على توفير الرواتب من جهة ثانية فكانوا يختفون، فلقد اختفي الوزير العلاء بن الإهناسي[7] فعين السلطان فارس الركني[8] الذي تولى لمدة يوم واحد ثم استعفي، فعين السلطان منصور بن الصفي، الذي تركها، فعين السلطان الشمس محمد

---

(1) ابن إياس، بدائع، ج 2، ص 358.

(2) ابن تغري بردي، النجوم، ج 16، ص 130.

(3) منصور بن الصفي القبطي كان أبـــــوه من الكتبـــــة فنشأ على طريقتـــــه، وخدم في ديوان المفرد وتولي الوزارة ت سنة1465/870م السخاوي، الضوء، ج 10، ص 170-171.

(4) ابن تغري بردي، النجوم، ج 16، ص 137؛ السخاوي، الذيل التام، م 2، ص 142.

(5) فرج بن ماجد سعد الدين القبطي تولى كتابة المماليك ونظر الدولة، ت سنة 865هـ/1460، السخاوي، الضوء، ج 6، ص 162.

(6) ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص 137؛ وابن إياس، بدائع، ج 2، ص 358.

(7) على بن محمد بن أبي بكر الإهناسي ت سنة 868هـ/1463، ابن تغري بردي، النجوم، ج 16، ص 334؛ السخاوي، الضوء ج 5، ص 296.

(8) فارس المحمدي الركني فيروز، عين وزيراً في صفر سنة 1459/864م، لم يذكر السخاوي وفاته الضوء، ج6، ص 163.

والد العلاء بن الإهناس المختفي أملا ان يظهر العلاء ولكنه لم يظهر واختفي محمد والده أيضاً فأعيد منصور بن الصفي الذي ما لبث أن أختفي، فعين فرج بن النحال[1].

لم تقتصر إهانة المماليك على الاستادار بل إنها تعدت إلى أهانه أحد المماليك[2] للأمير يونس الدوادار بحضور جماعة كثيرة من الناس بالقلعة، فنزل إلى داره وهو في غاية الغضب، لكن المذكور ما كفاه إهانته أمام الناس، حتى أساء إليه في داره بحضرة مماليكه وحواشيه، فلم يسع الأمير يونس إلا أن قام من مجلسه وعزل نفسه عن وظيفته الدوادارية ودخل إلى داره وأغلق بابه. في حين أن السلطان لم يتخذ أي أجراء ضد ذلك المملوك ولا "كلمة الكلام العرفي"[3].

وأغرب من هذا أن ذلك المملوك عندما أفحش في حق الأمير يونس، فإنه كان يضيف إليه السلطان في بعض الشتائم والسلطان للأسف يسمع، ويعلق على ذلك ابن تغري بردي" وهذا ما هون على الأمير يونس ما وقع في حقه من الإساءة[4].

لم يكتف المماليك بالإساءة إلى كبار رجال الدولة، بل إنهم غضبوا وأعلنوا التمرد من أجل الإفراج عن الأمراء الذين حبسهم السلطان، فعندما أمر السلطان بحبس زين الدين[5] الاستادار بالقلعة في 27 شوال سنة 17/864 أغسطس 1460 وأمر بتعيين منصور بن الصفي في الإستادارية، غضب المماليك على منصور تعصبا لزين الدين، فاضطر السلطان إلى إخراجه من الحبس، وإعادته إلى منصبه وأنعم عليه السلطان بعد أن أمر بحبسه ومحاسبته إرضاء للمماليك الذين كان السلطان مسلوب الاختيار معهم[6].

---

(1) السخاوي، الذيل التام، م 2، ص 142.

(2) ابن تغري بردي، النجوم، ج 16، ص 138، قد ذكر أنه يسمي " قانصوه".

(3) ابن تغري بردي، النجوم، ج 16، ص 138.

(4) ابن تغري بردي، النجوم، ج 16، ص 138.

(5) زين الدين يحيي بن عبد الرازق القبطي الاستادارات سنة 874 هـ/1469م، السخاوي، الضوء، ج 10، ص 333.

(6) ابن تغري بردي، النجوم، ج 16، ص151-152؛ ابن إياس، بدائع، ج 2، ص 362.

## المبحث الخامس: تمرد وعصيان المماليك ضد الأمراء:-

### عهد الظاهر برقوق:

ظن الأمير منطاش أنه إذا حبس السلطان برقوق، فلن يجد معارضة من أحد، لكن مماليك برقوق اتفقوا على عصيان منطاش، في 22 صفر سنة 792هـ/12فبراير سنة 1390م بمساعدة مماليك الأمير "صراي تمر"[1] ومماليك جماعه من الأمراء.

كانت خطة المماليك تقوم على أن كل طائفة من هؤلاء المماليك تقوم بالقبض على أمير من الأمراء الموجودين بالقلعة يوم الجمعة، وبذلك يملكوا القلعة والسلاح والخيول، ويتم الإطاحة بحكم منطاش نهائياً[2].

ولسوء حظهم فإن الخبر تسرب للأمير صراي تمر فقبض على خمسة وثلاثين مملوكاً وقبض الأمير تكا الأشرفي[3] على عشرين مملوك، كما قبض أحد الأمراء على سبعه وضرب الجميع فاعترفوا على جماعة آخرين من المماليك، فعثر على ستة مماليك بحارة البرقية[4] وقد لبسوا السلاح وأعدوا عندهم كثيراً من أدوات الحرب فقبض عليهم[5].

---

(1) صراي تمر، كان نائبا للغيبة لمنطاش، ت 1391/793، ابن تغري بردي، المنهل، ج 6، ص 339.

(2) ذكر ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، م 9، ص 184، أنهم كانوا يريدون أن يركبوا ويأخذوا القلعة؛ ولكن المقريزي، السلوك ج 3، ص 691، فقال إنهم اتفقوا على أن يثوروا كما ذكر ابن قاضي شهبة في تاريخه، ج3، ص 319 بأنهم اتفقوا على أن يركبوا ويأخذوا القلعة؛ الصيرفي، نزهة، ج1، ص 281؛ أما ابن إياس، بدائع، ج1، ص 424، فيذكر أن الخلاف وقع بين مماليك صراي تمر ومماليك الأمراء فقبضوا عليهم بعد أن علموا أن رأس الفتنة جماعة من المماليك الظاهرية برقوق، وهي راوية مضطربة.

(3) تكا الأشرفي أحد أتباع منطاش ت سنة 793 هـ / 1391م، ابن تغري بردي، المنهل، ج 4، ص 81.

(4) سميت باسم طائفة من طوائف الجيش من أهل برقة في العصر الفاطمي، المقريزي، الخطط، ج 2، ص 12.

(5) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، م 9، ص 184؛ الصيرفي، نزهة، ج 1، ص 281.

وكان الأمير منطاش قد وعد المماليك الظاهرية بالمناصب والأموال، إذا ساعدوه في التغلب على عدوه يلبغا الناصري، ولكنه بعد انتصاره أخذ يجمعهم لا ليعطيهم ولكن ليحبسهم حتى امتلأت بهم السجون ومنها سجن القلعة الذي كان به أكثر من خمسمائة مملوك[1].

قام هؤلاء المماليك بالتوجه الى السجون فأطلقوا زملائهم ومن كان معهم، وقبضوا على المماليك المنطاشية وحبسوهم، وعبثا حاول الأمير صراي تمر أن يجمع المنطاشية ليقاتل الظاهرية بالقلعة، وبعد معركة كبيرة، انتصر المماليك الظاهرية بمساعدة العامة – الذين ضاقوا من حكم الناصري ومنطاش وصاروا يرددون: راح برقوق وغزلانه وجاء الناصري وتيرانه[2]، وانسحب كثير من قوات صراي تمر الذي هُــزم وقبضُ عليه، ونادي بطا بالأمن والأمان والدعاء لبرقوق، وأمر الخطباء في الجمعة بالدعاء باسم السلطان برقوق وأرسل للسلطان بالشام يبشره بالنصر[3].

## عهد برسباي:

تحدث الأمير الكبير جارقطلو[4] مع السلطان في 23 رجب سنة 832هــ/29 أبريل 1429م في القبض على جماعه كبيرة من المماليك، ونفي جماعه، وتفرقه الباقي على الأمراء،

---

(1) المقريزي، السلوك، ج 3، ص 696-699؛ العيني، عقد الجمان، ص 292- 293؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج11، ص 373-376؛ وذكر ابن إياس، بدائع، ج1، ص 425، إن كبير المماليك الذين (اثاروا الفتنة) هو بطا الطولوتمري.

(2) ابن تغري بردي، النجوم، ج 11، ص 323.

(3) العيني، عقد الجمان، ص 293؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج 11، ص 376؛ الصيرفي، نزهة، ج 1، ص 288.

(4) جارقطلو، سيف الدين الأشرفي برقوق، ترقى حتى صار نائبا لحماه، ثم حلب، ثم أتابكا ثم نائبا لدمشق، ت سنة 837هــ/1433 م، ابن حجر، إنباء، ج3، ص 523- 524، وكتبها جارقطلى؛ أما المقريزي، السلوك، ج 4، ص 802، فكتبها شارقطلوا؛ السخاوي، الضوء، ج 3، ص51 ؛ الذيل التام، م1، ص 589.

حتى قال للسلطان "وكأنك لم تأخذ مائه ألف دينار"[1] لأنهم يهاجمون كبار رجال الدولة ويضربونهم وينهبون بيوتهم، بل إنهم فعلوا الكثير من المنكرات عند خروج الحجاج، كما تقاتلوا مع العبيد وقتل عدد كبيرا في ذلك التمرد[2].

ثم أردف قائلا: ولا فائدة منهم للسلطان، أو لذريته، حتى كاد السلطان أن يقتنع برأيه، لولا تدخل الأمير بيبغا المظفري[3] الذي قال للسلطان: لولا هؤلاء المماليك ما أطاعك أحد[4].

ضاق المماليك من كلام الأمير الكبير جارقطلو وعقدوا النية على الانتقام منه عند أول فرصة حتى كان السادس من شعبان سنة 832 هـ/2 مايو 1429م قام بعض المماليك بضرب مماليك جارقطلو، فأخذ مملوك جارقطلو يدافع عن نفسه، وشج رأس بعض المماليك، فقامت قيامتهم، وتجمعوا على ذلك المملوك وضربوه، فهرب الى بيت أستاذه واحتمي به، فعادت المماليك إلى القلعة وجاءوا بإخوانهم من المماليك وتوجهوا لبيت جارقطلو وحاصروه[5].

أرسل السلطان إلى المماليك جماعة من الأمراء ليرجعوا عن حصار بيت جارقطلو، فلم يلتفتوا إلى كلامه، وظلوا يحاصرون البيت ولكن مماليك جارقطلو استطاعوا ردهم عن الباب بالسهام، وعلى الرغم من كثرة عددهم فلم يستطيعوا اقتحام البيت لعدم خبرتهم، وقلة سلاحهم[6].

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم، ج 14، ص 327-328.

(2) سبق وهاجموا كبار رجال الدولة في ربيع سنة 1429/832م، وقاتلوا العبيد وأفسدوا في المحمل انظر المقريزي، السلوك، ج 4، ص 800؛ الصيرفي، نزهة، ج 3، ص 155؛ ابن إياس، بدائع، ج 2، ص 124.

(3) بيبغا المظفري برقوقي ترقي حتى صار أتابكا، ت سنة 833هـ/1429م، السخاوي، الضوء، ج 3، ص 22.

(4) ابن تغري بردي، النجوم، ج 14، ص 328- 327.

(5) المقريزي، السلوك، ج 4، ص 802؛ ابن حجر، أنباء، ج 3، ص 420؛ الصيرفي، نزهة، ج 3، ص 158؛ ابن إياس، بدائع، ج 2، ص 125.

(6) المقريزي، السلوك، ج 4، ص 802؛ ابن حجر، أبناء، ج 3، ص 420؛ ابن تغري بردي، النجوم ج14، ص 328.

ولما رأوا عجزهم عن قتال مماليك جارقطلو، طلبوا من السلطان جماعة من مماليك جارقطلو، ولكنه رفض، ثم أمر السلطان جارقطلو بأن يرسل إليه ثلاثة من المماليك الذين كانوا سبب هذا التمرد، فلما حضروا ضربهم ثم أمر بحبسهم، ووافق ذلك عجز المماليك عن القتال لتفرق كلمتهم وفرار أكثرهم إلى القلعة، وشجاعة وبسالة مماليك جارقطلو فأذعنوا للصلح وانتهي تمردهم[1].

## عهد جقمق:

احتشد جماعة من مماليك الأمير تغر بردي المؤذي البكلمشي[2] في 25 ربيع الأول سنة 846هـ/5 أغسطس 1442م، وقد أحاطوا به وأرادوا قتله، حتى لجأ إلى دور الحريم في بيته، وأصابه الهم الشديد لكثرة رمي السهام من جهة، وصياح النساء من جهة أخرى[3]، ولعل سبب هذا التمرد يرجع إلى أن الأمير كان متجبراً سيء الخلق بخيلاً مع المماليك[4].

ولما علم السلطان بذلك الأمر بعث إليهم جماعه من المماليك، وأمر الوالي بالذهاب إليه ومعه جماعة من المماليك، فقبضوا على هؤلاء المماليك وضربوهم ضرباً شديداً، ثم أودعوهم سجن المقشرة[5]، ولولا تدخل السلطان لقتل هؤلاء المماليك سيدهم تغربردي، وجرأوا غيرهم من المماليك على أمرائهم.

وعندما لم يتمكن المماليك من مهاجمة الأمير أينال، هاجموا من لهم مصلحة عنده وهو الاستادار[6]، ولم يكتف المماليك بما حدث فقد انتظروا أبي الخير النحاس[7] صاحب المناصب

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم، ج 14، ص 328.

(2) تغربردي، الرومي البكلمشي ويعرف بالمؤذي، الدوادار، ت سنة 846/ 1442م، السخاوي، الضوء، ج 3، ص27.

(3) الصيرفي، نزهة، ج 4، ص 250-251؛ ابن إياس، بدائع، ج 2، ص 235.

(4) النجوم، ج 15، ص 497.

(5) يقع بجوار باب الفتوح فيما بين الجامع الحاكمي كان يقشر فيه القمح، وكان معداً لأرباب الجرائم المقريزي، الخطط، ج 2، ص 188.

(6) السخاوي، التبر المسبوك، ص313

(7) محمد بن أحمد بن محمد بن النحاس ت سنة 1460/864 م السخاوي، الضوء، ج7، ص 63.

الكثيرة – للانتقام منه ولكنه لم ينزل خوفا منهم، فتوجهوا إلى داره ونهبوها وأشعلوا النار فيها، ومما يبين خطورة الأمران المؤرخ ابن تغري بردي خاف من وصول النار لبيته وانتشار الحرائق في القاهرة، فتوجه مع جماعة من الناس واستنجدوا بوالي القاهرة والمحتسب حتى استطاعوا إطفاء النار بعد جهد كبير[1].

## عهد السلطان إينال (857-865هـ):

عندما أمر السلطان مماليكه بالسفر لتأديب عرب البحيرة 30 جمادي الآخرة سنة859هـ/16 يونية 1455م، ولم يعطهم الجمال، التي تصرف لهم على العادة غضب المماليك وامتنعوا عن السفر حتى يأخذوا تلك الجمال[2]، وتجمعوا تحت القلعة ليعرضوا مطالبهم على السلطان فوجدوا الأمير يونس الأقباني[3] متوجها إلى بيته، فأحاطوا به، وطالبوه بالتدخل لدي السلطان لصرف رواتبهم، وصرف الجمال.

وجد الأمير يونس أن أكثر من خمسمائة مملوك يحاصروه، فخشي على نفسه، أن يقتلوه، أو ينهبوا ماله وبيته، أو يأمروه بمحاربة السلطان، فاضطر لقتالهم بمماليكه، فجرح منهم جماعة، وقطعت أصابع واحد، وشق بطن واحد[4]، حتى شق الأمير يونس طريقه إلى داره بصعوبة بالغة من خلال ثغرة، ثم انه أبلغ السلطان بما حدث من المماليك[5].

أراد السلطان وضع حد لهذا العصيان، فأمر بإعطاء المصابين من المماليك بعض المال، وأن يأخذ من قطعت أصابعه مائة دينار وإقطاع، وعلي الرغم من ذلك لم يقع الصلح بين الطرفين[6]، لعزم المماليك على التمرد.

---

(1) ابن تغري بردي، حوادث، ج1، ص213 ؛ السخاوي، الذيل التام، م2، ص55.

(2) ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص87؛ حوادث الدهور، ج1، ص454.

(3) يونس الأقباني الدوادار، ت سنة865/1460م، السخاوي، الضوء، ج9، ص345.

(4) ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص87

(5) ابن تغري بردي، النجوم، ج16 ص 87؛ حوادث الدهور، ج1، ص455.

(6) ابن تغري بردي، النجوم، ج 16، ص 88؛ حوادث، ج 1، ص 455.

انتهز المماليك الظاهرية الجقمقية فرصة عصيان المماليك على أستاذهم فانضموا إليهم لعدة أسباب، منها خلع السلطان اينال ابن أستاذهم جقمق "السلطان عثمان بن جقمق"، وحبس إينال لزملائهم وتقريبه المماليك الأشرفية برسباى وتفضيلهم عليهم، فتحركت البغضاء في صدورهم واغتنموا تلك الفرصة وأشاروا على المماليك العصاة بضرورة إحضار الخليفة[1] ليقوى جانبهم[2].

وعندما جاء وقت الحرب وجد المماليك العصاة أن المماليك الظاهرية الجقمقية يدفعونهم إلى قتال أستاذهم أينال، وخافوا من زوال ملكه فتخلوا عن المماليك الجقمقية قليلا بقليل أخذوا ينسحبون تاركين المماليك الظاهرية الجقمقية وحدهم[3].

وتجهز السلطان بمماليكة لحربهم ومعه الأمراء ومماليكهم، وعند التقاء القوتين كانت الهزيمة من نصيب المماليك[4].

لم تتوقف حوادث اعتداء المماليك على كبار رجال الدولة ففي رمضان سنة 862هـ/ يوليه 1458م وقفوا تحت القلعة ينتظرون نزول الأمير قانم[5] التاجر، وقاموا بضربه على رأسه وظهره، لولا انه فر منهم لقتلوه، ثم توجهوا لنهب بيته أو حرقه فاقتتلوا مع مماليك الأمير قانم الذين دافعوا عن بيت أستاذهم ببسالة وشجاعة منقطعة النظير، فعاد المهاجمون أدراجهم إلى القلعة دون أن يظفروا بشيء من بيت ذلك الأمير[6].

---

(1) هو الخليفة القائم بالله حمزة بن المتوكل على الله بن المعتصم بالله بن أبى بكر العباسي ت سنة 862هـ/1457م، ابن تغري بردي، النجوم، ج 16، ص 193 ؛ السخاوي، الضوء اللامع ج 3 ص 168.

(2) ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص88 ؛ حوادث الدهر، ج 1، صر456.

(3) ابن تغري بردي، النجوم، ج 16، ص 89 ؛ حوادث الدهر، ج 1، ص 456- 457.

(4) ابن تغري بردي، حوادث، ج1، ص457.

(5) قانم من صفر خجا المؤيدي شيخ، يعرف بالتاجر، ترقى في العديد من المناصب، حتى كان قائدا للجيش في عصر خشقدم، ت سنة 871 هـ/1466م، السخاوي، الضوء، ج6، ص200-201.

(6) ابن تغري بردي، النجوم، ج 16، ص 125؛ ابن إياس، بدائع، ج 2، ص 348.

## عهـــــد قايتباي:

تمرد المماليك على الأمير يشبك الدوادار طلبا لزيادة للنفقة، على الرغم من أنهم في ميدان القتال ببلاد الشام في سنة 876هـ / 1471م، فقد أرسل السلطان قايتباى مبلغ 40 ألف دينار للأمير يشبك الدوادار ليستعمله فيما يحتاج إليه الجيش وما يصلح به قادة الجيش، لكن المماليك وقفوا للأمير يشبك وطلبوا منه نفقة زيادة بخلاف (مرتباتهم، واللحوم التي تصرف لهم وعلف خيولهم)، ثم إنهم الحوا في ذلك فقال لهم: أنا ما عندي شيء أعطية لكم ومن أراد الإقامة أقام، ومن أراد الذهاب ذهب، لكنهم اشتدوا علية في القول والأمراء حاضرون لا يتكلمون فقال لهم (سأرسل للسلطان في 14 يوما ويرد علينا في مثلها وما يأمر به نفذته فسكتوا[1].

عاد المماليك للعصيان[2] في ذي القعدة 878 هـ/ مارس 1474م ونهبوا البيوت في منطقة بولاق ثم توجهوا إلى مخازن الغلال الخاصة بالأمير يشبك من مهدي الدوادار[3] حتى اخذوا جمال السقائيين وحملوها ما نهبوه من قمح وشعير، وعندما اشتد خطرهم نزل إليهم السلطان بنفسه ومعه جماعة من المماليك ولكنه لم يدركهم، فقد هربوا بعد أن ألحقوا بالناس أضراراً بالغة من نهب الأموال وخطف البضائع.

تكررت محاولة المماليك قتل الأمير يشبك في 10 من ربيع أول سنة 879 هـ /26 يوليو 1474 من داخل داره[4]، ولعل سبب تمردهم المتكرر ضد يشبك، تضييقه في النفقة عليهم

---

(1) ذكر الصيرفي، في أنباء الهصر، ص 403، أنهم خشنوا له في القول أما النواب فلم يتكلم منهم أحد ببنت شفة.

(2) ذكر ابن إياس، بدائع، ج 3، ص 94 أن في ذي القعدة (ثار) جماعة من المماليك الجلبان.

(3) يشبك من مهدى الظاهري جقمق الدوادار الكبير، ت سنة 885 هـ / 1480 م السخاوي، الضوء، ج 10 ص272.

(4) ابن إياس، بدائع، ج 3، ص 96.

بعد أن أسند إليه السلطان العديد من المسئوليات ومنها وظيفة الاستادارية، فحقد علية هؤلاء المماليك[1].

وقد انتهى أمر العصيان بأن أرسل السلطان الأمير ألماس[2] ليصلح بين يشبك والمماليك، فأخذ جماعة من المماليك العصاة واعتذروا للأمير يشبك وقبلوا يديه وسكن العصيان[3].

وتجدر الإشارة إلى أن المماليك انتهزوا فرصة عودة الجيش في أواخر ذي القعدة سنة 891هـ/نوفمبر 1486م وأعلنوا العصيان[4] على السلطان قايتباي ولبسوا السلاح مطالبين بالإنفاق عليهم في مقابل انتصارهم وزيادة رواتبهم الشهرية وفوضوا الأمير أقبردى في الحديث مع السلطان، ولكن أمنيتهم لم تتحقق، لعدة أمور منها:

**أولاً:** عدم انضمام بقية المماليك لهم.

**ثانياً:** كراهية الأمراء لفعلهم فلم يتعاطف أي أمير معهم.

**ثالثا:** عدم نزولهم إلى القاهرة لتنضم العامة لهم وتكثر جموعهم.

وفي محاولة لإصلاح الأمور تحدث الأمير أزبك مع السلطان، وتلطف به حتى وافق على الإنفاق عليهم بأن يعطى كل مملوك خمسين ديناراً في المحرم سنة 892 هـ / ديسمبر 1486 م فسكن التمرد قليلا، وعند توزيع النفقة رفضوا أخذها إلا مع المرتب الشهري، فاضطر السلطان للإنفاق عليهم وانتهى عصيانهم[5].

---

(1) السخاوي، الضوء، ج 10، ص 272 – 274.

(2) الماس الاشرافي قايتباي ت سنة 889 هـ / 1484 م السخاوي، الضوء، ج 2، ص 321.

(3) ابن إياس، بدائع ، ج 3، ص 96.

(4) ذكر ابن إياس، بدائع، ج 3، ص 236، أنهم ثاروا على السلطان.

(5) السخاوي، الذيل التام، م2، ص 369 ؛ ابن إياس، بدائع، ج 3، ص 236، يذكر بعد الإنفاق عليهم خمدت الفتنة.

# الفصل الثالث

# الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية

# لحركات التمرد والعصيان

**المبحث الأول: الآثار السياسية.**

**المبحث الثاني: الآثار الاقتصادية.**

**المبحث الثالث: الآثار الاجتماعية.**

**المبحث الرابع: الآثار العلمية.**

# الفصل الثالث

# الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية لحركات التمرد والعصيان

## المبحث الأول: الآثار السياسية لحركات التمرد والعصيان:-

كان لحركات التمرد والعصيان آثار خطيرة على النواحي السياسية إذ كانت سببا لتولية سلاطين للحكم وعزل آخرين، ويصحب ذلك زيادة نفوذ بعض فرق المماليك على حساب غيرهم، وبذلك يتم تغيير معظم مناصب الدولة، وليس هذا فحسب بل إن مجرد الإشاعة بتمرد المماليك كان كفيلا لاضطراب الأحوال ونشر الفوضى، كما نلاحظ أن هذه الحركات كان لها آثارا سلبية على الجيش نفسه والتهديد المستمر من المماليك بترك القتال مطالبين بالنفقة، وعلى مستوى الأمراء وصل الأمر إلى عزوف كبار الأمراء عن منصب السلطنة، بل تنازل السلاطين أنفسهم مرات عديدة عن هذا المنصب مما تسبب في النهاية إلى إضعاف الدولة، ومن أهم الآثار السياسية ما يلي:

### الأثر الأول: نجاح العصيان وخلع السلطان أو قتله:

ويتضح ذلك من خلال عصيان الأمير يلبغا الناصري على السلطان برقوق سنة 791 هـ وقبضه على برقوق وحبسه ببلاد الكرك في 19 من جمادى الآخر 791هـ/ 17 يونيو سنة 1388م وإعادة السلطان حاجي بن الأشرف شعبان إلى الحكم[1]. إلا أن الأمر لم يستمر طويلا إذ نهض خمسمائة من المماليك الظاهرية وهزموا قوات منطاش ونادوا بالدعاء لبرقوق في الجمعة، وقضوا بذلك على حكم منطاش والسلطان حاجي وأعادوا برقوق للحكم[2].

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم، ج11، ص 329.

(2) العيني، عقد الجمان، ص 293؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج11، ص 376؛ الصيرفي، نزهة، ج1، ص288.

وقد أسفر تمرد الأميرين شيخ ونوروز بالشام عن قتل السلطان فرج حيث خرج السلطان لقتالهما، ولكنه هزم ولجأ لقلعة دمشق فحاصروه بها ثم قتلوه في 16 صفر سنة 815 هـ/ 29 مايو سنة 1411م[1].

كما رفع المماليك راية العصيان على السلطان عثمان بن جقمق في سنة 857 هـ/1453م، وحاصروا القلعة وقبضوا على عثمان وحبسوه بالإسكندرية[2].

كذلك نجح المماليك فى خلع السلطان أحمد بن إينال وتولية خشقدم، وقبضوا على السلطان، وحبسوه بالإسكندرية[3].

كما نجح الأمير خير بك فى خلع السلطان تمربغا وتولي السلطنة لمدة 3 أيام ولكن اتباعه هزموا من قايتباى الذي تولي السلطنة[4].

كذلك استطاع الأمير قانصوه خمسمائة الانتصار على قوات الناصر محمد بن قايتباي وخلعه لمدة 3 أيام، ثم تشجعت قوات الناصر محمد وهزمته وعاد الناصر محمد للحكم وهرب قانصوه خمسمائة للشام ثم قتل بغزة في 18 جماد آخر 902هـ / 24 فبراير سنة 1497م[5].

**الأثر الثاني: فشل التمرد وقتل القائمين به أو القبض عليهم أو نفيهم:**

حاول الأمير على باي التخلص من السلطان برقوق في 19 ذى القعدة سنة 800 هـ/ 5 أغسطس سنة 1398م عندما أشاع أنه مريض ليزوره السلطان فيقتله لكن خطته فشلت وقبض عليه وقتل[6].

---

(1) المقريزي، السلوك، ج4، ص 224؛ ابن حجر، أنباء الغمر، ج2، ص 510.

(2) ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص56؛ ابن إياس، بدائع، ج2، ص 304.

(3) ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص 241؛ ابن إياس، بدائع، ج2، ص 376.

(4) ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص 386؛ ابن إياس، بدائع، ج2، ص 473.

(5) ابن الشحنة، البدر الزاهر في نصرة الملك الناصر، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط بيروت سنة 1983م، ص75.

(6) المقريزي، السلوك، ج3، ص903؛ العيني، عقد الجمان، ص 453؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص 82 – 84.

وقد قام السلطان برقوق في الثالث عشر من صفر سنة 801 / 26 أكتوبر سنة 1398م بالقبض على أميرين من رافعي لواء العصيان، الأول جرباش الظاهري، الذي أراد قتل برقوق لأنه رقى زملاءه وتركه، فأمر بالقبض عليه"[1]، والثاني فكان الأمير نوروز الذي أراد قتل السلطان بالاتفاق مع بعض المماليك، فعلم السلطان من بعض المماليك فقبض عليه[2].

ولما أعلن الأمير تنم نائب الشام العصيان في 19 رجب سنة 802/ 16 مارس 1400م في عهد فرج بن برقوق تم القضاء على عصيانه هزم، ومن ثم تم القبض على الأمراء الذين معه ثم قتلوا في 4 رمضان سنة 802هـ/ 1 مايو 1400م، ونهبت أموالهم وبيوتهم وخيولهم[3].

وعندما أعلن الأمير قاني باي المحمدي العصيان مع الأمراء في 22 رجب سنة 818 هـ/ 28 سبتمبر 1415م على السلطان شيخ، قاتله السلطان وهزمه وقتله[4].

وفي محاولة من الأمير طوغان الحسني، (ت 818/ 1415م) الانقلاب على السلطان شيخ، جمع مماليكه في 16 جماد أول سنة 816/ 16 أغسطس 1413م، وانتظر انضمام المماليك له فلم يأتوه فاختفى، فقبض عليه[5] وحبس بالإسكندرية.

وانتهز الأمير قرقماس قائد الجيش فرصة عصيان المماليك من أجل زيادة رواتبهم، ليقضى معهم على السلطان جقمق سنة 842 هـ / 1438م فى 19 ربيع أول سنة 842 هـ / 21 سبتمبر 1438م[6] ولكنه هزم وقبض عليه وحبس ثم قتل بالإسكندرية[7].

كذلك حاول الأمير مصرباي الدوادار الاستيلاء على القلعة في 12 رمضان سنة 907/ 22 مارس سنة 1501م، ولكنه فشل وقاتله المماليك وقتلوه[8].

---

(1) المقريزي، السلوك، ج3، ص 919؛ الصيرفي، نزهة، ج1، ص 482.

(2) المقريزي، السلوك، ج3، ص 919 – 920؛ ابن تغري بردي، النجوم، 12، ص 92 – 93.

(3) ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص 211 – 213، وذكر مقتل 14 أميرا كبيرا في ليلة واحدة.

(4) المقريزي، السلوك، ج4، ص 328؛ ابن حجر، أنباء، ج3، ص 68؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج14، ص 36.

(5) المقريزي، السلوك، ج4، ص 265؛ العيني، السيف المهند، ص 317؛ الصيرفي، نزهة، ج2، ص 329.

(6) ابن تغري بردي، النجوم، ج15، ص 253.

(7) ابن تغري بردي، النجوم، ج15، ص 272.

(8) ابن إياس، بدائع، ج4، ص 27.

وحاول الأمير يرش قتل السلطان خشقدم في ذي الحجة سنة 868 هـ/ أغسطس سنة 1463م، مدبرا الأمر مع بعض المماليك ولكن علم السلطان وقبض عليه[1].

واستمال الأمير جانبك الفقيه في شهر رمضان سنة 882/ ديسمبر 1477م خبر مرض قايتباي المماليك الخشقدمية الناقمين على السلطان، ولكن افتضح الأمر فأمر بنفيه هو والأمير بردبك جليس[2].

ولما جاءت الأخبار للسلطان الغوري بأن بعض الأمراء يريدون قتله في ربيع الأخر سنة 912 هـ / أغسطس 1506م، وهم: قلج أمير آخور ثان، بيبردي أخو "جان بلاط" الذي تسلطن، والأمير تنم المقري، وتأكد السلطان من تخطيطهم أمر بنفيهم[3].

**الأثر الثالث: زيادة نفوذ طائفة من المماليك على غيرها:**

أعلن جماعة من أمراء الظاهر برقوق العصيان وعزموا على قتل السلطان فرج في أول صفر سنة 812 هـ/ 15 يونيه 1409م، وكان من آثار عصيانهم زيادة الانقسام بين طوائف المماليك (الجراكسة والروم) بعد فشل محاولة الأمراء قتل فرج سنة 812 هـ/ 1409م وساهم فرج بسياسته في تعميق هذا الخلاف، بالإضافة لغضب فرج على الأمراء الجراكسة فأمر بالقبض على كل من تحوم حوله الشكوك في المشاركة في مؤامرة قتله [4].

وقد ترتب على عصيان الأمير قرقماس ضد السلطان جقمق أن وقفت الأمراء المؤيدية شيخ على أبواب القلعة ليمنعوا المماليك الأشرفية برسباي من الدخول إلى القلعة، وصاروا يضربونهم على رؤوسهم وأكتافهم بالعصى بعد أن أوسعوهم سبا وتوبيخا، وقام السلطان بقطع رواتب جماعة كثيرة منهم، وأبعدهم وقرب أنصاره ليكونوا عدته في مواجهة المماليك الأشرفية برسباي.

---

(1) ابن إياس، بدائع، ج2، ص 422، وأمر السلطان بموته غرقاً.

(2) ابن إياس، بدائع، ج3، ص 136 – 137.

(3) ابن إياس، بدائع، ج4، ص 97.

(4) المقريزي، السلوك، ج4، ص 95؛ ابن حجر، إنباء، ج2، ص 421؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج3، ص 78.

### الأثر الرابع: اضطراب الأمن:

تولد عن الصراعات والتمردات بين المماليك أن وقع اضطراب في الأمن وتنكدت المعيشة على الناس، وهو ما تصوره المصادر بحرفية فعندما جاءت الأخبار باقتراب قوات الناصري إلى القاهرة في 4 جمادي الآخرة سنة 791 هـ/ 23 يونيه 1389م قام الناس بإغلاق أبواب القاهرة وجميع الدروب والخوخ وتعطلت الأسواق وامتلأت القاهرة بالزعر واشتد فسادهم وتلاشت الدولة واضمحل أمرها وخاف والي القاهرة على نفسه فقام من خلف باب زويلة وسار بمن معه إلى منزله واختفى وترك الناس فوضى، وخرج المساجين من حبسهم منتهزين الفرصة فاشتد الأمر على الناس حتى بدأ الخوف واضحا على وجوههم بعد أن امتلأت قلوبهم رعبا وفزعا على أموالهم وأولادهم وكأن القيامة قد قامت، فأين الأمراء والسلطان؟ أما الأمراء فقد لبسوا آلة الحرب واستعدوا بجنودهم للقتال، وأما السلطان فقد أمر بتحصين القلعة وتخزين الدقيق والبقسماط والأرز استعدادا للحصار، وصار الناس في أمر مريج لتعطل معايشهم[1].

وكان خروج منطاش لقتال برقوق سنة 791هـ / 1388م بالشام سببا لاضطراب الأحوال وحدث منه غاية الفساد والضرر حيث استولى على جميع خيول الطواحين فتعطل الناس عن تجهيز الدقيق وانعدم الخبز من الأسواق وحدث الغلاء، وقبض على الكثير من مماليك برقوق وسجنهم كما أغرق جماعة وقتل جماعة ونفى جماعة، واستولى على مال الأيتام وأظهر من المظالم ما لم يسمع بمثلها[2].

وعندما اختلف الأمراء على السلطان فرج بن برقوق في شهر جمادى الآخرة سنة 803 هـ/ يناير 1401م وكثر حديث الناس في أن جماعة من الأمراء[3] قد اختفوا من المعركة الدائرة بين جيش السلطان فرج من جهة وجيش تيمور لنك أمام دمشق من جهة أخرى، فكانت صاعقة نزلت من السماء على الناس بعد هذا الخبر السيء فارتجت البلاد وكادت عقول الناس أن تختل وسارعوا في بيع ما عندهم وقام نائب القلعة بتحصينها وتزويدها بالزاد والماء خوفا من

---

(1) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، م9، ص 77؛ المقريزي، السلوك، ج3، ص 608 – 613.

(2) ابن الفرات، تاريخ ابن فرات، م 9، ص154؛ ابن قاض شهبة، تاريخ ابن القاضي شهبة،ج3، ص296.

(3) سودون الطيار، قاني باي العلائي، جمق، يشبك العثماني، قمج الحافظي، وبرسبغا الدوادار، وطرباي وآخرين.

تعرضها للحصار[1]، وقد خيم الحزن عليهم ودب الرعب في قلوبهم ليدفعهم إلى التخلي طواعية عن دورهم وأراضيهم فارين بأرواحهم قبل أن ينتزعها سيف الموت بيد التتار، أما السلطان فإنه عاد ومن معه في أسوا حال وقد فنيت أموالهم وخيولهم وجمالهم وسلاحهم مما بلغت قيمته (عشرات آلاف ألف دينار) وشوهد كثير من المماليك يأكل العشب وبعضهم عريان[2].

وقد تمرد العربان في عهد المؤيد شيخ في شهر جمادى الأولى سنة 818 هـ/يوليو 1415م وقاموا بقطع الطرق في جميع بلاد مصر قبليها وبحريها، ووقع التعدي على المسافرين في البر والبحر، وقتلوا الكثير من الناس، ونتساءل عن رد فعل أهل الدولة، ولكن للأسف فقد امتنع جيش المماليك عن الخروج إلى النواحي، وعجزوا عن أخذ الغلال من إقطاعاتهم مما يدل على خطورة عصيان العربان وشدة جرأتهم على الدولة وضياع هيبة السلطنة بين الناس[3] مما تسبب في قلة القمح وارتفاع سعره واضطراب الأسواق وامتناع الباعة عن البيع والشراء.

وركب الناس خوف وفزع شديد من وقوع القتال بين الأمراء بسبب موت السلطان المؤيد شيخ، وكثرة عبث المفسدين وقطاع الطريق ببلاد الصعيد فخاف الناس من السفر، كما انتشرت السرقات ونهبت الأموال، وليس هذا فحسب، بل تجاوز الأمر إزهاق الأرواح وكثرة قتل الأنفس، وكسدت البضائع وتوقفت الأحوال فارتسمت على الوجوه صورة الخوف والأسى في آن واحد[4].

وقد استمر كابوس جانبك الصوفي يسيطر على برسباى ويقضض مضجعه في أحلام نومه ويقظته مما دفعه إلى استمرار البحث عنه في كل شبر وبيت وزقاق، واشتد الفحص عن جانبك وقبض على جماعة من المماليك ولكنهم لم يعترفوا بمكانه فقتل الكثير منهم، كما قبض

---

(1) المقريزي، السلوك، ج3، ص 1044؛ الصيرفي، نزهة، ج2، ص 84.

(2) المقريزي، السلوك، ج3، ص 905؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص 85 ؛ وانظر: بول كازانوفا، تاريخ وصف قلعة القاهرة، ترجمة: أحمد دراج ومراجعة: جمال محرز، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة1974، ص 159.

(3) المقريزي، السلوك، ج4، ص 319.

(4) المقريزي، السلوك، ج4، ص 549.

على أصهاره وأقاربه، وسلبوا أهله كثير من مال بيته ومتاعه[1]، واستمر ذلك الأمر مسببا للخوف والفزع بين جيرانه ومعارفه لأن غريم السلطان وعدوه يتربص به الجميع وتجند الدولة كلها للإيقاع به، فقد يكون التفتيش نهارا أو ليلا في كل الأماكن المتوقعة، لكن لم يجدوه أو يقتربوا منه.

وكان اختفاء العزيز يوسف بن برسباي من مكانه بالقلعة في 29 رمضان سنة 842 هـ/ 14 مارس 1439م سببا لخوف السلطان جقمق – الذي سبق وخلع العزيز – وتزايد اضطرابه فجمع الأمراء والمباشرين وأخبرهم بالأمر، فماج الناس وكثرت الإشاعات وترقبوا وقوع تمرد من المماليك، وأمر السلطان بالنداء: "من قبض على أحد أعداء السلطان فله 500 دينار وإقطاع، ومن أخفاه حل دمه وماله للسلطان"، فأخذ المماليك يفحصون عن العزيز ومن معه في كل الأماكن ففتشوا البيوت والمقابر وأديرة النصارى والبساتين وضواحي القاهرة ومصر، كما كانوا يمرون بالأزقة متنكرين فانتشر الخوف والاضطراب بين الناس، وكادت الأسواق أن تتعطل لكثرة الإرجاف بأن المماليك لن تترك بيتا واحدا بدون تفتيش حتى يجدوا العزيز، ولما أراد الله رفع البلاء عن الناس قبض على العزيز في 27 شوال سنة 842 هـ/ 14 أبريل 1439م وكافأ السلطان من قبض عليه ب 500 دينار ودقت البشائر بالقلعة وركب الناس لتهنئة السلطان[2].

وعندما تأخرت رواتب المماليك في عهد أينال نزلوا من القلعة ونهبوا بيت الإستادار ابن أبى الفرج ونهبوا جميع ما كان فيه من قماش وذهب ومتاع وأوان وسلاح بلغت قيمته أكثر من 25 ألف دينار، هذا بعد هتك حرمه والرعب الذي حدث لهن ولجيرانه ومن حوله، وبعد أن وقعت تلك الواقعة شاعت الأخبار وسرى الخوف والقلق بالبلاد والقرى فاضطربت الأحوال وكثر قطاع الطرق وخيفت السبل، وأغلقت الأسواق وقام الباعة والتجار بإخفاء بضائعهم خوفا من نهب المماليك لها[3]، وصار الناس لا يستطيعون الخروج من بيوتهم بعد آذان العشاء ولا لصلاة الجماعة وإن كان بجوار المسجد، واستغل اللصوص وبعض الناس الفرصة وأخذوا

---

(1) المقريزي، السلوك، ج4، ص 648 – 649.

(2) المقريزي، السلوك، ج4، ص 1116 – 1134.

(3) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج1، ص 434.

يسرقون البيوت والحارات ولا يستطيع أحد الإمساك بهم ظنا أنهم من المماليك حتى كثرت السرقات وأخذت الشكاوي تتابع للسلطان، وليس فى استطاعته أن يغير شيئا فسكت على مضض[1].

وتجدر الإشارة إلى أنه حال إشاعة خبر موت السلطان خشقدم في 3 ربيع أول سنة 872هـ/ 3 أكتوبر 1467م بين الناس حزنوا واشتد جزعهم واضطربت أحوالهم، كما كثر الهرج بشوارع القاهرة، وأخذ الباعة في إخفاء بضائعهم وإغلاق حوانيتهم تحسبا لوقوع تمرد من بعض الأمراء، كما لبس المماليك آلة الحرب واستعدوا للقتال، وقضى الناس الليل في خوف شديد فلم يذوقوا طعم النوم وباتوا ينتظرون مولد جديد فيه الأمن والرخاء واستمروا في ترقبهم حتى ظهرت نسائم الصباح الوليد[2] وظهرت الحقيقة، فقد كانت مجرد إشاعة ومات في 10 ربيع أول سنة 872 هـ / 10 أكتوبر 1467م.

وبينما كان السلطان قايتباى يركب فرسه في 2 رمضان سنة 891 هـ/ 2 سبتمبر 1486م فاضطرب الفرس فوقع السلطان وانقلب على الأرض وانكسرت رجله فأغمى عليه وسال منه الدم فحمل في محفة إلى القلعة فأرجفت القلعة بموته واضطربت القاهرة وكثر القيل والقال بين الناس ولم يشك في موته أحد وسارع الناس بإخفاء قماشهم وأموالهم وأغلق التجار حوانيتهم واستعد المماليك للنهب، ومن ثم أمر السلطان بعد أن أفاق من إغمائه بكتابة أمر سلامته للجيش بحلب لكيلا يقع الخلاف بين الأمراء المسافرين وطمأنة النواب ببلاد الشام كما أمر أن ينادى بالقاهرة بالأمان والاطمئنان وأن أحدا لا يهدم الزينة ومن هدمها فعل به كذا وكذا وبعافيته ليهدأ الناس وتسكن حركتهم بعد الإشاعة التي انتشرت بموته[3].

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج16، ص 136 – 137.

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج16، ص 304.

(3) الصيرفي، إنباء الهصر، ص 320؛ ابن إياس، بدائع، ج3، ص 227.

وتجدر الإشارة إلى أنه لما اشتد المرض على السلطان قايتباى ومنع الأطباء الناس من الدخول عليه واختفت أخباره عن الناس. فسدت الطرق بعد أن انتشر قطاع الطرق من العربان واستولوا على بعض القوافل التجارية ونهبوا مدينة السويس[1].

ولقد اضطربت أحوال السلطان الظاهر قانصوه عندما علم في 14 رمضان سنة 905 هـ/ 15 أبريل 1499م أن الأمير قصروه نائب الشام قد رفع راية العصيان على السلطان، وكان الأمير طومان باي الدوادار يميل إليه في الباطن، ويوضح لنا ابن إياس أن السلطان في شهر شوال أرد القبض على طومان باي قبل خروجه بالجيش إلى الصعيد، ويا ليته فعل ذلك وقطع دابر الفتنة ولكنه تركه ليذهب بعد ذلك لقتال قصروه فيتواطأ معه على الظاهر ويخلعه ويتولى طومان باي السلطنة[2].

وعلى أثر الخلاف بين السلطان وطومان باي الدوادار قام اللصوص بالهجوم على سوق الوراقين وسوق الهرامزة كما كسروا عدة حوانيت ونهبوا ما فيها وقتلوا 3 من الخفراء، وكانوا أكثر من 100 فرد وبلغت المسروقات أكثر من 10000 دينار بالإضافة لما نشروه من الرعب والفزع بين الناس[3].

ظل والي القاهرة يقبض على الجواري ويقتحم البيوت للفحص عن السلطان الهارب، وانتشر الخوف والرعب بين الناس طيلة 45 يوما، عندما علم الوالي أخيرا أن الظاهر قانصوه مختف في بيت رجل يسمى محمد بن أينال فقبض عليه بعد أن قاسى الناس أهوالا بسببه[4].

وفي إطار استمرار البحث عن العادل قانصوه هاجم المماليك في ذي القعدة سنة 906 هـ/ مايو 1501م بيت الأمير على بن المؤيد أحمد بن الأشرف أينال فلم يجدوا أحدا، كما هاجموا زاوية الشيخ أبو شامة التي بالناصرية، وظل البحث مستمرا لمدة 45 يوما والناس في

---

(1) السخاوي، الذيل التام، ج3، ص 340.

(2) ابن إياس، بدائع، ج3، ص 432 – 433.

(3) ابن إياس، بدائع، ج3، ص 443.

(4) ابن إياس، بدائع، ج3، ص 441.

هلع واضطراب ومعاناة من جمرة النار التي أشعلها المماليك حتى قبضوا عليه في 13 ذي القعدة سنة 906 هـ/ 2 يونيه 1501م[1].

وفى عهد السلطان قنصوه الغوري هرب خصماه الأمير جاني بك الشامي، المعروف باللامي في 16 محرم سنة 907/ 3 أغسطس سنة 1501م، والأمير مصرباى الدوادار[2]، واضطربت الأحوال لهروبهما وكثرت الإشاعات وكثر القيل والقال[3]، واستمر البحث عنهما في كل مكان حتى تم القبض على أحد التجار، ورجل من الأتراك قيل أنه كان خادما لجاني بك، وعلى الرغم من تهديدهما وتعذيبهما لم يعترفا على جاني بك الشامي فتم حبسهما[4]، ثم تمكن والي القاهرة من العثور على مصرباي الدوادار وجاني بك الشامي بالقرب من المدرسة القجماسية[5] وأمر السلطان بقتلهما وقتل صاحب البيت الذي كان فيه[6]. ويذكر ابن إياس أن الوالي فتش الكثير من البيوت والحارات بسبب اختفائهما، فقد قطعا الطريق على المماليك الذين كانوا يحملون مبلغ 12 ألف دينار إلى القلعة فأخذوه، وكان مخصصا لنفقة المماليك مما كان سببا لتشديد الطلب عليهما، ثم قتلهما[7].

والجدير بالذكر أن السلطان الغوري بعد خروجه لبلاد الشام سنة 922 هـ / 1516م لقتال العثمانيين طمع العربان في البلاد وأرادوا إعلان العصيان على الدولة، ولكن الأمير طومان باى نائب غيبة السلطان استمر يركب كل يوم ومعه الأمراء والقوات الموجودة بمصر

---

(1) ابن إياس، بدائع، ج3، ص 6 – 7.

(2) ابن إياس، بدائع، ج4، ص 18.

(3) ابن إياس، بدائع، ج4، ص 18.

(4) ابن إياس، بدائع، ج4، ص 42.

(5) أنشأها الأمير قجماس الاستحاقي الظاهري جقمق نائب الشام، ت سنة 892 هـ/ 1487م، وتقع بالقرب من خوخة أيدغمش، السخاوي، الضوء، ج6، ص 213 – 214.

(6) ابن إياس، بدائع، ج4، ص 42.

(7) ابن إياس، بدائع، ج4، ص 43.

ويقطع شوارع القاهرة ذهابا وإيابا ومعه جمع غفير من الناس والأمراء والعسكر، وكل ذلك من أجل العرب حتى لا يطمعوا في البلاد ويقولوا: (إن مصر لم يبق فيها جيش)[1].

ومما سبق يتضح أن الاضطرابات كانت تحدث ثاراً واضحة يمكن أن نبينها في التالي:

1- مسارعة الناس بإخفاء قماشهم وأموالهم وإغلاق التجار حوانيتهم.

2- انتشار السرقة حتى كون السراق جماعات تعرف بالمناسر يصل عددها أكثر من 100 فرد، واستغل اللصوص وبعض الناس الفرصة وأخذوا يسرقون البيوت والحارات ولا يستطيع أحد الإمساك بهم ظنا أنهم من المماليك.

3- أن المماليك كانوا يسببون القلق وينشرون الفزع بين الناس إذا خرجوا للقتال، فيهاجمون الطواحين ويأخذون الخيول والبغال.

4- أن عصيان العربان كان يشجع غيرهم من الكارهين لحكم المماليك للخروج عن الطاعة، والتعدي على المسافرين في البر والبحر.

5- اختفاء الماء في فصل الصيف نتيجة قبض المحتسب على 120 جملا بروايها وإرسالها إلى جيش السلطان، فأسرع الساقيون بإخفاء جمالهم واختفوا فاضطربت القاهرة وصار الناس ينقلون الماء على ظهور الحمير وعلى رءوسهم، واستمرت القاهرة أربعة أيام لم يظهر بها راوية ماء واحدة على جمل.

---

[1] ابن إياس، بدائع، ج5، ص 56 ؛ Poliak, les revotes, p.260.

## المبحث الثاني: الآثار الاقتصادية:

تعددت أشكال الآثار الاقتصادية نتيجة لتمرد وعصيان المماليك، ويمكننا أن نصيغها على النحو التالي:

### أولا: استيلاء المماليك على أموال الدولة والناس:

استدعى الأمير منطاش القاضي صدر الدين المناوي للخروج معه عندما أراد منطاش السفر بالجيش للشام في 17 ذي الحجة سنة 791 هـ/ 8 ديسمبر 1389م فرفض القاضي وطلب الإعفاء من القضاء فأعفى، وعين القاضي بدر الدين محمد بن أبى البقاء على أن يعطى لمنطاش 900 ألف درهم فضة من مال الأيتام الذى رفض المناوي إعطائه لمنطاش، وليس هذا فحسب بل وعرض مساعدة منطاش بمبلغ عشرة آلاف درهم فضة من ماله الخاص، ويعلق ابن تغري بردي ساخرا: "هذا الكريم الذى تكرم بماله ودينه"[1].

وقد فرض منطاش في 16 ذي الحجة سنة 791 هـ/ 7 ديسمبر 1389م على جميع كبار الموظفين مبالغ مالية محددة لمساعدة الجيش الذي سيخرج لقتال برقوق، فقد قرر على كل وظيفة فرسا ومبلغ 500 درهم [2].

وفي 3 شوال سنة 791 هـ/ 4 أكتوبر 1388م أمر منطاش بالإفراج عن الوزير المحبوس كريم الدين بن مكانس بعد أن أحضر للأمير منطاش مبلغا كبيرا من المال بلغ أكثر من 335 ألف دينار بخلاف ما جاء به من الفضة التي زادت عن 400 ألف درهم فأخذها كلها منطاش لتجهيز الجيش[3].

---

(1) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، م9، ص 167؛ المقريزي، السلوك، ج3، ص 678؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج11، ص 364.

(2) المقريزي، السلوك، ج3، ص 677؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج11، ص 363.

(3) المقريزي، السلوك، ج3، ص 659؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج1، ص 253.

وقد وصل الحد إلى التطاول على أموال الأيتام بل تعداه إلى أموال التركات من الورثة مثلما فعل الناصر فرج مع تركة برهان الدين المحلي التاجر وأخذ منها ومن غيرها مالا كثيرا، كما وزع له قاضى القضاة شمس الدين الأخناي خمسمائة ألف على تركات خارجة عن المودع منها تركة بدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر، وكانت هذه النفقة على نحو خمسة آلاف مملوك وبلغت النفقة عليهم سوى ما أنفق على الأمراء مائتي ألف دينار وخمسين ألف دينار[1].

وفى العام 810 هـ/ 1407م لجأ المماليك إلى توفير المال عن طريق المصادرات ولكن يبدو أن قد بالغ في ذلك حتى أن بعض التجار كانوا يترحمون على أيام المغول من شدة ما فعله الأمير نوروز بالناس من جراء المصادرات[2].

كذلك استولى المماليك على أموال المتوفين سواء تركوا ورثة أو لم يتركوا، مثلما وقع في ذي القعدة سنة 813هـ/ مارس 1411م حيث قام الإستادار تاج الدين عبد الرازق بن الهيصم بتحصيل الأموال فأسعر في البلاد نارا، حيث ألزم جماعة قد ورثوا أموالا من ذويهم الأموات برد ما أخذوه من الإرث الشرعي [3].

وعندما خرج السلطان شيخ بالجيش لقتال العصاة ببلاد الشام واحتاج إلى المال لنفقة المماليك فأمر الوزير فخر الدين بن أبى الفرج بتحصيل المال، فخرج الأخير في 17 صفر سنة 820 هـ/ 1417م وبصحبته الكثير من الجنود إلى الوجه البحري لتحصيل المال السلطان، ولم يترك قرية إلا وفرض عليها مبلغا من المال سواء كانت للسلطان أو الأمراء أو الجند[4].

---

(1) المقريزي، السلوك، ج3، ص 1156؛ ابن قاضى شهبة، تاريخ ابن قاضى شهبة، ج4، ص 418؛ ابن إياس، بدائع، ج1، ص 716.

(2) ابن حجر، إنباء، ج2، ص 384.

(3) المقريزي، السلوك، ج4، ص 160؛ ابن إياس، بدائع، ج1، ص 809.

(4) المقريزي، السلوك، ج4، ص 385.

وكان السلطان قايتباي من الذكاء بمكان عندما أراد الإنفاق على الجيش سنة 873هـ/ 1468م ووجد أن الأموال في الخزانة لا تكفى فلجأ إلى الحيلة في قطع مرتبات أبناء الأمراء الذين عرفوا باسم (أولاد الناس)[1] وجماعة من الفقهاء والمتعممين[2].

كذلك انتهز السلطان قايتباي فرصة خروج الجيش لقتال شاه سوار ببلاد الشام وطلب من الست سادة والدة ناظر الخاص يوسف بن كاتب جكم مساعدته على خروج الجيش إلى قتال سوار فشكت من ذلك وأظهرت العجز، وكان رده عنيفا فقد حلف بحياة رأسه أنه ما يأخذ منها أقل من مائة وخمسين ألف دينار وصمم على ذلك، واستمرت تدفع المبلغ طيلة أشهر، فأرسل لها وأنعم عليها وأكرمها[3].

وعندما صعد ناظر الدولة إلى السلطان الغوري في جمادى الأولى سنة 907 هـ/ نوفمبر 1501م وشكى له من انعدام اللحم وأن المماليك لم تأخذ مرتباتها من اللحم لمدة 12 يوما، فما كان من السلطان إلا أن أمر بقطع مرتبات الفقهاء والمباشرين وأولاد الأجناد والنساء وكل من كان مرتب على الديوان وأن يقتصر صرف المرتبات على المماليك فقط [4].

ولما جاءت الأخبار للسلطان الغوري في شهر صفر سنة 908هـ/ أغسطس 1502م من بلاد الشام بوصول قوات إسماعيل الصوفي إلى حدود بلاد الشام وأن نواب الشام يستنجدون بالسلطان، وجد السلطان حل المشكلة في القبض على جماعة من كبار الموظفين وفرض عليهم مبالغ مالية محددة ليقوموا بدفعها ويخرج الجيش للقتال[5].

---

(1) العريني، المماليك، ص 53 – 54؛ عبد المنعم ماجد، دولة سلاطين المماليك ووسومهم في مصر، ج1، ص 149.

(2) ابن إياس، بدائع، ج3، ص 22.

(3) ابن إياس، بدائع، ج3، ص 46.

(4) ابن إياس، بدائع، ج4، ص 22.

(5) ابن إياس، بدائع، ج4، ص 39.

اضطر السلطان الغوري للاستيلاء على الإقطاعات من أجل توفير أراض وإقطاعات للمماليك وإرضائهم بكل طريقة ممكنة ففي شهر جمادى الآخر سنة 914هـ/ أكتوبر 1509م أخرج إقطاعيات أولاد الناس من أجناد الحلقة، وغير ذلك من النساء اللاتي لهن الرزق وربما تعرض للرزق الأحباسية والأوقاف، فأخرج نحوا من ثلاثمائة إقطاع ورزقة من غير جنحة ولا سبب، وصار ينعم بها على المماليك بمكاتبات، وهذا الأمر ما سبقه به أحد من الملوك السالفة، فحصل للناس الضرر الشامل [1].

وجمع السلطان الغوري في ذى القعدة 915هـ/ فبراير 1510م المباشرين وفرض عليهم 600 ألف دينار، لأن كثيرا منهم كان قد تأخر في دفع المبالغ المطلوبة للديوان، وسيحل العيد بعد أيام والمماليك تنتظر النفقة والأضحية والكسوة وإلا قاموا بالتمرد على السلطان [2].

## ثانيا: ارتفاع الأسعار وإغلاق الأسواق وانتشار الفقر:

تأثرت الأسواق بحركات تمرد المماليك وعصيانهم تأثرا كبيرا، فبمجرد نزول المماليك من القلعة إلى مدينة القاهرة فإنهم كانوا يتجهون للأسواق فينهبونها كما يستولون على بضائع التجار من حوانيتهم ولذا كانوا يلجأون لإخفاء بضائعهم، كما تغلق الأبواب التي تفصل بين أحياء المدينة ودروبها، وربما استمر الحال على ذلك أسبوعا يقاسى الناس طوالها أنواع الجوع والفوضى والفزع[3] وتزيد أسعار المنتجات الغذائية[4]، مما أثر سلبيا على الأسعار والأسواق.

ففي عهد برقوق اضطربت أحوال الناس في القاهرة ومصر وظواهرهما اضطرابا عظيما وأغلقت الأسواق عندما علموا بهزيمة الأمراء والمماليك الذين خرجوا لقتال جيش العصاة بقيادة

---

(1) ابن إياس، بدائع، ج4، ص 136.

(2) ابن إياس، بدائع، ج4، ص 169.

(3) Lane – poole,S, A History of Egypt, p 245.

(4) Poliak, les revotes, p. 263.

يلبغا الناصري بغزة في 27 ربيع آخر سنة 791 هـ/ 23 أبريل 1389م، كما نهب الخبز، وتجمع أهل الفساد استعدادا للنهب والسلب واشتد خوف الناس وقلقهم[1].

وارتفعت الأسعار في عهد السلطان الناصر فرج في شهر جمادى الثانية سنة 802 هـ/ يناير 1400م في كل المبيعات وتوقفت الأحوال وتعطلت المعايش بسبب (خوف الناس من وقوع الفتن لشدة اختلاف أهل الدولة)[2].ويوضح لنا المقريزي أن السبب في هذا الاختلاف هو ارتفاع أسعار البضائع كلها[3].

وعندما خرج السلطان فرج لقتال الأمراء في 12 ربيع آخر سنة 809هـ/ 9 سبتمبر 1405م ارتفعت الأسعار في كثير من البضائع فبلغ سعر الرطل من لحم البقر سبعة دراهم، والضأن تسعة، هذا وقد تعطلت الأسواق وأصاب الناس خوف عظيم لكثرة المظالم واختلاف أهل الدولة وعصيان الأمراء بالشام[4].

وفي عهد المؤيد شيخ كان هناك عدة أسباب للغلاء في شهر جمادى الأولى سنة 818 هـ/ يوليو 1415م منها تزايد ضرر قطاع الطريق في عامة أرض مصر قبليها وبحريها لخروج العربان عن الطاعة وتعديهم على المسافرين في البر والبحر، وقتلهم الكثير من الناس هذا من جهة، ومن جهة أخرى رفض جنود المماليك الخروج إلى النواحي، وعجزوا عن أخذ الغلال من إقطاعاتهم، فقلت مهابة العربان للسلطنة واشتدت جرأتهم[5] مما تسبب في قلة القمح وارتفاع سعره وفقدان الخبز من الأسواق وحدوث الغلاء في الأسعار.

---

(1) ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج1، ص 271؛ ابن الفرات، م9، ص 65 – 66؛ المقريزي، السلوك، ج3، ص600؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج11، ص 266.

(2) المقريزي، السلوك، ج3، ص 1003؛ ابن إياس، بدائع، ج1، ص 572.

(3) المقريزي، الخطط، ج2، ص 365.

(4) المقريزي، السلوك، ج4، ص 31؛ ابن إياس، بدائع، ج1، ص 760.

(5) المقريزي، السلوك، ج4، ص 319؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج3، ص 69.

وفي شهر ذي القعدة سنة 822 هـ/ نوفمبر 1419م تزايد سعر الغلال، فبلغ القمح إلى ثلاثمائة وخمسين درهما الأردب، والشعير إلى مائتين وعشرة والأسباب طبيعية مثل: قلة الأمطار، وإتلاف الدودة كثيرا من البرسيم والقمح أيضا، وبشرية متمثلة: في انتشار الظلم من ولاة الأمور بكثرة فرضهم للأموال من أجل نفقة المماليك، فشمل الخراب قرى أراضي مصر بالإضافة إلى توقف الأحوال وكساد الأسواق وقلة المكاسب وكثرة الشكوى فلا تكاد تجد أحدا إلا ويشكو سوء زمانه[1].

وكان ارتفاع الأسعار في عهد برسباى له آثار خطيرة ففي 15 صفر سنة 829 هـ/ 28 ديسمبر 1425م وقع الغلاء وارتفع سعر القمح، وتزاحم الناس على الأفران في طلب الخبز فعز وجوده على الدكاكين. كما قل وجود الدقيق في الطواحين وضج الناس من ذلك. كما فقد اللحم وقلت الألبان والأجبان من القاهرة، وقلت الأجبان والألبان والسمن، مما أدى لارتفاع أسعارها[2].

كذلك حدث الغلاء في شهر صفر سنة 830 هـ/ 1426م، في بعض الأشياء كاللحم الذي فقد من الأسواق، وقل الجبن واللبن، وغلا سعر الحطب حتى أبيع بضعفي ثمنه منذ شهر على الرغم من أنها تكون رخيصة في مثل هذا الوقت من العام، ثم إن المقريزي يلقى بالتبعة على ثلاثة عوامل: الأول ظلم الحكام وسوء سيرتهم من جهة، والثاني: توليتهم المناصب لمن لا يستحقونها وعدم معرفتهم بما تولوه فكانوا يتخبطون فيها، والأمر الثالث: هو فساد أخلاق الرعية فاستحقوا ذلك[3].

وقد مارس السلطان برسباي هوايته في جمع المال بأية وسيلة حتى ولو أدى ذلك لغلاء الأسعار

حتى عندما وقف العامة في 24 ربيع آخر سنة 839 هـ/ 18 نوفمبر 1435م للسلطان يستغيثون به ويشكون له من قلة وجود الخبز في الأسواق لم يلتفت إليهم أو يعيرهم أي اهتمام

---

(1) المقريزي، السلوك، ج4، ص 510.

(2) المقريزي، السلوك، ج4، ص 709.

(3) المقريزي، السلوك، ج4، ص 737.

فأرواح الناس رخيصة والمهم هو المال فقط[1]، ومن الآثار الخطيرة لهذا الغلاء هي أن السلطان كتب على أصحاب الديون (يعتقل بشرط أن يقوم رب الدين بإطعامه) [2].

وكان تمرد المماليك في عهد إينال سببا في ارتفاع أسعار الكثير من المأكولات بسبب نهب البضائع والمحاصيل من الحوانيت، حتى امتنع التجار من البيع فارتفع سعر كل المأكولات والأطعمة والبضائع[3] حتى وصل سعر الأردب من الشعير إلى 140 درهما بعد أن كان لا يزيد على 80 درهما، وأما التبن فإنه عز وجوده بالكلية، وزاد سعر البطيخ الصيفي أضعاف ما كان علي [4].

وفي جمادى الآخر سنة 864 هـ/ أبريل 1460م وقع الطاعون، والغلاء المفرط في الأسعار، حتى بلغ سعر الأردب القمح 600 درهم، والرطل الخبز ب 4 دراهم وهو عزيز الوجود بالحوانيت في كثير من الأوقات، والفول والشعير ب 400 درهم وهما في قلة، وحمل التبن ب 400 درهم ولابد من حارس يحرسه حتى لا يأخذه المماليك [5]، واضطر بعض التجار لترك مهنة التجارة خوفا على رأس ماله من النهب والضياع فظهرت الأزمات في كثير من البضائع، كما دب الغلاء في جميع الأصناف[6].

وفى حوادث سنة 873 هـ/ 1468م يذكر الصيرفي أنها كانت سنة شديدة على الناس حتى وصل أردب القمح إلى 1000 درهم بعد 400 درهم والشعير 600 درهم وهو عزيز

---

(1) المقريزي، السلوك، ج4، ص 964 – 965؛ ابن حجر، إنباء، ج4، ص 12.

(2) المقريزي، السلوك، ج4، ص 966.

(3) ابن تغري بردي، النجوم، ج15، ص 98؛ ابن إياس، بدائع، ج2، ص 335.

(4) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج1، ص 515.

(5) ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص 141 – 143.

(6) ياسر حلمي، طبقة التجار، ص 183.

الوجود، والفول 400 درهم، وانتشر الظلم وقطعت السبل وضاع الأمن لتمرد المماليك[1]، ويضيف الصيرفي: "لم أر في عمري مثل هذه السنة في شدتها" [2].

وقد تسبب الأمير يشبك الدوادار فى إرباك الأسعار وارتفاعها بالصعيد في 22 جمادى الأولى سنة 874 هـ/ 28 نوفمبر 1469م حيث نهب أهلها وبدد شملهم وأحضر من نسائهم وأولادهم أكثر من 400 امرأة مما اضطر أزواجهم لقطع الطريق واعتدوا مراكب الغلال القادمة من الصعيد ونهبوا ما فيها ثم أحرقوها، حتى فعلوا ذلك بعدة مراكب وبهذا المقتضى ارتفع سعر القمح وغيره من الغلات[3].

وكان من أسباب الغلاء سنة 891 هـ/ 1485م عودة المماليك الذين كانوا ببلاد الشام إلى مصر متسللين بدون إذن قائدهم – فاضطربت الأحوال وارتفعت أسعار البضائع – ويا ليتهم وقفوا عند ذلك الأمر بل إنهم تجمعوا وتوجهوا إلى مخازن الغلال الخاصة بالسلطان والأمراء واستولوا على القمح الموجود بها وأخذوا منه كميات كبيرة وأعلنوا بأنهم يريدون العودة بالأسعار إلى ما كانت عليه قبل الغلاء وأن يكون السعر مثل بلاد الشام وذهبوا إلى بيت المحتسب الذي كان قد اختفى ولو وجدوه لقتلوه[4].

كذلك كان المماليك سببا لارتفاع أسعار الماء في شهر المحرم سنة 893هـ/ 1487م فقد بلغ سعر الراوية من الماء نحوا من ثلاثة أنصاف فضة، وذلك بسبب عدم وجود الجمال التي تنقل المياه لتسلط المماليك على جمال السقايين فأخذوها لحمل الدريس لهم ولم يبالوا بالناس إن أصابهم العطش أو ارتفع سعر الماء أو حتى ماتوا عطشا[5].

---

(1) ذكر ابن إياس، بدائع، ج3، ص 17، أن المماليك ثارت في ذى الحجة بالقلعة وكادت أن تكون فتنة كبيرة.

(2) الصيرفي، إنباء الهصر، ص 114؛ ابن إياس، بدائع، ج3، ص 37.

(3) إنباء العصر، ص 45.

(4) السخاوي، الذيل التام، م2، ص 395؛ ابن إياس، بدائع، ج3، ص 230.

(5) ابن إياس، بدائع، ج3، ص 247.

وقد وقع الغلاء بمصر سنة 902 هـ/ 1496م في عهد محمد بن قايتباي وكان السبب فى ذلك:

1. حدوث القتال بين العربان وانشغال أهل الدولة عنهم فقاموا بحرق القمح والشعير في القرى، فارتفع سعر القمح إلى ألف درهم.

2. حصار الأمير أقبردي الدوادر للسلطان بالقلعة لمدة 31 يوما تعطلت فيها الأسواق وأغلقت الدكاكين وامتنع الناس عن البيع والشراء حتى امتنعت النساء من الذهاب للأسواق وكثر القتل، فقتل من الأمراء أكثر من 50 ومن الجند والعربان أكثر من ألف رجل، واشتد النهب حتى أخذ من بيت الأمير تمراز ما يزيد على مائة ألف دينار[1] وكان لعصيان المماليك آثار خطيرة في ارتفاع سعر الماء، ففي شهر رمضان سنة 902 هـ/ مايو 1497م لم يصعد أحد من الأمراء إلى القلعة للإفطار عند السلطان على العادة بسبب الصراع بين آقبردي الدوادار من جهة والأمير قانصوه من جهة أخرى، وعندما حدث القتال انهزم آقبردي إلى الصعيد ولكن قل الماء وارتفع سعر الراوية إلى ثلاثة أنصاف فضة، وذلك لاشتداد الحر من ناحية وندرة الجمال التي يحمل عليها السقايين الماء من ناحية أخرى بسبب الصراع بين المماليك، حتى تكالب الناس على الروايا وضربوا بعضهم بالعصى وأخذوا يتقاتلون من أجل الماء[2].

وقد أدى سفر السلطان الغوري بالجيش في صفر سنة 920 هـ/ أبريل 1514م إلى قلة الماء وحدوث أزمة كبيرة في القاهرة، فعندما وصل السلطان بالجيش إلى السويس وجد أن الماء الذي حملوه في القرب فسد لأنها كانت جديدة، فأرسل إلى المحتسب ليرسل إليه الجمال بالماء، وبالفعل قبض له المحتسب على 120 جملا برواياها. الأمر الذي دفع السقاؤون لإخفاء جمالهم فاضطربت القاهرة من أجل الماء واشتد عطش الناس، فأخذ الأمراء يحضرون الماء على الخيول والبغال، أما بقية الناس فأخذوا ينقلون الماء على ظهور الحمير وعلى رءوسهم

---

(1) ابن إياس، بدائع، ج3، ص 370 – 376.

(2) ابن إياس، بدائع، ج3، ص 360.

واستمرت القاهرة أربعة أيام لم يظهر بها راوية ماء واحدة على جمل، بسبب جيش السلطان، أما عطش الناس وغلاء سعر الماء وانعدامه بين سكان القاهرة فلا يهمه! [1].

### الأثر الثالث: اضطراب العملة:

تنبه المقريزي في عصر الجراكسة إلى أهمية النقد وأثره في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وكان أول من أرجع الهزات الاقتصادية واضطراب الأسعار إلى عامل النقد[2]، كما أن التلاعب بالعملة وكثرة غشها انعكس على التجار والأسواق حتى كانت البضائع تباع بسعرين مما يوضح لنا أثر العملة.

ومن الملاحظ أن موت السلطان برقوق وتولية الطفل فرج (والصراع بين الأمراء على النفوذ) كان له أثر كبير على العملة واضطراب الأسواق ففي 25 شوال سنة 801 هـ/ 1 يوليو 1399م نودى أن يكون سعر الدينار الذهب ثلاثين درهما فضة لأن الناس قد امتنعوا عن شراء الذهب بالفضة بعد موت السلطان برقوق وانحط سعر الفضة من الثلاثين درهما إلى ثلاثة وعشرين درهما فضة مقابل دينار ذهب فشق ذلك على الناس وخافوا الخسارة، لما كانوا يظنونه من انحطاط سعر الذهب، فجاء الأمر بخلاف ما في ظنونهم، وارتفاع سعر الذهب حتى بلغ ما لم يكن في بال أحد قط[3].

لذا نودي على الذهب في 8 من ذي القعدة سنة 801 هـ/ 1399م على أن يكون صرف الدينار ب 28 درهما، وكان قد انحط سعره فشق ذلك على الناس وتغيب الصيارفة وتوقفت أحوال الناس[4] وكسدت الأسواق لعدم ثبات سعر العملة.

وفى أواخر شهر رمضان سنة 807هـ/ مارس 1405م قبل سفر السلطان فرج لقتال الأمراء في شوال سنة 807 هـ غلت أسعار المبيعات وذلك لتذبذب أحوال النقود وكثرة تغييرها

---

(1) ابن إياس، بدائع، ج3، ص 364.

(2) ياسر حلمي، طبقة التجار، ص 180.

(3) المقريزي، السلوك، ج3، ص 964؛ ابن إياس، بدائع، ج1، ص 540.

(4) المقريزي، السلوك، ج3، ص 967؛ ابن إياس، بدائع، ج1، ص 543.

لأن الفلوس كثرت وصغر حجمها بسبب أنها كل فترة تجمع من الأسواق فتشترى لدار الضرب ثم يعاد ضربها وتصغر وينادى على التي قبلها بالرخص، ثم بعد أيام ينادي بأن الفلوس القديمة يتم التعامل بها في الأسواق بالميزان، فيتضرر الناس، وبلغ صرف العشرة منها بخمسة وعشرين، ولما كثرت بلغت العشرة في بيعها ثلاثين، ثم نودي على الفلوس الرطل بتسعة دراهم[1].

وبعد محاولة قتل فرج ثم اختفائه في 25 ربيع الأول سنة 808 هـ/ 22 سبتمبر 1405م ارتفعت الأسعار فبلغ القمح مائتين وعشرين درهما، والشعير والفول بمائة وعشرين درهما وبلغ سعر الذهب مائة وخمسين درهما، وامتنع الناس من التعامل بالذهب لانعدام وجود الفلوس وإن وجدت فهي قليلة، وصار كل قنطار منها بستمائة درهم عنها أربعة مثاقيل ذهب، فعند ذلك بخل التجار بها وأخفوها حتى كثر الذهب في أيدي السوقة وقلت قيمته، فزهد الباعة في أخذه فتوقفت الأحوال بسبب ذلك[2].

ويوضح المقريزي أن التلاعب بالعملة كان له أثر كبير في ارتفاع الأسعار فيقول في حوادث سنة 809 هـ/ 1406م وغلت أسعار المبيعات فبلغ سعر مثقال الذهب مائة وخمسة وثلاثين درهما فلوس، والقمح بمائة وثلاثين درهما للأردب، والشعير والفول مائة درهم، والفضة لا تظهر بين الناس، وإذا ظهرت تباع كل درهم بخمسة دراهم من الفلوس، وبهذا فسدت أحوال أرباب المرتبات من الفقهاء وأمثالهم الذين رزقهم على الأوقاف، فقد ارتفعت قيمتها إلى أضعاف قيمتها المعتادة، فكل سلعة كانت تباع بدينار قد زادت عن الدينار. أما الأجراء (العمال) وأصحاب الصناع فإن أجرتهم تزايدت فكل من كانت أجرته درهما يأخذ الآن خمسة فما فوقها وكذلك التجار ضاعفوا ربحهم في بضائعهم، أما أرباب الإقطاعات فجعلوا كل فدان بستة أمثال ما كان عليه، وهكذا لغلاء الأطيان لا يرجى الرخاء، وباعتبار غلاء سعر الذهب صار كل شئ يباع بأضعاف ثمنه[3].

---

(1) المقريزي، السلوك، ج3، ص 1152؛ ابن إياس، بدائع، ج1، ص 713.

(2) المقريزي، السلوك، ج4، ص 3؛ ابن إياس، بدائع، ج1، ص 737.

(3) المقريزي، السلوك، ج4، ص 28؛ ابن إياس، بدائع، ج1، ص 757.

ويوضح لنا المقريزي أن سبب فساد العملة هو حاجة الوزراء الشديدة للأموال وذلك لتوفير ما يطلبه المماليك من مرتبات في كل شهر – وقد بلغت نفقة المماليك ألف ألف ومائة ألف درهم– بخلاف ما لهم من مال (لوجبات اللحم، وعلف خيولهم، وكسوتهم) وكان مرتب المملوك يتراوح ما بين 400 – 500 درهم وكان يقابل المائة درهم خمسة مثاقيل ذهب فجعل الوزراء المثقال الذهب بهذا السعر لعلمهم أن الأمتعة والأسعار لا تنزل عن سعرها من الذهب والفضة فصاروا لا يعطون للمماليك إلا الفلوس وقللوا من الفضة فرخصت الفلوس واشترى الناس بها الذهب لقلة الفضة فقلت قيمة الدراهم الفضة، كما أن المسافرين كانوا يحرصون على حمل النقود حتى انحط سعر الدينار بالنسبة للدرهم وهم لا يشعرون بحقيقة المصيبة، وانتشار الفساد[1].

ويظهر لنا استخفاف ولاة الأمر بالعملة من جراء كثرة المناداة عليها وعدم ثباتها، ففي 4 ذي القعدة سنة 811 هـ/ 22 مارس 1409م نودي بالقاهرة أن يكون الذهب ب 100 درهم والدينار الأفرنتي ب 80 درهما، وصدر الأمر بمنع المسافرين من حمل الذهب، وكان ذلك القرار من القرارات الخاطئة فقد اشتد الأمر على الناس وضاقوا ذرعا بهذه الأوامر، ثم نودي في 21 ذي القعدة سنة 811 هـ/ 9 أبريل 1409م بالقاهرة أن يكون الدينار ب 120 درهما، والدينار الأفرنتي و الناصري فرج ب 100 درهم وهذا من التخبط[2].

وتجدر الإشارة إلى أن السلطان فرج كان سبباً لاضطراب العملة عندما ترك الأمر لوزرائه الذين رفعوا سعر الذهب حتى بلغ الدينار 240 درهما بعد أن كان عشرين درهما، ليستطيعوا توفير نفقة المماليك، فعكسوا الحقائق وجعلوا الفلوس – التي لم تكن قبل ذلك ذات قيمة – هي العملة التي ينسب إليها ثمن المبيعات، وقيم الأعمال، فأخذت على نواحي مصر

---

(1) المقريزي، السلوك، ج4، ص 28 – 29؛ ابن إياس، بدائع، ج1، ص 757.

(2) المقريزي، السلوك، ج4، ص 84 – 85.

مغارم تجبى من الفلاحين في كل سنة، وأهمل عمل جسور أراضي مصر، وألزم الناس أن يقوموا عنها بأموال تجبى منهم، وتحمل إليه[1].

ويتضح غش الدراهم المؤيدية من خلال عملية "هرشها" ومعنى الهرش أن يبرد من الدرهم حتى يخف وزنه ويصير نحو ربع درهم فاستقرت المعاملة بها وزنا لا عددا، فأمر أن يكون كل درهم وزنا بعشرين درهما فلوسا وأن يكون الدينار الأفرنتي بمائتين وعشرين درهما، وبأحد عشر درهما فضة، ويوزن عنها من الدراهم المؤيدية اثنان وعشرون عددا، زنة كل مؤيدي نصف درهم فنزل بالناس من ذلك بلاء شديد لخسارتهم، وذلك أن المؤيدي قلت قيمته فأصبح الذي كان بسبعة دراهم فلوسا بخمسة دراهم فقط، وهذه الدراهم فيها من الفضة بعد هرشها مالا يبلغ خمسة، وكثر مع ذلك الاختلاف في أسعار المبيعات، وقيم الأعمال، وأجر المستأجرات، فذهب معظم مال الناس وكثرة شكواهم[2].

حاول السلطان برسباي إصلاح العملة بعد توليه الحكم فجمع التجار والصيارف في 28 رمضان سنة 826 هـ/ 26 أغطس 1424م بسبب الفلوس، وأصدر السلطان برسباي الدينار الأشرفي بدلا من الدينار الأفرنتي في ربيع أول سنة 829 هـ/ يناير 1426م، وكان الدينار الأفرنتي يباع ب 225 درهما، في حين أن السلطان قرر أن يباع ب 220 درهما، ولهذا أنقص الناس في تعاملهم به مقدار زنة قمحة.

فلما نودى أن لا يتعامل أحد بالأفرنتى وضرب السلطان الدنانير الأشرفية وأنفقها في مرتبات المماليك بالديوان المفرد وهو يريد ثلاثة أمور:

**الأول:** إرضاء المماليك بتوفير نفقتهم.

**الثاني:** الترويج للعملة التي تحمل اسمه.

**الثالث:** القضاء على غيرها من العملات والتحكم في الأسعار وخصوصا أن برسباي كان يحتكر بعض الأصناف ليربح فيها.

---

(1) المقريزي، السلوك، ج4، ص 226.

(2) المقريزي، السلوك، ج4، ص 602؛ ابن إياس، بدائع، ج2، ص 78.

ولهذا كثرت الدنانير الأشرفية في أيدي الناس وصار من عنده شيء من الأفرنتية ويستبدله بأشرفية يخسر في كل دينار أفرنتي سبعة دراهم ونصف، فتلفت أموال الناس بسبب ذلك وربحت الصيارفة أرباحا كثيرة وتوالت خسائر الناس حتى أخبرني من لا أتهمه في صدقه أنه خسر في دنانير أفرنتية 5000 درهم[1].

وفي يوم السبت 9 جمادى الأولى سنة 830 هـ/ 7 مارس 1427م ضرب السلطان برسباي كبير المزيفين للعملة (ناصر الدين محمد بن العيزازي) بالمقارع ومعه جماعة آخرون مسكوا بالزغل (تزييف العملة) ووجد عندهم آلات ضرب العملة والختم وبعض أنواع العملة التي أصدرها الأشرف برسباي لإعادة ضربها[2]، ولما كثر الغش في الدراهم الأشرفية التي أصدرها برسباي سنة 834 هـ/ 1430م عن غيرها فعاد السلطان للمناداة أكثر من أربع مرات سنة 834 هـ/ 1430م بعدم التعامل بغير الدراهم الأشرفية[3].

ويعلق المقريزي قائلا: (وكل ذلك من إعراض ولاة الأمور عن عمل المصالح والنظر في أحوال المسلمين، لبعدهم عن معرفتها، مع جمعهم المال بكل وجه يذم ويستقبح) [4].

وفي محاولة من السلطان الأشرف إينال إصلاح العملة أمر في ربيع أول سنة 862 هـ/ يناير 1458م بإصدار عملة جديدة، فقد نادي السلطان بتسعير الذهب والفضة، وضرب السلطان فضة جديدة فسعر الدينار الذهب بثلاثمائة (300) درهم والفضة الجديدة كل أشرفي (دينار) 24 نصفاً عدداً من خالص الفضة وأبطل سائر المعاملات من تلك الفضة المغشوشة وإن كان ابن تغري بردي ذكر أنه أمر أن تكون الفضة الطيبة من دار الضرب بأربعة وعشرين (24)، وأن يكون سعر الفضة المغشوشة 16 درهما وهو رأى أقرب إلى الواقع والحقيقة، إذ كيف يصدر

---

(1) المقريزي، السلوك، ج4، ص 712.

(2) الصيرفي، نزهة النفوس، ج3، ص 116.

(3) المقريزي، السلوك، ج4، ص 851 – 853.

(4) السلوك، ج4، ص 805؛ الصيرفي، نزهة، ج3، ص 161.

السلطان عملة جديدة وهناك عملة قديمة مغشوشة بأيدي الناس فلابد من توفيق للأوضاع للتجار والسوقة، كما أن ابن تغري بردي كان معاصرا لهذه الفترة أكثر من ابن إياس[1].

وكان سعر الدينار قد وصل إلى أربعمائة وستين درهماً (460)، فخسر كثير من الناس في هذه الحركة ثلث أموالهم واضطربت الأحوال لذلك مدة من الزمن ولكي تستقر العملة الجديدة قبض السلطان على كثير من الزغلية[2] وقطع أيديهم وأمر بقتل بعضهم فوقع الرعب في قلوب الزغلية وبدأ ينصلح حال العملة بعد جهد كبير، كما أمر السلطان بالمناداة برخص ثمن البضائع والأشياء لثلث السعر تعويضا للخسارة الثلث في الفضة المغشوشة فقالوا: (وكما نقص من مالي الثلث نزلت الأسعار الثلث)[3]

وكان الغش في العملة في عهد قايتباي له آثار سيئة على الأسواق والمعاملات ففي رجب سنة 881 هـ/ أكتوبر 1476م تعطلت أسباب معايش الناس لأجل الفلوس العتق، وكثر الضرر منها على البضائع، وصار النصف الفضة يصرف بثمانية عشر من الفلوس العتق، وصارت البضائع بسعرين، شيء بسعر الفضة وشيء بسعر الفلوس، فحصل بسبب ذلك غاية المشقة للناس[4].

وفي بداية عهد الغوري أصدر عملة جديدة باسمه في شهر ذي القعدة سنة 907 هـ/ مايو 1502م مما أدى لتعطل الأسواق وقلة البضائع، بسبب الفلوس الجديدة التي لم يعرف الباعة كيف سيتعاملون بها ولم يكن لهم بها معدل (أي تقيم إما وزنا على الدينار أو عددا) [5].

وكان من أهم أسباب ضعف الاقتصاد عدم ثبات العملة وكثرة تغييرها مثلما حدث في شهر جمادى الآخرة سنة 922 هـ/ يوليو 1516م عندما أخرجوا فلوسا جددا وأبطلوا الفلوس

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج16، ص 115؛ ابن إياس، بدائع، ج2، ص 344.

(2) الزغلية، مفردها زغل، وهم المزيفون، والدراهم الزغلية هي المزيفة، المقريزي، السلوك، ج4، ص 852، هامش رقم2.

(3) ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص 117؛ ابن إياس، بدائع، ج2، ص 345.

(4) ابن إياس، بدائع، ج3، ص 121.

(5) ابن إياس، بدائع، ج4، ص 20.

العتق، كان لذلك أثرا خطيرا بين الناس فقد اضطربت الأسواق وتوقفت أحوالهم وخسروا كثيرا من الأموال لأن البضائع تباع بسعرين[1].

## رابعاً: بوار الأرض الزراعية وهروب الفلاحين:

كان الكشاف يجمعون الأموال المفروضة على الأراضي الزراعية وعلى الفلاحين بالضرب، ومن يهرب من الفلاحين يقبضون على أولاده ونسائه فخربت البلاد ورحل عنها الفلاحون، وأحيانا يأخذون الضرائب مرتين في السنة أو مقدما بسبب تمرد المماليك، حتى أن الفلاحين ضجوا وأخلوا البلاد وتركوا زروعهم ورحلوا، فأدت سياستهم إلى خراب الزرع والضرع[2].

فرح الفلاحون بولاية الظاهر برقوق لتعيينه بعض الولاة الجدد عليهم أملا في التخفيف عنهم، إلا أن هؤلاء الولاة كانوا يجورون على الفلاحين فيرتبون عليهم شيئا يسمونه مال القدوم فيفرضون على كل قرية مبلغا معلوما من المال وبينما يقوم الفلاحون بدفع ذلك المبلغ وهم في غاية التعب ويفرحون إذا استطاعوا تجهيزه، يفاجئون بتعيين ولاة آخرين فيفرضون عليهم قدوما ثانيا، هذا غير ما يحدثونه من مظالم على الفلاحين[3].

وقد اتصلت عمائر مصر والقاهرة وفي عهد السلطان فرج حتى صارت بلدا واحدا يشتمل على البساتين والقصور والدور والأسواق والفنادق والحمامات والمساجد والمدارس والمقابر والحوانيت والمطابخ والشون والبرك والخلجان، ومازالت هذه الأماكن متصلة في كثرة العمارة وزيادة العدد وتضيق بأهلها لكثرتهم وتختال عجائبهم لما بالغوا في تحسينها إلى أن كانت سنة 806 هـ/ 1403م وقل النيل، وخربت البلاد لكثرة الحروب والفتن بين أهل الدولة، وخرب الصعيد لجلاء أهله عنه، وصارت أرض مصر الشرقية والغربية إلى الخراب لضعف ملوك مصر، حتى كثر الخراب بأغلب تلك الأماكن وصارت كيمانا وخرائب موحشة[4].

---

(1) نفسه، ج5، ص 52.

(2) سعيد عاشور، التدهور الاقتصادي في ضوء كتابات ابن إياس، محاضرة بالجمعية التاريخية، ط الهيئة العامة للكتاب 1973، ص 84 – 85.

(3) ابن إياس، بدائع، ج1، ص 251.

(4) المقريزي، الخطط، ج2، ص 365.

ولم تنقض سنة 807 هـ/ 1404م حتى شمل الخراب إقليم مصر، وتلاشى الصعيد، ودثرت عدة مدن وكثير من القرى وتعطلت معظم أراضيه من الزراعة، وتمزق أهله وتشتتوا بسبب المجاعات والحروب، بل بيع كثيرا من الأطفال في الأسواق وصاروا أرقاء وعبيد بعد الحرية وذلوا بعد العز [1].

ويبين المقريزي في ترجمته لفرج بن برقوق: (بأن الناصر هذا أشأم ملوك الإسلام، فإنه خرب بسوء تدبيره جميع أراضي مصر والشام لكثرة عصيان الأمراء..) [2]. كما أهمل عمل جسور وشق الترع أو تطهيرها فضاعت المياه فلم تزرع كثيرا من أراضي مصر، وألزم الناس أن يقوموا عنها بأموال تجبى منهم، وتحمل إليه[3].

وفى عهد المؤيد شيخ (815 – 824 هـ/ 1412 – 1421م) تسلط أتباعه على الفلاحين يسومونهم الذلة ويأخذون ما قدروا عليه من مال بغير وازع من عقل أو مانع من دين[4].

وقد تسبب أحد أمراء المماليك فى تخريب الصعيد واضطر الفلاحين للهروب من سياسته الجائرة ففي ذي الحجة سنة 816 هـ/ فبراير 1413م قدم الأمير فخر الدين بن أبى الفرج من بلاد الصعيد بخيل وجمال وأبقار وأغنام كثيرة جدا وقد جمع المال من الذهب وحلى النساء مع السلاح والغلال وغير ذلك من العبيد والإماء والحرائر اللائي استرقهن ثم وهب منهن وباع باقيهن، وذلك أنه عمل في بلاد الصعيد كما تعمل رءوس المناسر إذا هجموا على القرية وتمكنوا منها فإنه كان ينزل على البلاد فينهب جميع ما فيها من غلال وحيوان ويسلب النساء حليهن وكسوتهن، بحيث لا يسير عنها إلى غيرها حتى يتركها أسوأ من بطن حمار، فخرب بهذا الفعل بلاد الصعيد تخريبا يخشى من سوء عاقبته[5].

---

(1) المقريزي، السلوك، ج3، ص 1167.

(2) المقريزي، السلوك، ج4، ص 225 – 227.

(3) المقريزي، السلوك، ج4، ص 226.

(4) المقريزي، السلوك، ج4، ص 550 – 551؛ السخاوي، الضوء، ج3، ص 310.

(5) المقريزي، السلوك، ج4، ص 274؛ ابن حجر، إنباء، ج3، ص 35؛ العيني، عقد الجمان، ص 199.

وفي 9 محرم سنة 817 هـ/ 3 أبريل 1414م خرج السلطان المؤيد شيخ لقتال نوروز بالشام وترك الإستادار فخر الدين ابن أبى الفرج الذي تأخر إلى 15 محرم 817 هـ/ 11 أبريل 1414م ليتوجه إلى بلاد الوجه البحري ليجبي أموالها ثم يلحق بالسلطان فأظهر المظالم في البلاد، وشتت الفلاحين، وأخرب غالب البلاد وجمع المال بالسيف ثم سار به إلى السلطان[1].

وتجدر الإشارة إلى أن المقريزي عند حديثه عن تجهيز الناس أراضيهم للزراعة سنة 831 هـ/ 1427م رأيناه يسلط الضوء على الهبوط السريع لنهر النيل عن العام الماضي، وكثرة الأراضي الشراقي التي لا تصلح للزراعة[2]، وهو ما يؤكد لنا عن حقيقة الهروب الجماعي للفلاحين وحقيقة تدمير الرقعة الزراعية التي بدأت تتقلص وتتكمش.

وفي ربيع آخر سنة 832 هـ/ يناير 1429م كشف عن أمر الديوان المفرد وتم عمل حساب إيراداته ومصروفاته فوجد أنه يعجز مبلغ 60000 ألف دينار عن جميع ما يرد إليه من خراج
النواحي، والحمامات، والمستأجرات، ورماية البضائع، وغرامات البلاد[3] فلما كان شهر جمادى الأولى سنة 832 هـ/ فبراير 1429م سار الأمير زين الدين بن أبى الفرج الإستادار إلى النواحي ففرض على كل بلد مالا سماه الضيافة ليستعين بذلك على عجز الديوان المفرد لنفقة المماليك السلطانية فجبي مالا كثيرا فكان يأخذ من بلدة مائة دينار ويأخذ من أخرى دون ذلك على حسبما يراه، مما أثر على الفلاحين فاختلت أحوال القرى وهجر الفلاحون أراضيهم وتركوها بغير زراعة [4].

وعندما سافر آقبغا الجمالي إلى الصعيد لأخذ الخراج فقد عاث في البلاد عيث الذئب في حظيرة الغنم وصادر أهلها وعاقبهم أشنع عقوبة، حتى أستصفى أموالهم وكنس ما بقى من

---

(1) ابن إياس، بدائع، ج2، ص 13.

(2) المقريزي، السلوك، ج4، ص 764.

(3) المقريزي، السلوك، ج4، ص 796.

(4) المقريزي، السلوك، ج4، ص 796 – 799.

خيراتهم، ووعد أن يأتي للسلطان بمبلغ 20000 دينار. فلم يجد غضاضة في مصادرة أموال الناس وفرض الأموال عليهم لتحصيل المال [1].

وبعد أن جهز السلطان قايتباي الجيش لقتال العصاة ببلاد الشام ركب من قلعة الجبل في ذي القعدة سنة 873 هـ/ مايو 1468م وتوجه إلى البحيرة ثم توجه للغربية وبعدها توجه للشرقية ويذكر ابن الصيرفي: أن هذه الأقاليم الثلاثة لم تستفد شيئا سوى تخريب القرى بسبب النهب وأخذ أموال التقادم والخيول والجمال [2].

وقد أرسل السلطان قايتباي لكاشف الشرقية في رجب سنة 893 هـ/ يونيه 1487م بأن يأخذ من البلاد (الخمس) من خراج أرض المقطعين، بسبب تجهيز خيالة من فرسان عربان الشرقية، ليتوجهوا مع الجيش لقتال العثمانيين، فحصل للمقطعين غاية الضرر من مهاجمة البلاد والقبض على الفلاحين، وجمع الأموال اللازمة للسلطان[3].

وفي المحرم سنة 907 هـ/ يوليو 1505م أمر السلطان الغوري بأخذ أجرة عشرة أشهر كاملة من أصحاب الأراضي واشتد في جمعها. ولم ينته الأمر عند ذلك فقد توجه في شهر رجب الأمير نانق الخازن إلى الشرقية والغربية ليستوفي من المقطعين ما قرره عليهم السلطان من الأموال، وخصوصا بعد أن أعلن المماليك العصيان طلبا للنفقة فأجلهم السلطان لمدة شهر حتى يأخذ الأمراء المال من المقطعين، فضيق نانق على الفلاحين وأصحاب الأراضي وفحص عن أصل الخراج لكل قطعة وما يؤخذ منها كل عام وما يجب عليها من أموال، فصار أصحاب الأرض في وجل شديد، وشدد أصحاب الأرض على الفلاحين الذين لا يملكون مالا فهربوا وتركوا الأرض لأنهم سبق ودفعوا هذه الأموال للأمير قيت الرجبي، ثم فوجئوا بمطالبة أصحاب الأرض بدفع الخراج للمرة الثانية للأمير نانق قبل أن ينضج المحصول ويأتي وقت حصاده، فأدى ذلك لهروبهم وتدهور إنتاج الأرض الزراعية[4].

---

(1) المقريزي، السلوك، ج4، ص 881.

(2) الصيرفي، إنباء الهصر، ص 71 – 74؛ ابن إياس، بدائع، ج3، ص 33.

(3) ابن إياس، بدائع، ج3، ص 253.

(4) ابن إياس، بدائع، ج4، ص 15.

العربان[1] الذين قاموا بقطع جسر سنيت والحلفاية على الجرون المملوءة بالقمح فغرقت مما أتلف المحاصيل وضيع مياه النيل بلا فائدة فعطشت الأراضي الزراعية.

وعندما جلس السلطان في الميدان يوم الاثنين 11 شعبان سنة 919 هـ/ أكتوبر 1513م ووزع الأراضي على العسكر فردوا وصولات الأراضي، وذلك لأن غالب أراضي الجيزة كانت شراقي [2].

ويرجع ابن إياس السبب في خواء خزانة الدولة من المال في عهد الغوري إلى خراب أراضي الأمراء بسبب ظلم الكشاف ومشايخ العربان وكثرة فرضهم للضرائب مما أدى لهروب الفلاحين عن أراضي الأمراء فصاروا لا يجدون من يزرعها لهم فصارت خرابا[3].

ولما أراد السلطان الغوري السفر لقتال ابن عثمان سنة 922 هـ/ 1516م فرض على كل بلدة صغيرة ثمن (فرسين) بمائة دينار والكبيرة ثمن (أربعة) بمائتي دينار، فلما سمع أهل النواحي من الفلاحين هربوا وتركوا زروعهم في الأرض فخرب بعض هذه البلاد، حتى شكا الأمراء للسلطان ووقفوا له قائلين (إن غالب البلاد خربت وأخلاها الفلاحون فهل نسافر معكم وتخرب بلادنا فمن أين نأكل ونسد ديننا إذا سافرنا، فاستحى منهم السلطان وأمر بإبطال ذلك ولكن بعد أن هرب الفلاحون، فأصدر أوامره إلى البلاد بمنع ذلك) ولو استمر على قوله الأول لخربت مصر عن آخرها ووقع بها الغلاء العظيم من خراب البلاد على حد قول ابن إياس[4].

---

(1) ابن إياس، بدائع، ج4، ص 96.

(2) ابن إياس، بدائع، ج4، ص 335.

(3) ابن إياس، بدائع، ج4، ص 427.

(4) ابن إياس، بدائع، ج4، ص 31 – 32.

## المبحث الثالث: الآثار الاجتماعية:

ترتب على تمرد المماليك آثار اجتماعية منها قلة عدد القرى واندثار عدد كبير من المدن، وانتشار الحرائق، واتضح لنا أثر حركات تمرد المماليك على مظاهر الحياة الاجتماعية: كصلاة الجمعة التي كان السلطان يحرص أدائها رغم مرضه وإلا نادوا بخلعه، كما تأثرت الأعياد أيضا.

كذا تأثرت رحلة الحج بتمرد المماليك فكثيرا ما قام المماليك في أثناء عرض المحمل بنهب أموال الناس، مما جعل بعض العلماء يطالب السلطان بإلغاء المحمل، كما أثرت حركات التمرد في تعامل الدولة مع الطواعين والأمراض والاحتفال بالأفراح، ويمكننا تفصيل الحديث عن هذه الآثار في النقاط التالية:

### أولا: قلة أعداد القرى والجيش و الصناع:

لم تنته أحداث سنة 807 هـ / 1404م حتى شمل الخراب إقليم مصر وتلاشى الصعيد واندثرت عدة مدن وقرى، وتعطلت معظم أراضيه من الزراعة وتمزق أهله وتفرقوا، وأصابهم الفقر الشديد حتى باع كثير من الناس أولادهم، فاسترقوا بعد العبودية وذلوا بعد العز[1]، وهذا يوضح لنا أن خللا كبيرا أحدث في تكوين المجتمع نتيجة حركات تمرد المماليك من جهة، وعصيان العربان من جهة أخرى، والنتيجة تفكك الأسر وتشرد آلاف الأطفال وخراب القرى.

ويبين لنا ذلك الإحصاء الذي قام به كتاب ديوان الجيش مجموع عدد قرى مصر كلها قبليها وبحريها وما طرأ عليها من نقص، فكانت في عهد المماليك ألفين مائة وسبعين (2170) قرية، في حين أنها كانت عشرة (10000) آلاف في القرن الرابع الهجري فانظر تفاوت ما بين الزمنين.[2].

---

(1) المقريزي، السلوك، ج3، ص1167؛ ابن إياس، بدائع، ج1، ص724.

(2) المقريزي، السلوك، ج4، ص 912؛ ابن حجر ، أبناء، ج3، ص516؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج15، ص 41.

وكان الجيش مقسما إلى ثلاثة أقسام: مماليك السلطان، مماليك الأمراء، أجناد الحلقة، وكل منها مستقلا بنفسه وغير متداخل مع غيره من الأقسام، ولذلك كانت عساكر مصر أضعاف ما هي عليه الآن، ولكن الأمر تغير بتولي برقوق الحكم سنة 784هـ / 1382م، فقد صارت الأمراء يشترون إقطاعات أجناد الحلقة أو يأخذونها من السلطان باسم مماليكهم، ثم لا يكفيهم ذلك حتى يكتبونهم أيضا مع مماليك السلطان بمرتب شهري، حتى يصير الواحد من مماليك الأمراء جندي حلقة ومملوك سلطان وفي خدمة أمير، وبهذا يكون له مرتب ثلاثة أفراد وهو جندي واحد.

ولهذه الأسباب كثر المال بيد البعض وقل بيد البعض وضاعت العدالة وضعف أمر عسكر مصر لذلك، وعلى هذا الحساب أصبح عدد الجيش ثلث ما كان عليه من قبل، هذا غير ما خرج من الإقطاعات التي للجند على الرزق والأملاك وغير ذلك وهو كثيرا جدا يخرج عن الحد، فمن تأمل ذلك علم ما كان عدة عسكر مصر أولا وما عدته الآن، هذا مع ما خرب من النواحي لكثرة المغارم والظلم المترادف وقلة نظر الحكام وعجز المقطعين عن إدارة أحوال البلاد ولولا ذلك لكان عسكر مصر لا يقاومه عدو ولا يدانيه عسكر [1].

ونتيجة ذلك التدهور السياسي والاقتصادي الشامل تدهورت صناعات صغيرة منها ما يتصل بالغذاء ومنها ما يتصل بالعادات الاجتماعية، مثل ما حدث لصناعة السكر والحلوى التي أصابها البوار، وهو سبب التدهور الحاد في صناعة النسيج يرجع إلى التدهور العام (ففشا فيهم الظلم من الحكام، وكثرة الجور وشؤم السيرة) [2].

كما تدهورت صناعات مهمة كصناعة النسيج ففي شهر جمادي الآخرة سنة 837هـ / يناير 1434م أحصى عدد القزازين وهم الحياك فبلغت ثماني مائة نول بعدما بلغت عدتها في أيام محمود الإستادار أعوام بضع وتسعين وسبعمائة 795هـ / 1392م، أربعة عشر (14)

---

(1) المقريزي، السلوك، ج4، ص462؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج14، ص70-71.

(2) قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي طبعة دار المعارف سنة 1983م، ص 140-141.

ألف نول ونيف "زيادة" وقد شتت أهلها ظلم ولاة الأمور وسوء سيرتهم، وعدم معرفتهم لكونهم يطمعون في الأموال، فيفوتهم أموال كثيرة مع العدل والفرق بين العامر والخراب ظاهر [1].

## ثانيا: إشعال المماليك للحرائق وتخريب المواني:

تسبب الحريق العظيم بساحل بولاق في 6 رجب سنة 862هـ / 21 مايو 1458م في هدم بعض المباني ومات تحت الردم جماعة كثيرة من الناس ثم أخذت الناس تنتقل يمينا وشمالا بحيث أحرقت كثيرا من البضائع للتجار، بل وهدم بسببها أكثر من ثلاثمائة (300) دار وكثير من الربوع والدكاكين وشون القمح.

وقد حضر جميع أمراء الدولة بمماليكهم وحواشيهم والأمر لا يزداد إلا شدة، حتى صار الذي يحضر من الناس لإطفاء النار كالمتفرج من عظم النار ويعجز عن إخمادها، وصار كل من له دار تحت الربع ينقل متاعه وأثاثه، وقد استمرت النار لمدة أسبوع، وبلغ عدة ما احترق من الرباع أكثر من ثلاثين ربعا وكل ربع يشتمل على مائة سكن أو أكثر أعنى أعاليه وأسفله بخلاف ما به من الحوانيت والمخازن [2].

واستغرق الحريق شهر رمضان بالقاهرة وظواهرها بعد حرق بولاق وقد وقع ضرر ذلك على كثير من الناس وقد قوى عند الناس أن المماليك وبعض الجند هم الذين يشعلون النار لكي يأتي المماليك لإطفاء الدور المحروقة فيقومون بنهب قماشها وأمتعتها فلما حسن ذلك عند المماليك استمروا في فعله، ثم يقول وأنا لا أستبعد ذلك لقلة دينهم وعظمة جبروتهم، عليهم من الله ما يستحقونه من العذاب[3].

---

(1) المقريزي، السلوك، ج4، ص909؛ ابن حجر، أبناء ج3، ص 516؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج15، ص38.

(2) ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص119–125؛ السخاوي، الذيل التام، م2، 125–126؛ ابن إياس، بدائع،ج2، ص374.

(3) ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص119–125؛ السخاوي، الذيل التام، م2، 125–126؛ ابن إياس، بدائع،ج2، ص374.

وقد ضرب الخراب الديار المصرية بسبب تعيين الكثيرين في مناصب لا يستحقونها، وذلك لأن الكثيرين منهم تولوا بالرشوة، فعلى سبيل المثال عين الغوري "على بن أبي الجود" في مستهل جمادي الأول سنة 908هـ / نوفمبر 1502م في مناصب كثيرة منها: نظر الأوقاف والوزارة والإستادارية ونظر الخاص، فأظهر الظلم في الديار المصرية حتى فاق على (هناد)- أي هندي ظالم- فكان الناس على رؤوسهم طيرة منه ودخل في قلوبهم الرعب الشديد بسببه، فكان العبد يشكو إليه سيده فينصفه عليه، والمرأة تشكو إليه زوجها إذا خاصمته، ومن كان له عدو يكذب عليه ويقول لأبي الجود هذا وجد مالا، فيسلب نعمته، فأطلق في الناس النار، وصار على بابه نحوا من مائة رسول، ولقد تزايد ظلمه حتى شاع ذكره في بلاد ابن عثمان ملك الروم وفي بلاد الشرق من ديار بكر وغير ذلك من البلاد حتى أخرب ثغر الإسكندرية ودمياط وجدة وغير ذلك من الثغور بسبب مصادرات التجار الروم وجوره عليهم ولقد طاش وظلم فتلاشى أمر الثغور من يومئذ وتضاعف أمر المكوس جدا حتى جاوزت الحد [1].

ويصف ابن إياس الصورة القاتمة للبلاد لا سيما بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح أثناء زيارة الغوري للإسكندرية عام 920هـ / 1514م قائلا: (وفي 7 شهر المحرم سنة 920هـ / 3 مارس 1514م تعطل اللحم الذي كان يطلع إلى مماليك السلطان فضجوا في ذلك اليوم وكادوا يعلنوا التمرد، أما الوزير فكان مسافر إلى البحيرة، ولم يصرف مرتبات المماليك القراصنة "الكبار" منذ ستة أشهر فكثر الكلام في حق السلطان وربما تمردوا. كما كان ديوان المفرد وديوان الخاص خاويان من المال، لأن ميناء الإسكندرية خراب ولم تدخل إليه البضائع في السنة الحالية وميناء جدة خراب بسبب تعبث الفرنج على التجار في بحر الهند فلم تدخل البضائع إلى بندر جدة نحوا من ست سنين، وكذلك جهة دمياط، وكانت جهة البحيرة في هذه الأيام في غاية الاضطراب بسبب فساد العربان من حين مات الجويلي وولى ابن أخيه عوضه) [2].

وحينما وصل الغوري إلى الإسكندرية في ذي الحجة سنة 920هـ / يناير 1515م كانت في غاية الخراب فلم يكن بها أحد من أعيان التجار لا من المسلمين ولا من التفريج وكان

---

(1) ابن إياس، بدائع، ج4، ص44-45.

(2) ابن إياس، بدائع، ج4، ص259.

خرابها بسبب ظلم النائب "وظلم القابض" فإنهم صاروا يأخذون من التجار (العشر) عشرة أمثال فامتنع تجار الفرنج والمغاربة من الدخول إلى الثغر فتلاشى أمر المدينة حتى قيل طلب الخبز فلم يوجد ولا الأكل، ووجد بها بعض دكاكين مفتحة والبقية خراب لم تفتح.

## ثالثا: عدم المواظبة على صلاة الجمع والأعياد:

كان للصراع بين الناصري ومنطاش على النفوذ والتحكم في تسيير الأمور أثر كبير في نشر الفوضى، ففي يوم الجمعة 12 رمضان791هـ / 6 سبتمبر 1389م انطلق جماعة من الزعر والمفسدين إلى المصلين في جامع آقسنقر بالتبانة فنهبوهم واستولوا على عمائمهم، ثم مضوا إلى تحت القلعة فلم يعارضهم أحد فمروا على المصلين بمدرسة الأشرف شعبان ففعلوا ذلك أيضا دون مراعاة لحرمة الجمعة[1] ولم يعاقبهم أحد، ثم نزلوا إلى ناحية جامع ابن طولون منتهزين فرصة عصيان منطاش على يلبغا الناصري واضطراب الأحوال.

وفي 24 شوال سنة 802هـ / 20 يونيو 1400م ارتجت القاهرة وظواهرها، وقيل إن الأمراء قد عصوا وركبوا مع المماليك للقتال، فأغلقت الجوامع واختصر الخطباء الخطبة ونزلوا عن المنابر وأوجزوا في الصلاة، وفي بعض الجوامع لم يصعد الخطيب، وفي بعضها لم تُصل الجمعة، وخرج الناس مذعورين خوفا من النهب وفيهم من سقط منه منديله أو دراهمه ولم ينتبه لذلك، كما أغلقت الأسواق، واختطف الناس الخبز، واتضح أن الأمر كله إشاعة خطيرة وحقيقتها أن مملوكين تخاصما تحت القلعة وكان هناك حمار مربوط في تخت من خشب فنفر من ذلك وسحب التخت فخافت الخيول التي تنتظر أربابها الذين ذهبوا لصلاة الجمعة بالقرب من جامع شيخو بالصليبية فلما رأى الناس الخيول ظنوا في نفوسهم من خوف الاختلاف بين الأمراء (سودون طاز والأمير يشبك) وأنهم على عزم الركوب للحرب وأن الواقعة قامت بينهما، فطار هذا الخبر إلى بولاق وظواهر القاهرة ثم إلى مصر، وفي بقية النهار قبض والي القاهرة على جماعة من العامة وضربهم وطافوا بهم وهم ينادون عليهم "هذا جزاء من يكثر فضوله ويتكلم

---

(1) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، م9، ص134.

فيما لا يعنيه" ثم نودى من الغد بالأمان وأن من تحدث فيما لا يعنيه عوقب عقابا شديدا فسكن الناس[1].

وكان الاحتفال بصلاة العيد يتأثر بحركات التمرد والعصيان القائمة، فالأمير جانبك الصوفي تعجل قتال برسباي، ولم يصل عيد الأضحى 10 ذي الحجة 824هـ / 7 ديسمبر 1421م وقام أتباعه بالرمي بالسهام على أتباع برسباي وأغلق باب القلعة لذا أخذ الأمراء يلومونه على عدم حضوره صلاة العيد، حتى قال ابن تغري بردي (صل واركب ما تنكب)[2]، ويعلق ابن تغري بردي بأنه كان لا يفهم ما قلته ولم يصل وركب فنكب، ثم ما لبث أن قبض عليه[3]

وكان مرض السلطان خشقدم من أسباب اختصار الخطيب لخطبة الجمعة، ففي 11 ربيع أول سنة 872هـ / 1 أكتوبر 1467م خرج السلطان خشقدم إلى صلاة الجمعة ماشيا على قدميه من غير مساعدة وعليه قماش الموكب والزينة على العادة، وصلى الجمعة وسننها قائما على قدميه، هذا وقد أخذ من المرض كل ما أخذ وهو يظهر التجلد وقد توقع الناس موته في كل لحظة، ولكنه يظهر القوة خوفا من تمرد المماليك عليه، وقد أشار على القاضي الشافعي أن يسرع في الخطبة فجاءت الصلاة والخطبة على نحو مختصر جدا [4].

وكان تخلف السلطان عن أداء صلاة الجمعة في المسجد سببا لنشر القلق والخوف والإشاعات بين الناس، وهذا ما حدث في شوال سنة 916هـ / يناير 1511م عندما مرض السلطان الغوري وصنع له الطبيب الحجامة واحتجب عن الناس لعدة أيام وزارة الخليفة ثم

---

(1) المقريزي، السلوك، ج3، ص1018؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص215؛ الصيرفي، نزهة النفوس،ج2، ص59؛ ابن إياس، بدائع، ج1، ص587.

(2) ابن تغري بردي، النجوم، ج14، ص218.

(3) ذكر المقريزي، السلوك، ج4، ص592، بعد القبض على جانبك ويشبك سكنت الفتنة ولم تنطح فيها عنزان؛ ويعلق ابن تغري بردي، النجوم، ج14، ص220، واطمأن الناس بعد أن ظنوا أن الفتنة تطول لأن كل واحد منهم يملك جهة من جهات القلعة ومع كل طائفة خلائق لا تحصى فجاء الأمر بخلاف ذلك.

(4) ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص301.

القضاة الأربعة، وكثرت الإشاعات بتمرد المماليك وأن السلطان صار أعمى لا يصلح للسلطنة، لذا لا بد من تنصيب سلطان، وأن الأمراء اختاروا قائد الجيش، فلم يجد السلطان بُدا من الخروج لصلاة الجمعة حتى وإن لم يكتمل شفائه ليقطع الطريق على المتآمرين، فخرج لأداء الصلاة راكبا فخطب به الخطيب خطبة قصيرة حتى انقضت الصلاة وعاد إلى القلعة [1].

وبسبب مطالبة المماليك للسلطان الغوري بالنفقة وانقسامهم حزن السلطان حزنا شديدا، كما خشي على نفسه من المماليك فلم يخرج لصلاة الجمعة في 4 ذي الحجة سنة 921هـ / 21 يناير 1515م، بل إنه لم يصلها، كما لم يصعد إليه الأمراء كعادتهم فاضطربت أحوال السلطان وتكدر عيشه بعد تمرد المماليك ومطالبتهم بالنفقة [2].

ومن الحوادث الغريبة اجتماع المماليك في عيد الأضحى سنة 844هـ / 3 مايو 1441م أمام باب القصر للدخول إلى السلطان لأخذ هدايا العيد، وبمجرد انتهاء صلاة العيد وتسليم الإمام هجم كثير من المماليك على باب القصر ومعهم جماعة كثيرة من الناس واشتد الزحام حتى مات والي باب القلة وهو يحاول منعهم ولكنهم أوقعوه وداسوه فذهب صوته واستغاثته أدراج الرياح، كما سقط في الزحام جماعة من الناس أشرفوا على الموت، فبعضهم أصابه الإغماء فعالجوه حتى فاق والبعض الآخر مات[3]، وهكذا كان هجوم المماليك سببا لموت الكثيرين دون أن يعبأوا بهم فالمهم أن يحصل كل واحد منهم على أكبر فائدة، وكانت حادثة شنيعة تبين عدم احترام المماليك للمسئولين، وأن كل هم المماليك هو أخذ الهدايا والخلع والمنافع المادية دون النظر لعواقب الأمور، ولم يقم السلطان بأي رد فعل.

وعندما أراد السلطان الغوري تجهيز نفقة المماليك في محرم 907هـ/يوليو 1501م فرض أجرة عشرة أشهر على أملاك القاهرة من بيوت وربوع وحوانيت وحمامات وغيطان حتى من وقف البيمارستان المنصوري وسائر الأوقاف، ضاق الناس وأغلقوا بعض الجوامع

---

(1) ابن إياس، بدائع، ج4، ص200

(2) ابن إياس، بدائع، ج4، ص428.

(3) المقريزي، السلوك، ج4، ص1224.

ومنعوا منها خطبة الجمعة، منها: (جامع الجنيد الذي هو داخل الدرب التي بالقرب من قناطر السباع وجامع آخر بباب اللوق وغير ذلك عدة جوامع) [1].

**رابعا: انتشار التصوف والاحتفال بالموالد:**

كان التدهور في الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية في أواخر العصر المملوكي سببا في لجوء كثيرا من العامة إلى التصوف ليس رغبة في الزهد وإنما هروبا من قسوة الحياة التي كانت تحياها الطبقة الشعبية[2] ولذا انتشر التصوف والاحتفال بالموالد ومنها المولد الأحمدي بطنطا، ولما سمع السلطان جقمق بما يحدث من المفاسد في أثناء الاحتفال بالمولد الأحمدي بطنطا أصدر أوامره في ربيع الآخر سنة 851هـ/يونيه 1447م، بعدم الاحتفال بالمولد في ذلك العام، فشق ذلك على جماعة الصوفية الأحمدية، الذين وقفوا كثيرا للسلطان حتى أمر بإعادته في العام التالي[3].

ومن الجدير بالذكر أن ابن إياس لم يذكر هذه المفاسد التي جعلت السلطان يبادر بإلغاء المولد الأحمدي في ذلك العام ولعل منها جمع القائمين عليه مبالغ كبيرة مفروضة على الأغنياء، فضلا عن اختلاط النساء والصبيان والفساق فيشربون الخمر وسائر المنكرات[4].

ونظرا لاضطراب الأحوال وتمرد العربان – فقد خرج خال السلطان وجماعة من كبار الأمراء لقتال عربان الشرقية قبل أيام– والطرق غير آمنة بالإضافة لسوء تصرف السلطان محمد بن قايتباي (14) سنة، وذكر ابن إياس أن السلطان أراد التوجه إلى الغربية في شهر ذي القعدة سنة 903هـ / يونيه 1498م للاحتفال بمولد السيد أحمد البدوي الذي يقام بطنطا كل عام

---

(1) ابن إياس، بدائع، ج4، ص16، البيومي إسماعيل، مصادرة الأملاك، ج2، الهيئة العامة للكتاب سنة 1997م، ص61.

(2) محاسن الوقاد، الطبقات الشعبية، الهيئة العامة للكتاب سنة 1999، ص 178.

(3) ابن إياس، بدائع، ج2، ص258.

(4) سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص262-263.

ولكن الأمراء منعوه من ذلك، وبالطبع غضب السلطان ولكنه لم يستطيع أن يحرك ساكنا نظرا لخطورة الأوضاع [1].

ومن اللافت للنظر أن السلطان الغوري في 27 ربيع أول سنة 919هـ / 4 يونيه 1513م أمر بعد الاحتفال بالمولد الأحمدي وذلك لعدة أسباب: الأول تمرد العربان، الثاني انتشار الطاعون، الثالث اضطراب الأحوال لمرض السلطان بعينه، الرابع الخوف من وقوع تمرد من المماليك فأكر السلطان بإلغائه [2].

## خامسا: تأثر رحلة الحـــــــج والمحمل:

كان من عادة الدولة المملوكية إرسال كسوة الكعبة كل عام في شوال، أما الاحتفال بدوران المحمل فكان يتم في النصف الأخير من شهر رجب، والغرض من دورانه إعلام الناس أن الطريق من مصر إلى الحجاز آمن ومن شاء الحج فلا يتخوف من الطريق وبذلك تهيج العزمات وتتحرك البواعث فيأخذ من يشاء في التأهب للحج.

والاحتفال بدوران المحمل كان من أجل الاحتفالات، وينتظره الناس قبل موعده بثلاثة أيام وقد زينوا حوانيتهم ودورهم، كما يستأجرون البيوت لمشاهدة الكسوة [3].

وكان من آثار عصيان الأمير يلبغا الناصري على الأمير منطاش في يوم الأحد 5 شوال سنة791هـ / 28 سبتمبر 1389م أن أمر الأمير منطاش بالنداء في القاهرة وظواهرها أن الأمر خرج عن الحد، لاضطراب الأحوال وانعدام الأمن بعد الخروج للحج ذلك العام[4]، وأن جميع الناس القريب والبعيد والخاص والعام وكل من تجهز للسفر لبلاد الحجاز الشريف لا

---

(1) ابن إياس، بدائع، ج3، ص393.

(2) ابن إياس، بدائع، ج4، ص309.

(3) سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص200-201.

(4) كان الحجيج يجتمعون عند بركة الحاج، والتي كانت تسمى بركة جب يوسف، ثم حولت لبركة الحاج لنزول الحجيج بها عند سفرهم وعودتهم وكانت مكان لعرض الجند، ونزهة الملوك وهي تقع بحرى القاهرة، المقريزي، الخطط، ج2، ص163

يسافر أحدا منهم حتى يأخذ ورقة من الأمير منطاش، ويتعجب ابن الفرات قائلا: ولم نسمع بذلك الأمر من قبل[1].

وقد دفع استقرار الأمور وأمان الطريق السلطان برقوق إلى المناداة على الناس في القاهرة في شهر ربيع الأول سنة 801هـ / 1398م بأن يخرجوا لأداء العمرة في شهر رجب، بعد أن كان ذلك قد انقطع منذ عام 783هـ / 1381م، فأمر بإعادته على جاري العادة[2].

وتأخر خروج المحمل في عهد فرج إلى 22 من شوال سنة 804هـ / 26 مايو 1402م وهذا شيء لم يعهد من قبل أن تأخر محمل الحاج حتى ذلك الحين، وإنما تأخر بسبب الصراع بين كل من الأمير سودون طاز من جهة، والأميران جكم، ونوروز من جهة أخرى في 2 شوال سنة 804هـ / 6 مايو 1402م[3].

وفي شهر رجب سنة 806هـ / 1403م عمل الأمير شيخ نائب الشام "السلطان بعد ذلك" محمل الحاج وأداره بدمشق حول المدينة وكان قد انقطع ذلك منذ سنة ثلاث وثمانمائة بسبب هجوم المغول على بلاد الشام وتدميرهم المدن وتخريبهم البلاد وقتلهم العباد، وبلغ مصروف ثوب المحمل وهو حرير أصفر مذهب نحو خمسة وثلاثين ألف درهم، ونودي بخروج الحاج عن طريق المدينة النبوية[4].

ومما يدعوا إلى العجب أن يستغل البعض خروج محمل الحاج باعتباره وسيلة لجمع المال ففي شهر رجب سنة 819هـ / أغسطس 1419م دار محمل الحاج على العادة، ولكن والي القاهرة أخذ يفرض الأموال على الناس للمماليك الرماحة، فكان ذلك من شنيع المنكرات ويعلق

---

(1) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، م9، ص142؛ المقريزي، السلوك، ج3، ص659.

(2) ابن إياس، بدائع، ج1، ص514.

(3) المقريزي، السلوك، ج3، ص1086؛ ابن إياس، بدائع، ج1، ص655.

(4) المقريزي، السلوك، ج3، ص1121؛ ابن إياس، بدائع، ج1، ص686-687.

ابن إياس على ذلك: (وحصل للناس غاية الفساد من مماليك السلطان، فتعرضت القضاة لمنع ذلك، وقالوا هذه بدعة سيئة)، ويبدوا أن السلطان قد وافق على منعه فلم يستمر[1].

ومما لا شك فيه أن خروج الجيش وفي عهد برسباي لقتال صاحب قبرص كان سببا للإسراع في خروج المحمل في رجب سنة 829هـ / 1425م[2]

ولما أدير المحمل في رجب سنة 832هـ / أبريل 1428م قام المماليك بنهب بضائع الباعة والتجار والتعرض للنساء والشباب المرادن[3] في الطرقات في ليالي الزينة، ودفعت هذه الأفعال السيئة تجمع الناس والعبيد السودان من أجل قتال المماليك مرات عديدة فقتل بينهم رجلان، ولما حدث ذلك من المماليك تضرر القضاة والمشايخ، وقالوا هذه بدعة سيئة يجب إبطالها [4].

وقد أدير محمل الحج في الثامن من شعبان سنة 833هـ / 3 مايو 1430م، ولم يعهد قط أنه أدير في شعبان وإنما كانت العادة أن يدور في نصف رجب، غير أن كثرة الموتى من المماليك الرماحة الذين يلعبون بالرمح أمام المحمل اقتضت تأخير الميعاد، حتى يقوم معلمي اللعب بالرمح بتعليم من بقا حيا من المماليك كيفية الإمساك بالرمح واللعب به، فكان عدد المماليك والناس هذا العام أقل من كل عام[5]، وبالطبع كان ذلك برأي السلطان مما يبين أهمية وجود المماليك في دوران المحمل لذلك تأخر المحمل.

وكانت حركة السلطان إلى الشام لقتال الخارجين عليه سببا للتعجيل بخروج المحمل عام 835هـ / 1431م، ويعلق ابن إياس على ذلك: بأن المحمل في هذه السنة كان زائد البهجة، وزينت القاهرة زينة حافلة وتمتع الناس بمشاهدته لعدم تشويش المماليك على الناس.[6]

---

(1) المقريزي، السلوك، ج4، ص362؛ ابن إياس، بدائع، ج2، ص28.

(2) المقريزي، السلوك، ج4، ص719.

(3) مرد الغلام ، نبت شاربه، فهو أمرد والجمع مرد، المعجم الوجيز، ص577.

(4) المقريزي، السلوك، ج4، ص800؛ الصيرفي، نزهة، ج3،ص155؛ ابن اياس:بدائع،ج2،ص124.

(5) المقريزي، السلوك، ج4، ص831؛ ابن إياس، بدائع، ج2، ص134.

(6) المقريزي، السلوك، ج4، ص867؛ ابن إياس، بدائع، ج2، ص141.

وتسبب انشغال السلطان بقتال جانبك الصوفي سنة 839هـ / 1435م في أمرين: أولهما: تغيير خط سير المحمل، وثانيهما: إبطال لعب المماليك بالرمح، فقد أشر السلطان على المماليك أن يسيروا بالمحمل حتى الجامع الجديد خارج مدينة مصر ثم يرجعون به والقضاة أمامه إلى الخانكاة الشيخونية بالصليبية خارج القاهرة فقط، ويمضي الفقراء والصوفية معه إلى تحت قلعة الجبل ثم منها إلى الجامع الحاكمي، وأبطلت الرماحة من الركوب معه لانشغال السلطان بجانبك الصوفي[(1)]

ومن الثابت أن المحمل كان يدور بعد النصف من رجب ولكنهم داروا به في 3 من رجب سنة 840هـ / 12 يناير 1437م، ولم نعهد فيما تقدم أنه أدير قبل النصف من شهر رجب إلا في هذه الدولة الأشرفية، فإنه أدير غير مرة قبل النصف منه، ونزل بالناس ليلة إدارته من المماليك السلطانية بلاء كثير: من صفع أقفية المارة في الشارع، ومن حرق لحاهم بالنار، وخطف عمائهم إلى غير ذلك مما لا نستجيز ذكره، أما ابن إياس فيذكر أن المحمل كان بالرماحة ولكن المماليك حصل منهم غاية الأذى في حق الناس وصاروا يخطفون النساء والشباب وخطفوا أشياء الزينة وحصل منهم الغدر الشامل [(2)].

استغل المماليك دوران المحمل في نهب أموال الناس بل أنهم تعدوا ذلك إلى قتل بعضهم، ففي 5 رجب سنة 841هـ / 14 يناير 1437م أدير المحمل على العادة، وقد تقدم أنه كان يدار بعد نصف رجب ولم يسمع أنه أدير في هذه الدولة قبل النصف، وقد حدثت في الخامس من رجب شنائع وقبائح من المماليك منها: أن المماليك سكان الطباق بالقلعة نشأوا على مقت السلطان لرعيته، مع ما عندهم من بغض الناس فنزل كثير منهم في أول الليل وأخذوا في نهب الناس وخطف النساء والصبيان للفساد، واجتمع عدد كثير من العبيد السود وقاتلوا المماليك فقتل جماعة من العبيد وجُرح عدة من المماليك، وخُطف من العمائم، وأخذ من الأمتعة شيء كثير.

وكان اختفاء السلطان العزيز من القلعة سببا للبحث عنه في كل مكان، فلما خرج الحجيج في شوال سنة 842هـ / مارس 1437م قام الوالي ومعه جماعة من المماليك بتفتيش أمتعة

---

(1) المقريزي، السلوك، ج4، ص972؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج15، ص76.

(2) المقريزي، السلوك، ج4، ص1006؛ ابن إياس، بدائع، ج2، ص174.

الحجيج رجالا ونساء وما يأخذونه معهم من أشياء، بحثا عن العزيز، كما أمر السلطان بضرب رجل مع الحجيج كان يذهب لامرأة تدعى معرفة الغيب وتخبره بأن العزيز سيعود إلى ملكه فعوقب عقابا شديدا ثم رجع المسكين ولم يؤدي فريضة الحج لاتهامه بالترويج لعودة السلطان العزيز للحكم [1].

وعلى الرغم من زيادة عدد فرسان المماليك في عصر السلطان جقمق عما كانوا عليه في عصر السلطان برسباي، فإن كثيرا من الناس قد سعدوا بمشاهدة الفرسان الذين يلعبون بالرماح أمام المحمل سنة 843هـ / 1439م، فلم يقع فيه من الشناعات التي كانت تحدث أيام برسباي من فساد المماليك، والسبب في ذلك شدة السلطان جقمق مع المماليك، ولا عجب أن تذهب دهشتنا عندما نرى السلطان يكافئهم وينفق عليهم الأموال الكثيرة، مع أن العادة لم تجر بذلك[2].

وقد أحدث المماليك في عهد أينال بدعة "عفاريت المحمل" عام861هـ / 1456م، فعندما أدير المحمل قام المماليك بخطف النساء والصبيان وعمائم الناس وغير ذلك، وسبب ذلك كما يذكر ابن تغري بردي أنهم أفحشوا في حق الناس، وصاروا يدخلون إلى دور الأمراء والأعيان ويكلفونهم الكلفة الزائدة، وما كفاهم ذلك حتى صار الواحد منهم المسمى عفريت المحمل إذا مر بالشارع على فرسه بتلك الهيئة المزعجة يأخذ الأموال من الدكاكين، وإذا صادف تاجرا أو رئيسا أمسكه وأخذ منه ما شاء غصبا، وإن لم يعطه أخرق به ورماه عن فرسه حتى صار الرجل إذا رأى واحد من هؤلاء أسرع في مشيه بالدخول إلى زقاق أو بيت من البيوت فضر ذلك بحال كثير من الناس وتركوا الفرجة على المحمل، بل أنهم صاروا يترقبون فراغ المحمل ليستريحوا من هذه الأفعال القبيحة للمماليك، ثم إن أعيان الدولة كلموا السلطان في منع دوران المحمل أو نهى المماليك عن تلك الأفعال، فأمر السلطان في السنة التي تليها بمنع عفاريت المحمل بالكلية[3].

وتجدر الإشارة إلى أن أهل القاهرة في سنة 869هـ / 1464م قد استعدوا لمشاهدة الاحتفال بدوران المحمل ونودي بالزينة وكانت هذه الأيام مشهودة، لكن أتت الرياح بما لا

---

(1) المقريزي، السلوك، ج4، ص1130-1131؛ ابن إياس، بدائع، ج2، ص213.

(2) المقريزي، السلوك، ج4، ص1177؛ ابن تغري بردي، النجوم،ج15، ص337

(3) ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص123؛ ابن إياس، بدائع، ج2، ص339.

تشتهي السفن، فقد هاجم المماليك النساء والأطفال وخطفوا العمائم وقاسى منهم الناس أهوالا شديدة [1].

وقد أدير المحمل في شهر رجب عام 871هـ / 1466م، ولكن حدث من المماليك غاية الضرر من الخطف والنهب وغيره، ولكن الجديد هذا العام أن المماليك أحرقوا نفطا كثيرا وشاهده كثيرا من الناس فطار هذا الشرر إلى القلعة فاحترق سقف الإسطبل لولا أنهم بادروا بإطفائه لاتي على القلعة كلها وما استطاعوا إطفائه [2].

وفي عهد قايتباي جاءت الأخبار إلى القاهرة في 5 رمضان سنة 901هـ / 19 مايو 1495م بتعدى العربان على مدينة السويس وقيامهم بردم الآبار التي يشرب منها الناس بطريق الحج فأمر السلطان بخروج الأمير كسباي الدوادار الثاني لأنه كان المشرف عليها ومعه اصطمر كاشف الشرقية وصحبتهما جماعة كبيرة من المماليك والقواسة والصناع والجمال، وعندما وجدوا معارضة العربان للطريق نادوا بمنع الحجيج من الخروج وأن لا يحج إلا من له منعة وسلاح وأن لا تخرج النساء وكبار السن والأطفال خوفا عليهم من قطاع الطريق، ويعلق السخاوي قائلا: وكان في إعلان هذا النداء إظهارا لضعف الدولة وتقوية للمفسدين، فقد تقاعد كثير من العقلاء عن الخروج والسفر في هذا الجو المشحون بالخوف والفزع [3].

وفي عهد الغوري جاءت الأخبار سنة 911هـ / 1505م من مكة باضطراب الأحوال وقطع العربان للطريق على الحجاج فنودي بعدم خروج الحجاج إلى الحجاز في هذه السنة من مصر والشام وسائر الأعمال قاطبة، ويعلق ابن إياس على ذلك قائلا: وكانت هذه الواقعة من أعظم المصائب في الإسلام[4] وخاصة عندما علم السلطان بقدوم حجاج العراق واليمن إلى مكة

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص288؛ ابن إياس، بدائع، ج2، ص427.

(2) ابن إياس، بدائع، ج2، ص447.

(3) السخاوي، الذيل التام، م3، ص 341.

(4) ابن إياس، بدائع، ج4، ص89.

ووقوفهم بعرفات، وعدم خروج محمل الحجاج المصري، وهو محمل الدولة الرسمي ولذا تنكد الغوري ورأى ذلك نقصا في حقه بين الملوك [1].

**سادسا: انتشار الأمراض و كثرة الأموات:**

اضطربت أحوال الناس في عهد برقوق، بالقاهرة ومصر وظواهرهما اضطرابا عظيما عندما علموا بهزيمة الأمراء والمماليك الذين خرجوا لقتال المتمرد يلبغا الناصري بغزة في 27 ربيع آخر سنة 791هـ / 23 أبريل 1389، كما تجمع أهل الفساد استعدادا للنهب والسلب، وحدث للناس خوف شديد خصوصا أصحاب الجنائز ومن كان في المقابر بسبب دفن الأموات الذين ماتوا بالطاعون في هذا الشهر [2].

الجدير بالذكر أن من لم يمت بالسيف مات بغيره فاجتمع على أهل مصر في هذا الشهر خطران (الطاعون والناصري) الموت بالطاعون الذي كان يفني أرواح الناس، والموت بالسيف الذي كان يحصد رقاب المقاتلين، فانشغل الناس بدفن موتاهم واشتد خوف الناس وقلقهم [3] ولم يذكر المؤرخون تفاصيل ذلك الطاعون بسبب انشغالهم بالحديث عن تمرد الناصري، ولم تقم الدولة بأي جهد لدفعه أو التقليل من انتشاره لاضطراب الأحوال السياسية ومهاجمة الناصري للبلاد.

وفي ظل حكم الطفل الصغير فرج بن برقوق واشتعال الصراع على السلطة بين الأمراء لم يكن غريبا أن تنتشر هذه الأمراض بالقاهرة ومصر من أول ربيع الأول 802هـ / نوفمبر 1399م إلى آخر جمادي الآخرة فقد ظهرت بعض الأمراض الفاشية في الناس من (الحمى والبرد) التي مات بسببهما أعداد كبيرة من الناس، ولم يلتفت هؤلاء المتنازعون على الحكم للمرضى والموتى أو حتى الأسعار التي ارتفعت في كل المبيعات في شهر جمادي الثانية سنة

---

(1) ابن إياس، بدائع، ج4، ص95.

(2) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، م9، ص66؛ المقريزي، السلوك، ج3، ص600.

(3) ابن دقماق، الجوهر الثمين،ج1، ص271؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، م9، ص65-66 ؛ المقريزي، السلوك،ج3،ص600؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج11، ص266.

802هـ / يناير 1400م مما ترتب عليه (توقف الأحوال وتعطل معايش الناس وكل ذلك لخوف الناس من وقوع الفتن لشدة اختلاف أهل الدولة)[1] فيما بينهم للسيطرة على مقاليد الدولة.

وتفيض المصادر فى الحديث عن وقوع الطاعون سنة 818هـ / 1415م حتى بلغ عدد من يرد اسمه بالديوان زيادة على 80 فرد كل يوم، ولكن الدولة انشغلت عنه بأمور ثلاثة:

**أولها:** عصيان العربان بالوجه القبلي والبحري وقطعهم الطريق حتى عجز المماليك عن الخروج لأخذ مغلات إقطاعاتهم خوفا من العربان.

**وثانيها:** عصيان الأمراء بالشام وخروج السلطان شيخ لقتالهم.

**وثالثها:** وقوع الغلاء الشديد حتى استعفى اثنان من المحتسبين الواحد تلو الآخر لانعدام الخبز وقلة القمح وارتفاع الأسعار، فتولى السلطان شيخ الحسبة بنفسه مما يوضح لنا خطورة الأمر[2].

وعندما بدأ الطاعون في شهر ربيع أول سنة 822هـ / أبريل 1419م أخذ المحتسب في تتبع أماكن الفساد بنفسه ومعه والي القاهرة فأراقا آلافا من جرار الخمر وكسرها، ومنع الناس من التظاهر
بشرب الحشيش ومنع النساء البغايا من الوقوف لطلب الفاحشة في الأسواق ومواضيع الريب، وطلب من الناس صيام ثلاثة أيام ونادى للخروج للصحراء مع العلماء للدعاء أن يخفف الله عنهم، حتى خرج السلطان المؤيد شيخ بنفسه وذبح كثيرا من الأغنام والأبقار والجمال والجاموس وأمر بتوزيعها على الفقراء والمساجد والمدارس بنية أن يرفع الطاعون[3].

ويعلق المقريزي على حوادث شهر ذي القعدة سنة 822هـ / نوفمبر 1419م قائلا: وفيه فشت الأمراض من الحميات وبدأ بأمراض حادة في الأطفال، وقل من يمرض منهم ثلاثة أيام والكثير منهم يموت في ساعة مرضه أو في أخر يوم مرضه وبلغ عدد من يرد أسمه في

---

(1) المقريزي، السلوك، ج3، ص1003؛ ابن إياس ، بدائع، ج1، ص572.

(2) المقريزي، السلوك، ج4، ص301، ص316-330؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج14، ص35-36-39.

(3) المقريزي، السلوك، ج4، ص486-489.

الأموات في اليوم الواحد أكثر من 50 في تلك الأيام[1]، ويوضح المقريزي أن أسباب الطاعون تتخلص في:

1. انتشار ظلم المماليك والولاة فلا يتركه إلا من عجز عنه.
2. استمرار العمل بالمعاصي.
3. ضجر الناس من معايشهم فصارت الشكاية عامة حتى لا تكاد تجد أحد إلا ويشكو سوء زمانه.

أما مظاهر ذلك فتمثل في ارتفاع أسعار الغلال واضطراب حال الأسواق [2].

ولا شك أن هناك أسبابا ساعدت على اضطراب الأحوال سنة 841هـ / 1438م يأتي فى مقدمتها:

1. خروج السلطان بالجيش لقتال العصاة ببلاد الشام.
2. انتشار الطاعون.
3. ضيق الناس من كثرة ظلم المماليك.

كان انتشار الطاعون سببا مباشرا لاضطراب جميع الأحوال، فقد سيطر شبح الموت الأسود على عقول الناس حتى أن الناس اضطربت صلاتهم فعندما حضر المقريزي صلاة الجمعة في 9 شوال سنة 841هـ / 7 أبريل 1438م بالجامع الأزهر وصعد الخطيب المنبر وخطب على العادة ثم جلس للإستراحة بين الخطبتين لم يقم وظل جالسا قدر قراءة ربع حزب من القرآن، والناس ينتظرون قيامه، وإذا برجل من الحاضرين يقول: (مات الخطيب)، فارتج الجامع واضطرب الناس وأخذوا يضربون كفا بكف أسفا وحزنا وجهشوا في البكاء حتى بكى المقريزي، وتوجه كثير من الناس إلى المنبر فقام الخطيب على قدميه ونزل للصلاة فصلى من غير أن يجهر بالقراءة، كما أوجز في صلاته، وكان الطاعون منتشرا وقدمت عدة جنائز فصلى بعضهم عليها، لكن الناس كانوا في حركة واضطراب فقال جماعة منهم إن الجمعة غير

---

(1) المقريزي، السلوك، ج4، ص483.

(2) المقريزي، السلوك، ج4، ص510.

صحيحة، ثم تقدم رجل فأقام الصلاة وصلى الظهر أربعا فصلى خلفه جماعة، فما أن انتهوا من صلاتهم حتى قام جماعة أخرون فأمروا مؤذنا فأذن ثم صعد رجل المنبر وخطب خطبتين ثم نزل ليصلي فمنعوه من الصلاة وجاءوا بإمام المسجد فصلى بالناس جمعة ثانية.

وبمجرد أن انتهوا ثار آخرون وأعلنوا بأن هذه الجمعة لم تصح، وأقاموا الصلاة، وصلى بهم رجل الظهر أربع ركعات ثم انصرف الناس وكل طائفة تخطئ الأخرى وتحدث كثير منهم بزوال ملك السلطان لإقامة خطبتين في نفس اليوم بمكان واحد.

وكان الناس عندما قيل "مات الخطيب" قد ملكهم الوهم، فبكى جماعة منهم ودهش آخرون، وهبت عند ذلك رياح فظنوا أنهم جميعا ميتون وأن هذه الريح ستقبض أرواحهم، حتى لو أنه قدر الله موت الخطيب على المنبر لهلك الكثيرون من الوهم والفزع بسبب انتشار الطاعون [1].

ويبين لنا ابن تغرى بردى أسباب خوف الناس في مستهل شهر بيع الآخر 864هـ / 25 يناير 1460م في النقاط التالية:

1. تمرد المماليك وظلمهم الذي زاد عن حده.
2. انتشار الطاعون.
3. معاناة الناس من جهد البلاء وغلو الأسعار.
4. انعدام الأمن وكثرة المخاوف في الأزقة والشوارع حتى صار الناس لا يخرجون من بيوتهم بعد صلاة العشاء.

وفى التاسع من ربيع آخر 864هـ / 4 فبراير 1460م اختفى ابن منصور المسؤول عن مرتبات المماليك فأعلنوا التمرد ومنعوا الأمراء من الصعود إلى القلعة، ثم تمردوا على زين الدين الاستادار ثم الأمير يونس الدوادار، وفي تلك الظروف الصعبة انتشر الطاعون وبلغت أعداد الموتى زيادة عن الحد في الشرقية والغربية، ومن خصائصه أنه كان إذا وقع بقرية يفني غالب أهلها ثم ينتقل لغيرها، وربما اجتاز بعض القرى ولم يدخلها فينجوا منه أهلها، وبلغ عدد

---

(1) المقريزي، السلوك، ج4، ص1039-1040.

الموتى بالقاهرة 19 شخصا في اليوم مع انشغال الدولة بتمرد المماليك وغلاء الأسعار وانتشار اللصوص[1].

ومن الإجراءات التي لجأت إليها الدولة لتخفيف الطاعون إراقة الخمر والحشيش ومنع النساء البغايا من الوقوف لطلب الفاحشة، ودعوة الناس للصيام والدعاء.

ويعزو المقريزي الأسباب إلى: انتشار الظلم فلا يتركه إلا من عجز عنه، والعمل بمعاصي الله مستمر، كما يضيف ابن إياس أسبابا أخرى فيقول أنها نقمة من الله، بعد أن انتشر الزنا والخمر والربا، وجور المماليك في حق الناس.

وترتب عليه:

1. ارتفاع أسعار الغلال.
2. اضطراب الأسواق وتوقف الحال.
3. وضجر الناس من معايشهم حتى صارت الشكاية عامة.
4. وزادت معاناة الناس لظلم المماليك وانعدام الأمن وانتشار اللصوص.

**سابعاً: اعتداء المماليك على أملاك الناس وأموالهم:**

استمر المماليك فى غيهم حيث الاستيلاء على بضائع الناس وأموالهم، ثم توجهوا لأخذ إقطاعات غيرهم من المماليك دون أن يردعهم أمير أو سلطان فإذا رأوا شخصا على حانوت عطار أمسكوا به وقالوا له: (لعل الضعيف يكون له إقطاع) فإن عرفهم به تركوه وإن لم يعرفهم لا يخلصه من أيديهم إلا أحد العيان ثم بدا لهم أخذ إقطاعات الجنود الكبار السن فإن كان صحيحا يرتجون مرضه وإن كان ضعيفا ينتظرون موته، ولهذا السبب خرج غالب إقطاعات الناس (الحي والميت) حتى فعلوا ذلك ببعضهم وصار السلطان في شغل شاغل بهم لأن المماليك كانوا يزدحمون عليه لأخذ إقطاعات الناس ثم يأتي الناس للسلطان يشكون إخراجها فلا يسع السلطان إلا ردها فصار الإقطاع يخرج اليوم ثم يرد غدا[2]

وقد شاع في عصر السلطان أينال الخوف الشديد من المماليك، حتى كان مجرد سماع أن المماليك قادمون لنهب البيوت أو المتاجر، فإن الرعب يدب في النفوس ولا يمنعهم أحد خصوصا أنهم يعرفون أن السلطان يتساهل معهم، فعندما حمل بعض الناس في جمادي الأول

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص136–138.

(2) ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص141–143.

سنة 864هـ / مارس 1460م جنازة امرأة إلى المقابر، جاء أحد المماليك وخطف من فوق نعشها طرحة مزركشة، وساق فرسه هاربا[1] مستهترا بالأحياء والأموات ضاربا بالأعراف والتقاليد عرض الحائط، ولم لا؟ وقد جُلب الكثيرين منهم كبارا في السن، ولم يأخذوا حظهم من التربية الكاملة، فعاثوا في الأرض فسادا وخرابا [2].

وكان بعض هؤلاء المماليك ثملا وتصادف مروره جنازة ميت أمامه فطلب منه المسؤول عن هذه الجنازة التوقف بعض الوقت حتى تمر الجنازة، ولكن المملوك غضب لذلك، وأراد ضرب المسئول عن هذه الجنازة، فما وسعه إلا الهروب، فصب المملوك غضبه على الميت وضربه على رأسه والناس تشاهده، وهم لا يستطيعون صدا ولا ردا، ويعلق ابن تغرى بردى على ذلك بقوله "وفيما حكيناه كفاية على فعل هؤلاء الظلمة – ألا لعنة الله على الظالمين"[3]

وخرج الأمير أزبك سنة 873هـ / 1468م في عهد قايتباي لقمع عربان البحيرة المفسدين، وأخذ السلطان قايتباي في تجهيز الجيش للقتال ببلاد الشام، وبدأ الطاعون بالقاهرة ثم أخذ يتزايد في الأطفال والمماليك والجواري والعبيد ومات فيه أحمد بن سلطان وابنته ست الجراكسة وكثيرا من الأمراء والمماليك واستمر الطاعون عمالا والتجريدة خارجة والعسكر في غاية الضيق لانشغالهم على أولادهم وعيالهم ومات العسكر في أثناء الطريق عدد كبير بعد خروجهم من الريدانية، وصاحب الطاعون الغلاء الشديد ومن المؤسف أن يستمر هذا الغلاء لعدم وجود من يدفع أسبابه عن الناس، فأين كان السلطان؟، وللأسف كان السلطان مسافر لأخذ التقادم والأموال من الولاة والفلاحين[4].

ويعلق الصيرفي على حوادث سنة 873هـ/1468م بأنها كانت سنة شديدة على الناس وانقضت والناس في جهد جهيد وبلاء عظيم فيقول: "لم أشاهد في عمري مثل هذه السنة في شدتها"[5].

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص143.

(2) المقريزي، الخطط، ج2، ص214.

(3) ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص143.

(4) ابن إياس، بدائع، ج3، ص23–33.

(5) الصيرفي، إنباء الهصر، ص114.

وتزايد شر المماليك في عهد محمد بن قايتباي وتطاولوا على الناس بخطف القماش من الدكاكين والبضائع من الأسواق، وصاروا يستخفون بالسلطان – الذي كان يمشي ليلا فإذا رأى رجلا قطع أذنه وأنفه، وبعضهم يضربه بالعصى وبعضهم يقطعه بالسيف نصفين فقتل الكثير من المماليك والأمراء – حتى أن بعض المماليك كان راكبا على فرس حرون، فصادف جنازة في وجهه فخاف منها فرس ذلك المملوك، فسقط على الأرض فقام المملوك غاضبا ورفع الدبوس على الحمالين الذين يحملون الميت، فلما رأوا ذلك هربوا وألقوا بالميت على الأرض فأخذ المملوك الدبوس وأخذ يضرب به الميت لينتقم منه لأنه سبب وقوعه وللأسف لم يمنعه أحد، وظل الميت ملقي على الأرض طوال النهار ولم يدفن إلا في الليل خوفا من أن يأتي المملوك بإخوته للانتقام، والسلطان في لعبه وطيشه، فمن سيردع المماليك [1].

ولعل أول حوادث المماليك في نهب البضائع والاعتداء على النساء في العصر الجركسى بدأت منذ عهد برقوق، فقد انتهزوا فرصة اختفاء السلطان برقوق في 12 جماد الآخر سنة 791هـ/ 10 يونيه 1389م بعد هزيمة جيشه وانعدام الأمن وأخذوا ينهبون البضائع والأموال، فقد اجتمعوا مع التركمان وهاجموا النساء في بيوتهن، بل إنهم اختطفوا بعضهن من الطرقات كما هاجموا الحمامات وأخذوا منها النساء، وتجرأ جماعة منهم وأخذوا بعض النساء الفضليات كن مارات بالقرب من باب النصر على مرأى من الناس ولكن لا مجيب لاستغاثتهن من العامة[2].

واستمر عقد زفاف الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير ألطنبغا القرمشي الأمير آخور على ابنة السلطان الناصر فرج بن برقوق في 18 من ربيع أول سنة 818هـ / 29 مايو 1415م لمدة أربعة أيام حتى 22 من ربيع أول، ورغم عظمة الاحتفال فإن المماليك أخذوا يفعلون أفعالهم الخبيثة من: نهب للملابس وخطف لعمائم الرجال، والتعرض للنساء حتى فعل مثلهم بهم بعض من العامة مما نغص على الناس عيشهم وضيع فرحهم، فلم تتم الفرحة. [3]

---

(1) ابن إياس، بدائع، ج3، ص388

(2) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، م9، ص102.

(3) المقريزي، السلوك، ج4، ص311.

ونتيجة لضعف الدولة في عهد برسباي كثر فساد المماليك في رمضان 832هـ / يونيه 1429م فمرة يخطفون العمائم ويقطعون الطرقات، وتارة ينهبون الأموال، ومرة أخرى يعيثون في الأسواق فسادا، حتى بلغ بهم الأمر بالتطاول على الحريم، ولم نسمع عن أي رد فعل للدولة، وإنما كان رد الفعل من جانب العبيد الذين تجمعوا وقاتلوهم، وصار هناك فريقان يتقاتلان فريق المماليك وفريق العبيد والدولة لم تتدخل لعدة أمور منها:

1. الخوف من قوة المماليك وبطشهم.
2. عدم الدخول في معارك مع المماليك فيتركوا نهب العامة والأسواق وينقلبوا ضدها ويقاتلوا الأمراء والسلطان.
3. ومنها ترك غيرها – وهم العبيد – يقاتل المماليك وينتقم منهم نيابة عنها [1].

ولما اشتد البلاء من المماليك وعظم خطرهم وكثرت الشكوى من ضررهم حدث أمر عجيب من السلطان برسباي في شوال سنة 832هـ / يوليو 1429م حيث منع الناس من عمل الأعراس والولائم، وهدد من فعل ذلك، خوفاً من قيام المماليك بالهجوم على النساء وهن مجتمعات بالأفراح فيحدث مالا تحمد عقباه[2].

ومن الحوادث العجيبة التي تبين لنا فزع الناس وخوفهم الشديد من المماليك في عهد أينال ما يرويه لنا ابن تغري بردي في حوادث سنة 860هـ / 1455م أن بعض المصريين كانوا يحتفلون بحمل جهاز عروس إلى بيت زوجها، وفي أثناء سير الحمالين بالمتاع وقع من على رأس بعضهم قطعة من نحاس فخاف من ذلك فرس أحد المماليك المارين بالشارع، فغضب الجندي من فرسه وضربه، ثم ساقه، فلم تشك الناس أنه ذهب مستنجدا بأخوته وأن المماليك قد أعلنوا العصيان ونزلوا لنهب حوانيت القاهرة وشوارعها، فأغلقت القاهرة في الحال واضطربت الناس وتعطلت الأسواق والأعمال، وحدث للناس خوف عظيم دون سبب واضح ولكنها مجرد إشاعة سرت بين الناس بعصيان المماليك فانتشر الخوف والرعب في القلوب [3].

---

(1) المقريزي، السلوك، ج4، ص804.

(2) المقريزي، السلوك،ج4، ص805 ؛ ابن إياس، بدائع، ج2، ص125.

(3) ابن تغري بردي، النجوم ج16، ص96؛ حوادث الدهور، ج1، ص510، وذكر أن العروس كانت بنت المرحوم ناصر الدين محمد بن الثلاج الأمير آخور، وكانت تزف للأمير جانبك قرا الأشرفي.

وفي شهر رجب سنة 892هـ / يوليو 1487م كان دخول الأمير قانصوه خمسمائة على ابنة الأمير أزبك، فحمل الجهاز في احتفال كبير من الأزبكية إلى دار قانصوه خمسمائة التي بقناطر السباع، فلما شق القاهرة كان له يوم مشهود فكان يحمله أكثر من أربعمائة حمال فدهش الناس لرؤيته، ولكن حدث تلك الليلة من المماليك أمر في غاية الشناعة للمشاركين في هذا الفرح، وقاموا بعدة أعمال تدل على استخفافهم بالدولة وانتهاكهم للحرمات تمثلت في الآتي:

1. قيام بعض المماليك بخطف العمائم.
2. وقام البعض الآخر بقذف الحجارة على بعض من الأمراء المقدمين وضربهم.
3. كما توجه البعض الآخر لخطف الشمع المحمول من أيدي المماليك.
4. وما حدث تلك الليلة خير بسبب المماليك الذين قلبوا الفرح مأتما حتى (كادت تكون فتنة عظيمة)[1] لأن المماليك اشتدوا في نهب الناس ثم تقاتلوا، وتحول الفرح لساحة قتال بين المماليك الذين لم يجدوا من يعاقبهم أو يردعهم فاستفحل خطرهم.

وكانت عادة المماليك في عهد الغوري خطف البضائع ونهب الأموال ولكن حدث أن قام ثلاثة من المماليك في ربيع الآخر 916هـ / يوليو 1510م بخطف جماعة من النساء كن في طريقهن إلى أحد الأفراح، وبمجرد أن علم الوالي ركب من وقته وهجم على المماليك وأحضرهم بين يدي السلطان الذي ضربهم وسجنهم وأمر بأخذ رواتبهم وإعطائها لهؤلاء النسوة جزاء ما تعرضن له من خوف وقلق، ولولا تدخل الوالي والقبض على هؤلاء المماليك وإعادة النساء لاشتعلت القاهرة ونشب القتال بين العامة بكل طوائفها وبين القوات المملوكية مما كان ينذر بخطر عظيم يهدد الدولة، فانتهي الأمر بموقف السلطان بإرضاء الأهالي [2].

ومما سبق يتضح أن المماليك استغلوا الطاعون والأمراض وانطلقوا لنهب بضائع الناس، ثم توجهوا لأخذ إقطاعات غيرهم من المماليك، وليس هذا فحسب بل استخفوا بحرمة الأموات، كما هاجموا النساء في بيوتهن، واختطفوا بعضهن من الطرقات، أما رد فعل برسباي فكان سلبيا عندما (أمر بمنع أعمال الأعراس).

ولم تتحرك الدولة تجاه المماليك خوفاً من قوة المماليك وبطشهم، عدم الدخول في معارك مع المماليك فيتركوا نهب العامة والأسواق ويقاتلوا الأمراء والسلطان.

وكان أول رد فعل إيجابي من السلطان الغوري الذي أمر بضرب المماليك وسجنهم وأخذ رواتبهم وإعطائها للنسوة اللائي خطفن جزاء ما تعرضن له من خوف وهو أمر مشكور للغوري.

---

(1) ابن إياس، بدائع، ج3، ص242.

(2) ابن إياس، بدائع، ج4، ص189.

## المبحث الرابع: الآثار العلمية:

ترتب على تمرد المماليك آثارا علمية منها الاستيلاء على خيول العلماء وبغالهم ونهب أموالهم[1]، وتفتيش مدارسهم وبيوتهم، بل وهدم هذه المدارس أو استخدامها في أثناء القتال.

لقد كان العلماء يتمتعون بمكانة متميزة في المجتمع المملوكي فكانوا يركبون الخيول والبغال ولا يعترضهم أحد، ولكن عندما تمرد منطاش على برقوق نودي على العلماء والكتاب في25ذي القعدة سنة 791هـ / 17 نوفمبر 1389م بعدم ركوب الخيل وذلك لحاجة منطاش للخيول لتجهيز الخيل لقتال برقوق بالشام، وأنه يجب على الكتاب وأرباب الوظائف السلطانية ركوب البغال فقط، كما أخذت خيول الطواحين وبغال الحمالين وحميرهم من أجل الجيش[2].

وفي 19 ذي الحجة سنة 791هـ / 9 ديسمبر 1389م خرج بعض الأمراء وجماعة من المماليك إلى سوق الخيل بالرميلة تحت قلعة الجبل وأنزلوا الناس عن خيولهم متعمما كان أو غيره من الفقهاء وأخذوا الخيول بجملتها من أربابها وساروا بها إلى القلعة [3].

وقد تكرر استيلاء المماليك على الخيول مرة أخرى في المحرم عام 792هـ / ديسمبر 1389م، عندما قام المماليك بأخذ جميع الخيول التي كانت مرتبطة على البرسيم للربيع كلها حتى أخذوا خيول العربان وذلك لتجهيز الجيش لقتال برقوق[4].

ولقد استخدم الأمير أيتمش ومن معه سنة 802هـ / 1399م مدرسة الأشرف شعبان للرمي على باب القلعة، كما قامت قواته بالصعود على مدرسة السلطان حسن للرمي أيضا على أهل القلعة[5] ولما هزم قام الأمراء والمماليك بنهب بيوت المنهزمين، فنهبوا جميع ما كان فيها حتى نهبوا مدرسة أيتمش[6] وأخذوا جميع ما كان فيها من الكتب والبسط والفرش حتى حفروا قبر ولده الذي كان بها وأحرقوا البيوت المجاورة لها فأحرقوا الربع المجاور لها خارج باب

---

(1) عاشور، المجتمع المصري، ص29.

(2) المقريزي، السلوك، ج3، ص672؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج11، ص360.

(3) ابن الفرات، م9، ص166؛ المقريزي، السلوك، ج3، ص679.

(4) المقريزي، السلوك، ج3،ص 690، ص727؛ ابن إياس، بدائع، ج1، ص441.

(5) المقريزي، السلوك، ج4، ص986.

(6) هي مدرسة الأمير أيتمش البجاسي أنشأها سنة 785هـ وجعل بها درسا للحنفية، وبنى بجانبها فندقا كبيرا، ومن ورائها حوض ماء للسبيل، المقريزي، الخطط، ج2، ص400.

الوزير، كما نهبوا جامع آقنسقر[1] المجاور لدار أيتمش، ولم يراعوا قدسية المسجد واستهانوا بحرمة المصاحف، بل وتعدوا كل الخطوط الحمراء بنهبهم مدرسة السلطان حسن، وأخذوا أشياءً كثيرة من المنهزمين حتى يحدثنا المؤرخ ابن تغري بردي أنهم نهبوا بيت والده–لأن والده كان مع أيتمش– من الخيل والقماش والسلاح ما يزيد على عشرين ألف دينار، ولم يكتفوا بذلك بل إنهم فتحوا السجون فكسروا حبس الديلم وحبس الرحبة وأخرجوا من كان بها من أرباب الجرائم، وصارت القاهرة في ذلك اليوم غوغاء (فمن غلب على شيء امتلكه)، بالإضافة إلى القتلى من الجانبين[2].

وفي 24 شوال سنة 802هـ / 20 يونيو 1400م والناس في انتظار الصلاة بالجوامع ارتجت القاهرة وظواهرها، وقيل أن الأمراء قد عصوا وركبوا مع المماليك للقتال فأغلقت الجوامع واختصر الخطباء الخطبة ونزلوا عن المنابر وأوجزوا في الصلاة، وفي بعض الجوامع لم يصعد الخطيب، وفي بعضها لم تصل الجمعة، وخرج الناس مذعورين خوفا من النهب وفيهم من سقط منه منديله أو دراهمه ولم ينتبه لذلك، كما أغلقت الأسواق، واختطف الناس الخبز.

ويتضح بعد ذلك أن الأمر كله إشاعة خطيرة وحقيقتها أن مملوكين تخاصما تحت القلعة وكان هناك حمارا مربوط في تخت من خشب فنفر من ذلك وسحب التخت فخافت الخيول التي تنتظر أربابها الذين ذهبوا لصلاة الجمعة بالقرب من جامع شيخو بالصليبية فلما رأى الناس الخيول ظنوا لما في نفوسهم من خوف الاختلاف بين الأمراء (سودون طاز والأمير يشبك) وأنهم على عزم الركوب للحرب وأن الواقعة قامت بينهما، فطار هذا الخبر إلى بولاق وظواهر القاهرة ثم إلى مصر، وفي بقية النهار قبض والي القاهرة على جماعة من أراذل العامة وضربهم وطافوا بهم وهم ينادون عليهم "هذا جزاء من يكثر فضوله ويتكلم فيما لا يعنيه" ثم نودي من الغد بالأمان وأن من تحدث فيما لا يعنيه عوقب عقابا شديدا فسكن الناس[3].

وبسبب الخوف من المماليك نودي في آخر شعبان سنة 811هـ / يناير 1409م في القاهرة أن لا يركب أحد من القضاة والفقهاء والكتاب والتجار فرسا ولا بغلا إلا الحمير إلا أن يكون في خدمة السلطان أو الأمراء الكبار فامتنع الجميع من الركوب، ثم أذن لطوائف بالركوب

---

(1) جامع آقنسقر المتوفي سنة 740هـ، وهو أحد أمراء الناصر محمد بن قلاون، المقريزي، الخطط، ج2، ص309.

(2) المقريزي، السلوك، ج3، ص988؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص189؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج2، ص40.

(3) المقريزي، السلوك، ج3، ص1018؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج12، ص215؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج2، ص59؛ ابن إياس، بدائع، ج1، ص587.

بمراسيم سلطانية فكان الرجل يركب ومعه مرسومه خشيه من تعرض المماليك له[1] إذن ما يكون هذا الركوب المقيد بورقة ومرسوم يسير به صاحبه أينما خرج؟؟ وماذا سيكون مصير من نسى الورقة أو ضاعت منه؟؟ هل سيتركه المماليك؟؟ أم سيأخذون الفرس والمال من راكبه؟؟ بل قد يتعدى الأمر إلى سلب ملابسه وضربه والاعتداء عليه ثم إلقائه في الطريق، وهكذا كان المماليك يعيثون في الأرض فسادا فينهبون ويسرقون ويدمرون طالما لم يردعهم السلطان.

ومن الغريب جداً أن يأمر السلطان فرج في جماد الأولى سنة 814هـ / أغسطس 1411م بهدم مدرسة الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون التي تقع تجاه القلعة، وذلك لأن الامراء المتمردين كانوا يستخدمونها لمهاجمة القلعة، وعنها يقول المقريزي: أنها كانت من أعظم بناء رأيناه، وبعد هدمها أخذت أحجارها ليبني بها بعض الأماكن في القلعة، كما أمرت بهدم البيوت الملاصقة للقلعة فهدمت وصارت خرابا موحشة وتشتت سكانها وتمزقوا وألسنتهم تضج بالدعاء عليه[2].

ومن الحوادث الشنيعة قيام الأمير سودون القاضي الحاجب بمهاجمة الجامع الأزهر في ليلة 21 جمادي الآخرة سن 818هـ / 11 أكتوبر 1411م بعد الفراغ من صلاة العشاء ومعه كثير من مماليكه وأعوانه ونهبوا شيئا كثيرا من ثياب الناس وفرشهم، ومنع الناس من المبيت به، وكان قد تحرك بناء على وشاية مفادها بأن كثيرا ممن ينام تصدر منه أفعال منكرة، فكان في إزالته ما ظنه منكرا هو المنكر بعينه.

ويوضح لنا المقريزي أنه أناب عنه محمد الماحوزي فجرت في مباشرة الماحوزي ما لم يعهد بمثله من الظلم، فإن هذا الجامع لم يزل منذ بنى يجاور به طوائف من الناس ما بين عجم ومغاربة وزيالع ومن أهل الريف من طلبة العلم ولكل طائفة رواق يختص بهم، فلا يبرح عامرا بتلاوة القرآن ودراسته وتعليمه والاشتغال بأنواع العلوم من الفقه والنحو وسماع الحديث وعقد مجالس الوعظ، فيجد الإنسان إذا دخل إليه من الأنس بالله والارتياح ما لم يجده قبل أن يصير فيه.

وصار أرباب الأموال يقصدون هذا الجامع بأنواع البر من الذهب والفضة وأنواع الأطعمة والخبز والحلاوات لا سيما في المواسم، وبلغ عدد مجاوريه إلى سبعمائة وخمسين ألف رجلا، فأمر الماحوزي بإخراج المجاورين من الجامع ومنعهم من الإقامة به، وأخرج ما كان لهم به من صناديق ومتاع ظنا منه أن هذا مما يثاب عليه من الله وما كان إلا من أعظم الذنوب وأكثرها ضررا، لما نزل بأهل الجامع من البلاء فقد تفرق العلماء والفقراء، وعز عليهم وجود ما كان يأويهم وفقد من الجامع ما كان يوجد فيه من كثرة تلاوة القرآن، ودراسة العلم وذكر الله،

---

(1) المقريزي، السلوك، ج4، ص81؛ ابن إياس، بدائع، ج1، ص792.

(2) المقريزي، السلوك، ج4، ص183؛ ابن إياس، بدائع، ج1، ص813.

ولم يقنع حتى أغرى الأمير سودون بالذين يبيتون فيه ما بين تاجر وفقيه وجندي وغيرهم، فمنهم من يقصد بمبيته البركة، ومن الناس من لم يجد مكانا يأويه، وفيه من يستروح بالمبيت فيه خصوصا زمن الصيف وأيام المواسم عندما يمتلئ صحنه فأخرجهم وضربهم ونهب عمائمهم وفرشهم وأموالهم، أما المعروف الوحيد أنه صنع للمنبر ثوبا أسودا وأمر بتجديد علمين بمبلغ خمسة عشر ألف درهم[1].

وعندما اشتد القتال سنة 842هـ / 1438م بين السلطان جقمق من جهة والأمير قرقماس من جهة أخرى قام أتباع قرقماس بمحاولة احتلال مدرسة السلطان حسـن المواجهة للقلعة للرمي منها على القلعة، فلم يستطيعوا احتلالها أو فتح بابها، فأحرقوه ودخلوا المدرسة ونهبوا بعض أماكن الطلبة الساكنين بها وصعدوا أعلاها لاستخدامها في القتال، وبعد انتهاء القتال اجتمع القضاة بجامع القلعة وحكموا بهدم سلالم مدرسة السلطان حسن، وهدم سلالم سطحها وألزم المسئول عنها في مجلس الحكم بهدمها، ويعلق المقريزي متعجبا: وهذا حكم لم نعهد مثله من القضاة، أما ابن إياس فيقرر: أن الأدلة قامت على ضررها الشديد على القلعة فهدمت، وكان هذا الحكم من النوادر[2].

وبمجرد أن علم السلطان جقمق بخبر اختفاء السلطان العزيز يوسف 10 شوال سنة 824هـ/ 27 مارس 1439م حتى اضطربت أحواله وغضب غضبا شديدا ونزل بأهل القاهرة خوفا شديدا وبلاء عظيم فقد قامت قوات السلطان جقمق بمهاجمة الحارات والدور وتفتيشها بحثا عن العزيز يوسف، وكان أمرا مهولا حتى هاجموا بعض المدارس وكسروا أبوابها ونهبوا ما فيها من بسط وسجاجيد بل أنهم نهبوا قبرا كان بها فلم يجدوا به أحدا، كما منعت المراكب من التعدية في النيل بكثير من الناس المتهمة بالخروج على السلطان هذا مع عظيم التفتيش على العزيز والكبس على البيوت والبساتين والترب وأغلقت بعض أبواب القاهرة نهارا وأخذ أهل الدولة في الاستعداد للحرب، بالإضافة لعصيان نائب الشام فأصبح السلطان في أشد ما يكون من الخوف والقلق وتكلم الناس بزوال الدولة[3].

وعندما تمرد المماليك على الأمير تنم في 11جمادي الأولى سنة 854هـ / 23 يونيه 1450م وأمر السلطان بحبسهم أعلن إخوانهم العصيان وهاجموا كبار رجال الدولة حتى هم

---

(1) المقريزي، السلوك، ج4، ص320.

(2) المقريزي، السلوك، ج4، ص1093؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج15، ص271؛ ابن إياس، بدائع، ج2، ص203.

(3) المقريزي، السلوك، ج4، ص1127؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج15، ص309.

السلطان بخلع نفسه من السلطنة أو أن يعودوا، ثم أنه جهز مماليكه للقتال فرجعوا عن تمردهم، ولكن من غريب ما اتفق في أثناء هذا التمرد أن المماليك منعوا كل المتعممين أي العلماء من ركوب الخيل وركب العلماء وأعيان الدولة الحمير، وأخذ المماليك يقفون في الشوارع والطرقات ومن وجدوه على فرس أوقعوا به [(1)].

ومن الجدير بالذكر أن المماليك عندما هاجموا أبي الخير النحاس في 2من جمادي الآخرة سنة 854هـ / 14 يوليو 1450م منعوا الفقهاء والمتعممون من ركوب الخيل وخاصة بعد أن نهبوا بيته والبيوت من حوله، فترك العلماء ركوب الخيل ولم يتجرأ أحدهم أن يعلوا على ظهر فرس، واستعاضوا عن ذلك بشراء البغال وركوبها، حتى تزايد سعر البغال إلى أمثال ما كانت عليه بسبب شدة الطلب عليها من الفقهاء والمتعممين ومنع المماليك لهم من ركوبها[(2)].

هذا وقد رفع المماليك راية العصيان في جمادي الأول سنة 859هـ / أبريل 1455م، وتعدى الأمر إلى نهب قمح الأمراء وشعيرهم ثم تزايد شرهم فأنزلوا العلماء عن خيولهم وبغالهم، واستولوا عليها وهم لا يستطيعون دفعهم، كما لم يقم السلطان بمنعهم، بل ونهبوا بيوتا كثيرة، وخلاوى المدرسة الفخرية (التي أنشأها فخر الدين بن أبي فرج) بسبب مجاورتها لبيت الاستادار [(3)].

ثم قام المماليك في 19 ربيع آخر عام 860هـ / 27 فبراير 1456م بأخذ خيول الفقهاء وضربوا منهم جماعة كما استولوا على خيول القضاة والأعيان بسوق الخيل وغيره ونهبوا بعض الحوانيت، كما قاموا بخطف العمائم وتعرضوا للنساء والشباب، بل إنهم أدعوا أن السلطان أمرهم بهذا مع أنه لم يأمرهم، وحاولوا إرسال منادي ينادي بذلك ولكن منعهم المسئول عن خيل السلطان[(4)].

وكرد فعل طبعى من الحكام ضد أفعال المماليك الذين قاموا في 6ذي القعدة سنة 860هـ / 7 أكتوبر 1456م بخطف العمائم وأخذ خيول الفقهاء عنوة واشتكى الناس، وذهب القضاة

---

(1) ابن تغري بردي، حوداث الدهور، ج1، ص213-216؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج15، ص423؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص315.

(2) ابن تغري بردي، النجوم، ج15، ص418.

(3) السخاوي، الذيل التام، ج2، ص110؛ ابن إياس، بدائع، ج2، ص324.

(4) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج1، ص416؛ السخاوي، الذيل التام، ج2، ص110، وذكر هذه الحادثة في شهر المحرم.

الحنفية إلى السلطان، قام السلطان بضرب جماعة منهم ونفي جماعة فامتنع المماليك عن أفعالهم الخسيسة بشأن التعدى والتطاول على هيبة العلماء[1].

وتعرض بعض المماليك للقاضي محب الدين بن الشحنة كاتب السر في 17 رجب سنة 863هـ / 21 مايو 1459م وهو في طريقه إلى القلعة وضربه من غير أمر يوجب ضربه أو الكلام معه[2] ولم يعلق ابن تغري بردي على ذلك فلم يقم السلطان بالبحث في الأمر أو يعاقب الفاعل، ولعله كان ناقما عليه، أو لا يستطيع التصدي للمماليك فتغافل عن الأمر.

ولما كانت المدارس من الأهمية بمكان عند الأمراء المتمردين فقد قام الأمير يشبك الفقيه في 5 جمادي الأولى سنة 872هـ / 2 ديسمبر 1468م بجمع الكثير من المماليك ثم توجه إلى المدرسة الجاولية التي بجوار بيته فجلس بها ووضع عليها مكحله وحفر أربعة خنادق كما حفر خندقا عند مدرسة لاجين وأخر عند المدرسة الصرغتمشية وواحد عند جامع ابن طولون، فعند ذلك كثر الهرج والاضطراب وحملت فرق المماليك السلاح من المعارضين لحكمه، بأن ينزل السلطان ليشبك عند المدرسة الجاولية ومعه العلم السلطاني ليأتي إليه مؤيدوه بعد أن يجتمع يشبك له المماليك فيقضي السلطان على أعدائه، ولكنه لم ينزل من القلعة فاشتبك يشبك وحده مع القوات المملوكية التي تحالفت على خلع السلطان يلباي.

وبالفعل هزم يشبك في 7 جمادي أول سنة 872هـ / 4 ديسمبر 1468م وانسحب ومن معه، فصعد جماعة من المماليك القلعة وقبضوا على يلباي الذي لم يتحرك ولم يستغل يشبك ومن معه من قوات متمركز عند المدارس السابقة وعينوا تمر بغا قائد الجيش سلطانا[3] وتفشل حركة تمرد يشبك الفقيه وأتباعه من جهة، والسلطان يلباي من جهة أخرى.

وكان من أكبر أسباب تمرد المماليك عدم دفع مرتباتهم، ولهذا قام الوزير قاسم شغيته في ربيع أول سنة 873هـ / سبتمبر 1468م بقطع مرتبات اللحوم الخاصة بالعلماء من خزانة الدولة لتوفير نفقات المماليك، بل إنه أمر العلماء برد ما أخذوه قبل ذلك فاختفى بعضهم مثل حمزة بن البشيري الذي استمر مختفيا حتى مات، ويعلق ابن إياس مستنكرا: (ولقد حدث للعلماء غاية الضرر والأذى في هذه الحركة)، وإذا كان السلطان قد أمر بذلك فإن الذي حسن له الأمر وزينه فهو الوزير[4].

---

(1) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج1، ص517؛ السخاوي، الذيل التام، ج2، ص110.

(2) ابن تغري بردي، النجوم، ج16، ص130.

(3) ابن إياس، بدائع الزهور، ج2، ص464.

(4) ابن إياس، بدائع، ج3، ص22.

وقد سنحت الفرصة للأمير قانصوه خمسمائة للقفز على كرسي السلطنة في 25 ذي القعدة سنة 901هـ / 27 يونية 1496م عندما اختفى منافسه أقبردي الدودار فقام قانصوه بتعيين الناصر محمد (901 – 904هـ / 1495– 1498م) بعد وفاة والده وتولى قانصوه منصب قيادة الجيش، كما أخذ يتتبع أنصار أقبردي بالسجن والنفي[1] ثم هجم على القلعة في 28 جماد أول سنة 902هـ/ 3 فبراير 1497م ودخلها وكاد أن يتملكها بقواته، وأرسل للخليفة والقضاة الأربعة وكتبوا محضرا بخلع الناصر محمد وتولية قانصوه[2].

ظن قانصوه أنه السلطان، لوجود الجيش والخليفة والقضاة معه، ولكن كانت المفاجأة أن مماليك قايتباي تعصبوا لأبنه محمد، وقاتلوا قانصوه قتال الموت حتى هزموه، ثم انضم بعض الأمراء للسلطان، فصمد أهل القلعة وأخذوا يرمون على قانصوه ومن معه حتى أصابه سهم في وجهه فسقط عن فرسه وأغمى عليه فلم يجدوا مكان آمنا يذهبون به إليه لإسعافه وهو بين الحياة والموت سوى المدرسة الجاولية فحملوه على الأكتاف بعيدا عن ميدان القتال أمام القلعة وظل بها حتى أفاق وعاد إليه الوعي، ثم أركبوه حمارا واختفي في أول جمادي الآخرة سن 902هـ / 6 فبراير 1497م فاجتمع الخليفة والقضاة وأعادوا الناصر بعد أن خلع لمدة ثلاثة أيام[3].

وبعد قيام الصراع بين الأمراء وهزيمة أقبردي الدوادار أخذ أعدائه في البحث عنه في كل مكان من المتوقع أن يختفي فيه حتى أنهم أرسلوا والي الشرطة في ذي الحجة سنة 902هـ / يوليو 1496م ليلحق ركب الحجيج عند الخانكاة وقام بتفتيشه ثم أخذ يفتش البيوت والمساجد والزوايا فلم يظفروا به بعد أن روعوا الآمنين وحدث منهم الضرر الشامل في تلك الأماكن المقدسة[4].

ومن الطبيعي أن يستغل المتمردين على السلاطين موقع مدرسة السلطان حسن المواجهة للقلعة للرمي منها على أهل القلعة، فلما حاصر أقبردي القلعة وصعد أتباعه على سطح مدرسة حسن أمر السلطان محمد بالزحف في 26 ذي الحجة سنة 902هـ / 26 أغسطس 1497م على قوات أقبردي بمدرسة حسن، ولم تكتف بمهاجمة المدرسة بل قامت بحرق بابها وقاتلوا قوات أقبردي المتحصنة بها وقتلوا جماعة من الأمراء والمماليك ونهبوا بسط المدرسة وفرشها وأخذوا

---

(1) ابن الشحنة، عفيف الدين حسين بن محمد بن الشحنة، البدر الزاهر في نصرة الملك الناصر، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، ط بيروت سنة 1983، ص44–45؛ ابن إياس، بدائع، ج3، ص341–342.

(2) ذكر ابن الشحنة، البدر الزاهر، ص71 أن الخليفة رفض بيعته حتى جاءوا بمن كذب وادعى أن الناصر عاجز عن الحكم، ابن طولون، مفاكهة الخلان، ق1، ص172.

(3) ابن الشحنة، البدر الزاهر، ص 75 – 79؛ ابن إياس، بدائع، ج3، ص 342 – 345.

(4) ابن إياس، بدائع، ج3، ص336.

القناديل المعلقة بها، بل أنهم قلعوا النحاس الذي بها والأبواب ورخامها وشبابيك القبة، فتلاشى أمر المدرسة من هذه الحركة كما نهبوا البيوت المجاورة لها فنهبوا من بيت الأمير تمراز ما يزيد على مائة ألف دينار، وقتل من الأمراء أكثر من خمسين أميرا[1].

وعندما بدأت البغضاء تدب بين السلطان قانصوه والأمير طومنباي الدوادار الذي رفض الصعود للقلعة بعد عودته من السفر في 25 ذي القعدة سنة 905هـ / 17 يونيو 1501م خوفا من السلطان – الذي بدأ بالقبض على الأمراء وأخذ في تحصين القلعة والاستعداد للحصار والقتال.

بدأ القتال بين طومان ومعه الأمراء من جهة والسلطان ومن معه بالقلعة من جهة أخرى، واستبسل أهل القلعة ومعهم السلطان في القتال لعدة أيام حتى استطاع طومان باي امتلاك مدرسة السلطان حسن المواجهة للقلعة وركب عليها المدافع وأخذ يرمي على القلعة، والعجيب أنه بعد يوم واحد من صعوده مدرسة السلطان حسن استطاع هزيمة السلطان قانصوه الذي اختفي فتم تعيين جان بلاط سلطانا[2].

وعندما علم السلطان جانبلاط في جماد أول سنة 906هـ / نوفمبر 1500م بعصيان الأمير طومان باي قام بتحصين القلعة وبناء برج عند بابها ثم أمر بهدم مدرسة السلطان حسن خوفا من استغلال طومان باي لها فقاموا بهدم جزء من وراء ظهر محراب القبة وظلوا يهدمون فيها لمدة ثلاثة أيام ولم يتمكنوا من هدمها فكلم بعض الأمراء السلطان في ترك هدمها فرجع وتركها. كما أمر السلطان بقطع سلالم مدرسة حسن وبعض الأماكن القريبة من القلعة، ولما جاءت قوات طومان باي وحاصر القلعة وأحضر بعض الأخشاب وصنع سلالم صعد عليها لمدرسة السلطان حسن فملكها ثم وضع المدافع فأخذ الرماة في الرمي على أهل القلعة بالبندق والرصاص فقتلوا جماعة وجرحوا آخرون ففتر عزمهم عن القتال وظهرت الهزيمة على جان بلاط فأخذ الكثير من أتباعه ينزلون من القلعة إلى طومان باي فلما رأى جان بلاط ذلك ترك القتال واختفى بمكان مهجور فهاجمت القوات المتمركزة بمدرسة السلطان حسن باب القلعة ودخلوها وقبضوا على جان بلاط [3].

وبعد اختفاء السلطان العادل في شوال سنة 906هـ / إبريل 1501م قام والي القاهرة ومعه جماعة من المماليك بمهاجمة بيت القاضي برهان الدين الكركي للتفتيش عن العادل طومان باي فهل وجدوه؟؟ والإجابة بالنفي، ولم ينته الأمر عن ذلك فقد نهب المماليك بيت القاضي

---

(1) ابن إياس، بدائع، ج3، ص370.

(2) ابن إياس، بدائع، ج3، ص435.

(3) ابن إياس، بدائع، ج3، ص455–456.

وأخذوا منه علبة كان فيها مال الأوقاف الذي كان تحت يده، فماذا سيفعل الشيخ في هذا المال؟ بالطبع سيقوم بسداده من ماله الخاص أو يستدين ليعيده وإلا كان مبددا للأمانة التي تحملها.

وفي إطار استمرار البحث عن العادل هاجم المماليك في ذي القعدة سنة 906هـ / مايو 1501م بيت الأمير على بن المؤيد أحمد بن الأشرف أينال فلم يجدوا أحدا، كما هاجموا زاوية الشيخ أبو شامة التي بالناصرية وصاروا يهاجمون البيوت والأماكن حتى قبضوا عليه في 13 ذي القعدة 906 هـ /2يونيو 1501م[1] ولو قيل لهم أنه في الجامع الأزهر أو المسجد الحرام لدخلوه وقبضوا عليه ولو أدى الأمر للقتال لقاتلوه دون مراعاة لحرمة: بيوت الله – خير بقاع الأرض – وحرمة بيوت العلماء وما فيها.

وعندما أراد السلطان الغوري تجهيز نفقة المماليك في محرم 907هـ / يوليو 1501م فرض أجرة عشرة أشهر على أملاك القاهرة من بيوت وربوع وحوانيت وحمامات وغيطان حتى من وقف البيمارستان المنصوري وسائر الأوقاف، ضاق الناس وأغلقوا بعض الجوامع ومنعوا منها الخطبة (جامع الجنيد الذي هو داخل الدرب التي بالقرب من قناطر السباع وجامع آخر بباب اللوق وغير ذلك عدة جوامع)[2].

وفي يوم الخميس 26 شعبان سنة 921هـ / 6 أكتوبر 1515م أمر السلطان بخروج الجيش لقتال العثمانيين فنزل المماليك إلى بغال القضاة والعلماء وهجموا عليهم الحارات والبيوت، كما أنزلوا العلماء والقضاة من على خيولهم في وسط الأسواق بل إن بعضهم أخذ البغال والخيول منهم بالإكراه والضرب، حتى أخذوا بغلة الشيخ برهان الدين بن الكركي وهو يلقي الدرس في المدرسة الأشرفية وما ردوها إلا بعد أن دفع لهم مبلغا من المال، واستمروا في ذلك حتى ضج منهم جميع الناس وتزايد منهم الضرر الشامل[3]، وبالطبع لم يمنعهم السلطان الذي كان يحاول إرضائهم ليسافروا وإلا قاموا بالتمرد، وفي نفس الوقت لا يملك الخيول الكافية ليعطيها لهم فينتهوا عن أخذ خيول العلماء وبغالهم.

---

(1) ابن إياس، بدائع، ج3، ص6–7.

(2) ابن إياس، بدائع، ج4، ص16؛ البيومي إسماعيل، مصادرة الأملاك، ج2، الهيئة العامة للكتاب 1997، ص61.

(3) ابن إياس، بدائع، ج4، ص474.

# الخاتمة

وفى نهاية المطاف وبعد انتهاء الدراسة فيمكننا أن نعرض لما أسفرت عنه الدراسة من نتائج في النقاط التالية:

**أولا: أكدت الدراسة** على أنه كان يتم شراء المماليك من البلاد الأوربية المسيحية ويطلق عليهم الرقيق الأبيض من سلوفانيا وألبانيا والمغول وبلاد الجراكسة وإيطاليا وألمانيا، أما الرقيق السود فكانوا يجلبون من بلاد أفريقية وكانت أهم مدينتين تبيعان الرقيق الأسود في الحبشة هما "وشلو وهدية".

**ثانياً: أثبتت الدراسة** أن المماليك كانوا يعيشون في ثكنات عسكرية في قلعة الجبل أطلق عليها الطباق، ويتكون من أربع طبقات به العديد من الغرف لسكنى العبيد الصغار، وكانت طباق المماليك بساحة الإيوان بالقلعة، وأشتمل كل طابق على عدة مساكن تتسع لألف مملوك.

**ثالثاً: أماطت الدراسة اللثام** عن أن السبب في تسمية المماليك البحرية بهذا الاسم يرجع إلى اختيار الصالح نجم الدين أيوب جزيرة الروضة في بحر النيل سكناً لهم، أو لجلبهم عن طريق البحر صحبة تجار الرقيق. كما أن نشأة فرقة المماليك الجراكسة ترجع إلى المنصور قلاوون الذي أراد أن يعتمد عليها ضد منافسيه، وتكون سندا له ولأولاده، وذلك لرغبته في الاعتماد عليهم في توريث أسرته الحكم، لا سيما وأن المماليك التركمانية كانوا يتعصبون للأسرة البيبرسية.

**رابعا: أوضحت الدراسة** أن سقوط دولة المماليك يرجع إلى عدة عوامل منها: انقسامُهم على أنفسِهم، وكثرةُ شغبهم وتمردهم على سلاطينِهم، وبخاصَّةٍ المماليك الأجلاب، الذين كان السلاطينُ يشترونهم كبارًا، ولا يروضونهم على طاعتِهم منذ نعومة أظافرهم. فضلا عن الضربات الاقتصادية التي لحقتْ بالمماليكِ إثرَ حركةِ الكشوفِ البرتغالية، وتحول مسارِ التجارةِ بين أوروبا وبلدان الشَّرقِ إلى طريقِ رأس الرجاء الصَّالح، وحرمان المماليك من أعظمِ مواردِهم المالية. كما أنَّ الخيانة وبلا شكَّ في داخلِ صفوف المماليك ممثَّلةٌ في خاير بك وجان بردي الغزالي، واتصالهما بالسُّلطانِ العثماني وتحريضه على غزوِ مصر والشَّام، وكشف خططِ المماليك، كانت من أكبرِ عواملِ انكسار المماليك، وأخيراً كان الجيشُ العثماني أحدثَ تسليحًا، وأدقَّ نظامًا وأكثر طاعةً والتزامًا من المماليك.

**خامساً: كشفت الدراسة** عنأن – هدف – الوصول إلى السلطة كان حلما يراود الكثير من الأمراء، ولهذا بلغت حركات تمرد الأمراء ضد السلاطين 26 حركة عصيان، 10 حركات تمرد، نجحت منها 6 حركات وفشلت 10 حركات، في مقدمتها 6 حركات في عهد فرج بسبب توليه الحكم وهو ابن عشر سنين وطمع الأمراء في الحكم، وهذه الستة منها 4 حركات عصيان و 2 تمرد، نجحت منها محاولة الأمراء قتل فرج سنة 808هـ/1405م في جعل فرج يختفي ويترك الحكم، ويتساوى عهد قايتباي وابنه حركتان، ولكنهما فشلتا في عهد قايتباي، ويليه كلا من عهد الغوري 4 حركات فاشلة، وعهد برقوق 4 حركات أيضا لقيام الأمراء بالتخلص من برقوق الذي كان أميرا مثلهم، ومحاولة إعادة النظام السابق، كما فشل منها3 حركات ونجحت حركة سنة 791هـ/1388م في خلع برقوق وسجنه، وفي عهد شيخ 3 حركات، ولكل من

(برسباي، حقمق، خشقدم، تمربغا، جان بلاط) حركة واحدة نجحت في الإطاحة بالأخيرين وفشلت عند الثلاثة الأول.

**سادساً: أبرزت الدراسة** أن بعض حركات العصيان كانت لها آثار خطيرة فبعضها أطاح بالسلطان مثلما حدث من يلبغا الناصري الذي هزم برقوق وحبسه وأصبحت مقاليد الأمور بيده، فقام بتولية السلطان حاجي بن شعبان الذي سبق وخلعه برقوق، ورغم أن بعض حركات العصيان لم يكتب لها النجاح مثل محاولة قتل فرج سنة 812هـ/1409م فقد ترتب عليها زيادة الانقسام بين طوائف المماليك (الجراكسة والروم) وساهم فرج بسياسته في تعميق هذا الخلاف. كما كانت لهذه الحركات نتائج اقتصادية خطيرة منها إخفاء الناس لأمتعتهم وتوزيع قماشهم، وإغلاق الباعة دكاكينهم وغلق الأسواق، ومن ثم تتوقف أحوال الناس، كما كان يظهر أهل الفساد وينهبون بيوت المنهزمين ومتاعهم منتهزين فرصة الصراع على الحكم، وغياب الأمن بل إن بعضهم فتحوا السجون وأطلقوا اللصوص فانتشرت الجرائم والسرقات، وليس هذا فحسب بل إن بعضهم استولوا في حركة تمرد واحدة على أكثر من ألف فرس بخلاف البغال وغيرها.

**سابعاً: كشفت الدراسة** النقاب عن أن حركات تمرد المماليك ضد السلاطين بلغت 39 حركة منها 8 حركات عصيان، أما حركات التمرد فعددها 31 حركة يأتي على رأسها عهد قايتباي 11 حركة وهى ليست كثيرة بالنسبة لفترة حكمه (872-901هـــ)، ثم يأتي الغوري في المركز الثاني 8 حركات، استجاب لمطالبهم في 4 حركات ورفض مطالبهم في 4 حركات، أما برقوق فقد حدث في عهده 4 حركات من المماليك الأشرفية للتخلص من حكمه ولكنها لم تنجح، ثم يتساوى كل من (إينال وخشقدم) 3 حركات، ولكل من (جقمق وطومانباي) حركتين استجاب جقمق لمطالبهم في الأولى ورفضها في الثانية، كما رفض طومانباى مطالبهم في الحركتين، ولكل من (شيخ، برسباي، محمد بن قايتباي، عثمان بن جقمق، أحمد بن إينال، يلباي) حركة واحدة، والملاحظ أن أول مطالبة بزيادة النفقة كانت في عهد شيخ، ونجح المماليك بالاطاحة بالثلاثة الأواخر.

**ثامناً: أبرزت الدراسة** تعدد أسباب تمرد وعصيان المماليك فبعضها كان للتخلص من حكم بعض السلاطين لأنه اغتصب الحكم ممن كانوا يتمنونه ويريدونه سلطانا، وبعضها انتقاما لزملائهم الذين عزلوا من مناصبهم وأخذت اقطاعاتهم، أو للمطالبة بالنفقة، أو لعدم كفاية مرتباتهم فيطالبون السلطان بزيادتها لتكفيهم.

**تاسعا: أوضحت الدراسة** أن حركات عصيان الأمراء ضد الأمراء بلغ عددها 11 حركة منها 10 حركات عصيان في حين لم نجد سوى حركة تمرد واحدة، منها واحدة في عهد برقوق، و 6 في عهد فرج، و 2 في عهد محمد بن ططر، و2 في عهد قايتباي، واللافت للنظر أن عهد السلطان فرج بن برقوق كان له نصيب الأسد في هذه الحركات 6 وذلك لعدة أسباب منها: صغر سن السلطان فقد تولى الحكم وهو ابن عشر سنين، كذلك ميل السلطان للمماليك الروم وإبعاده للمماليك الجراكسة مماليك أبيه مما أشعل نار العداوة بين الجانبين، إضافة إلى الصراع على النفوذ والسيطرة على مقاليد الأمور بين الأمراء، وسياسة فرج الدموية في قتل المماليك التي نشرت كراهيته بين الأمراء فأعلنوا العصيان عليه وقاتلوه.

**عاشرًا: أماطت الدراسة** اللثام عن أسباب عصيان الأمراء ضد الأمراء ومنها حقد بعض الأمراء على غيرهم من الأمراء بسبب حصولهم على ترقيات ومناصب قبلهم أو إقطاعات تخرج أموالا أكثر منهم، وقد يكون المحرك لتلك الحركات هو التدبير للإطاحة بالسلاطين نهائيا وتولى الحكم، بل إن بعض الأمراء كان يغضب لمماليكه الذين ضربهم أو قتل بعضهم من قبل مماليك بعض الأمراء فيتعصب لهم ويقاتل ذلك الأمير، كما قام بعض الأمراء بقتال غيرهم من الأمراء ليستطيع التحكم في تدبير أمور البلاد ويزيح السلطان ويتولى الحكم، أو يكون القتال من أجل تنصيب سلطان صغير يستطيع الأمراء القائمون بتوليته للحكم السيطرة على مقاليد الأمور.

**حادي عشر:** أن حركات تمرد المماليك بسبب النفقة بلغت 22 حركة تمرد منها حركة تمرد واحدة لكل من (برقوق، فرج، يوسف بن برسباي)، ونال عهد برسباي وحدة "6 حركات"، و 3 حركات في عهد جقمق، و10 حركات في عهد إينال، ولقد استجيب لمطالبهم في 15 حركة.

**ثاني عشر: بينت الدراسة** بما لا يدع مجالاً للشك أن بعض الوزراء كانوا يهربون ويختفون إذا عجزوا عن توفير نفقات المماليك حتى تم تعيين سبعه وزراء فى شهر واحد، ولم يفرح بعضهم بالمنصب إلا لمدة يوم واحد فقط ثم اختفي، ولأول مرة نسمع أن الوزراء يدفعون الرشاوى والأموال للمماليك لكي يتخلوا عن مهاجمتهم ونهب بيوتهم.

**ثالث عشر: أبرزت الدراسة** أن حركات تمرد المماليك ضد الأمراء بلغت 15 حركة، نجحت منها 5 حركات في حين فشلت9 حركات، منها 7 حركات في عهد قايتباي ولكنة تصدى لهم فلم تنجح 6 منها، واستجاب لهم وزاد النفقة سنة 891 هـ، ( ولكل من جقمق 2 حركات وإينال3) كما يتساوى نجاحهم في 1 وفشلهم في 2، أما عهد كل من (برسباي فشهد حركة فاشلة ويقابلها حركة ناجحة في عهد خشقدم)، في حين كان هناك حركتين فى عهد برقوق فشلت الأولى ونجحت الثانية فى هزيمة قوات منطاش ومهدت البلاد لإعادة حكم برقوق.

**رابع عشر: أكدت الدراسة** على نجاح بعض حركات الأمراء في الإطاحة بالحكم القائم مثلما حدث من المماليك مع الأمير منطاش، وهزموا قواته وملكوا القلعة وأعلنوا الخطبة باسم برقوق، كما كادوا يعصفون بالسلطان أينال، واستطاعوا عزل كثير من المسئولين (كمقدم المماليك، والوزير المسئول عن مرتباتهم من اللحوم، وغيره من المسئولين).

**خامس عشر: نجحت الدراسة** في الوقوف على أسباب اضطراب الأحوال في عصر الجراكسة ومنها:هزيمة الجيش أو انتصار قوات العصاة ودخولهم للبلاد، مثلما حدث مع جيش برقوق ودخول قوات الناصري القاهرة،وهروب المساجين من الحبس أو اختفاء بعض الأمراء العصاة والبحث عنهم، وسريان إشاعة بتمرد المماليك ونزولهم من القلعة لنهب القاهرة، بل إن خبر موت السلطان أو إشاعة مرضه كان يسبب القلق بين الناس.هذا بالإضافة لتعيين بعض السلاطين صغار السن أو ضعاف الشخصية الذين لا يسيطرون على تصرفات المماليك ولا يحسنون تدبير الأمور، ومن الأسباب قطع العربان للطريق ومهاجمتهم للقرى والاستيلاء على الأموال، وأخيراً انعدام القمح وقلة الخبز وارتفاع الأسعار وانخفاض النيل.

**سادس عشر: أوضحت الدراسة** أن فترات الاضطراب، كان يظهر فيها الاختلاف بين الناس. كما كانت ميدانا خصبا للإشاعات، وعندما تزداد تلك الإشاعات كان السلطان يجمع

الأمراء والمماليك ويحلفهم على المصحف الشريف بأن لا يخونوا ولا يغدروا ولا يشاركوا غيرهم في التمرد عليه، كما يحلف لهم أيضا بأن لا يغدر بهم أو يقبض عليهم.

**سابع عشر: أكدت الدراسة** أن ارتفاع الأسعار في عصر المماليك الجراكسة كانت له أسباب عديدة منها: إخفاء التجار بضائعهم بسبب تمرد المماليك. فضلا عن خطف المماليك اللحوم فيرتفع سعرها. كما كانت مهاجمة المماليك لخيول الطواحين تؤدى لغلق الطواحين ويقل الدقيق ويفقد الخبز وترتفع الأسعار. بالإضافة إلى احتكار بعض السلاطين والأمراء لبعض السلع وتخزينها لبيعها بأغلى الأثمان. هذا إضافة إلى حدوث القتال بين العربان وانشغال أهل الدولة عنهم فقاموا بحرق القمح والشعير في القرى، فارتفع سعر القمح إلى ألف درهم. فضلا عن شراء الناس القمح خوفا من انعدامه.

تاسع عشر: **أوضحت الدراسة** أن أسباب بوار الأرض الزراعية يرجع إلى عدة أسباب منها: تمرد المماليك وفرض السلاطين الأموال لتوفير نفقتهم، وفرض بعض الولاة أموال (الحماية، والشياخة، وهدايا قدوم الكشاف)، وانتقام العربان بقطع الجسور ونهب أموال ومحاصيل الفلاحين، ومنها توجه الأمراء وبعض السلاطين إلى البلاد لأخذ أموال الضيافة والتقادم والخيول والجمال، وقيام الإستادار بفرض مبالغ من الذهب على القري، وطرح الأبقار والجواميس بمبالغ كبيرة لتوفير مرتبات المماليك.

**عشرون: كشفت الدراسة** أن هناك أسبابا لخراب العمران منها: كثرة المغارم، والظلم المترادف، وقلة نظر الحكام للمصالح الذين كان همهم جمع الأموال وعدم الاهتمام بعمارة الجسور، فضلا عن عجز المقطعين عن النظر في أحوال البلاد، وتعيين بعض الولاة الذين اشتدوا في جمع الأموال فضلا عن استغلال العربان انشغال أمراء المماليك بالصراع على السلطة فقاموا بنهب البلاد، بالإضافة إلى الحرائق التي تأتي على الأخضر واليابس.

**حادي وعشرون: أماطت الدراسة اللثام** عن أن صلاة الجمعة تأثرت بحركات التمرد والعصيان فنرى العصاة ينطلقون لنهب المصلين في المساجد دون مراعاة لحرمة الجمعة منتهزين فرصة اضطراب الأحوال. كما أن البهجة بالعيد كانت تختفي لأسباب منها: خروج السلطان لقتال العصاة، أو مرضه الشديد أو قيام بعض الأمراء المنافسين بإعلان العصيان عليه كما حدث مع كل من الظاهر قانصوه وطومانباي.

**ثاني وعشرون: أوضحت الدراسة** أن الدولة لم تقم بأي جهد لدفع الطاعون أو تقليل انتشاره لأسباب منها: اضطراب الأحوال السياسية، وانشغال الدولة بحركات التمرد والعصيان كما حدث في عهد برقوق، ومصاحبة الطاعون لارتفاع الأسعار كما حدث في عهد فرج، وظهور خطر العربان كما حدث في عهد شيخ وعهد قايتباي.

**ثالث وعشرون: بينت الدراسة** أن العلماء كانت لهم مكانة متميزة في عصر المماليك الجراكسة، ولكن عندما يحدث تمرد أو عصيان من المماليك فإنهم كانوا يهاجمون خيول العلماء، وفي بعض الأحيان تصدر الأوامر لجميع الفئات (علماء تجار وغيرهم) بعدم ركوب الخيول والبغال لأخذها إلى القلعة لتجهيز الجيش، وإذا هرب بعض الأمراء فإن المماليك كانوا يفتشون بيوت العلماء ويأخذون أموالهم دون مراعاة لحرمة بيوتهم.

**رابع وعشرون: أظهرت الدراسة** تعرض المدارس والمساجد لمهاجمة المماليك بحثا عن العصاة والمتمردين على السلطان، هذا بالإضافة إلى تعرض المدرستين (مدرسة السلطان حسن – ومدرسة الشرف شعبان) المواجهتين للقلعة للهجوم والهدم والنهب بسبب موقعهما واستخدام المتمردين لهما في مهاجمة القلعة وأهلها.

# قائمة المصادر والمراجع


**أولاً : المخطوطات:**

**ابن بهادر** (محمد بن محمد بن محمد المشهور بالمؤمني)

- فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر (مخطوط مصور بجامعة القاهرة رقم 26166).

**المقدسي** (مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي ت1033هـ/1623م)

- نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من السلاطين، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم 2076 تاريخ 303 تاريخ تيمور 39.

**ثانياً: المصادر العربية:**

**ابن أيبك** (أبو بكر بن عبد الله بن أيبك ت736هـ/1335م)

- كنز الدرر وجامع الغرر، ج7 ( الدر المطلوب في أخبار بني أيوب)، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1402هـ/1982م.
- كنز الدرر وجامع الغرر، ج8 (الدرة الزكية في الدولة التركية)، تحقيق هارمان، القاهرة 1971م.

**ابن إياس** (زين العابدين محمد بن أحمد المعروف بـ بن إياس الحنفي ويكنى بـ " أبو البركات ت930هـ/1523م)

- بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1 ق 1، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1404هـ/1984م.

**ابن تغرى بردى** (أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن الأمير سيف الدين تغري بردي الأتابكي اليشبقاوي الظاهري ت874هـ/1469م)

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج3، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2008م.
- المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994م.
- حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق، فهيم شلتوت، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، سنة 1990.

**ابن حجر** (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود ت852هـ/1448م)

- إنباء الغمر بأبناء العمر، ج2، تحقيق حسن حبشى، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 1432هـ/2011م.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، 4 اجزاء، ط دار الجيل، بيروت، سنة 1993.

**ابن حبيب** (أبو محمد الحسن بن عمر بن الحسن(ت779ه/1377مـ)
- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، ج1، تحقيق محمد محمد أمين، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1976م.

**ابن خلدون** (عبد الرحمن بن محمد (ت سنة 808 هـ / 1405 مـ)
- تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،ج 5،القاهرة، 1391 هـ- 1971م.

**ابن دقماق** (صارم الدين إبراهيم بن محمد) (ت 809 هـ / 1406 م)
- الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، ج2، ط عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ.

**ابن زنبل الرمال**
- آخرة المماليك، تحقيق عبد المنعم عامر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2006م.

**ابن شاكر الكتبى** (محمد بن شاكر بن أحمد ت764هـ/1363م)
- فوات الوفيات والذيل عليها، ج2، تحقيق إحسن عباس، دار صادر بيروت، 1974م.

**ابن الشحنة** (أبو الفضل محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن غازي ابن أيوب ت890هـ/1485م)
- عفيف الدين حسين بن محمد الشحنة، البدر الزاهر في نصرة الملك الناصر، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط بيروت سنة 1983.

**ابن شاهين الظاهري**(خليل بن شاهين الظاهري غرس الدين المصري المتوفى سنة 893هـ/1489م)
- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق بولس راويس، باريس، 1894.

**ابن صصرى** (محمد بن محمد بن صصري)
- الدرة المضية في الدولة الظاهرية، تحقيق وليم برينر، كاليفورنيا، 1963م.

**ابن ظهيرة** (أبا إسحاق برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن علي بن عطية ت891هـ)- الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2009م.

**ابن طولون الصالحى**(شمس الدين أبو عبد الله، بن علاء الدين بن الخواجه شمس الدين ت953هـ1546م)
- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق محمد مصطفى، قسم 2، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة 1962.

**ابن عبد الظاهر** (محيي الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين ت692هـ/1292م)

- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض، 1976م.

**ابن الفرات** (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز ت807هـ/1405م)

- تاريخ ابن الفرات الموسوم بـ"تاريخ الدول والملوك"، ج8، تحقيق قسطنطين زريق، نجلاء عز الدين، بيروت، 1939م.

**الفيروز أبادى** (مجد الدين محمد بن يعقوب (ت سنة 803 هـ / 1400م)

- القاموس المحيط، 4 أجزاء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 1977-1983م.

**ابن قاضى شهبة** (تقى الدين أبو بكر بن أحمد (ت سنة 851 هـ / 1447م)

- تاريخ ابن قاضى شهبة" 4 مجلدات تحقيق عدنان درويش، ط دمشق، سنة 1977.

**ابن الوكيل** (يوسف الملواني الشهير بابن الوكيل ت1131هـ/1719م)

- تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، تحقيق محمد الشناوى، دار الآفاق العربية، ط1، 1419هـ/1999م.

**ابن واصل** (جمال الدين محمد بن سالم بن واصل (ت 697هـ /1296مـ )

- مفرج الكروب في أخبار بنى أيوب، ج2، تحقيق جمال الدين الشيال، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة 1377هـ - 1957 م.

**أبو الفدا** (إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه 732هـ/1331م)

- المختصر في أخبار البشر، ج3، تحقيق: محمد زينهم، دار المعارف، القاهرة.

**الإسحاقى المنوفي** (محمد بن عبد المعطي بن ابي الفتح بن عبد الغني بن علي الاسحاقي، المنوفي، الحنفي ت 1090هـ/1650م)

- أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1998م.

**السخاوي**(شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان 902هـ/1497م)

- التبر المسبوك في ذيل السلوك، تحقيق لبيبة إبراهيم ونجوى مصطفى، دار الكتب والوثائق، القاهرة، 2007م.
- الضوء اللامع لأعيان أهل القرن التاسع، ج12، دار الجيل، بيروت، 1992م.
- الذيل التام على دول الإسلام، تحقيق إسماعيل مروة، 3 أجزاء، ط دار ابن العماد بيروت، المجلد الأول سنة 1992، م2 سنة 1997، م3 سنة 1998م.

**الزبيدى** (محمد مرتضى الحسيني ت1205 هـ / 1790م )

- تاج العروس من جواهر القاموس،7مجلدات، القاهرة 1889 م.

**السيوطي** (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت911هـ/1505م)

- تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة "راجعه جمال محمود مصطفى، دار الفجر للتراث، القاهرة، سنة 1999م.

**الصيرفي** (علي بن داود بن إبراهيم الخطيب الجوهري الصيرفي ت900هـ/1494م)

- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ أهل الزمان، تحقيق حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994م.
- إنباء الهصر بأبناء العصر، تحقيق حسن حبشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2002م.

**العمري** (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله ت749هـ)

- التعريف بالمصطلح الشريف، القاهرة، 1312 هـ.

**العيني** (بدر الدين محمود ت855هـ/1451م)

- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج2، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1412هـ/1992م.
- السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودى، تحقيق فهيم محمد شلتوت، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2003م.

**القلقشندى** (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد ت821هـ/1418م)

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج1 الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.

**المعجم الوجيز** مجمع اللغة العربية، ط وزارة التربية والتعليم، سنة 1990.

**المقريزى** (تقي الدين أحمد بن محمد بن علي ت845هـ/1441م)

- النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة (ب.ت).
- السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، تحقيق محمد مصطفى زيادة، دار الكتب المصرية، القاهرة 1934.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج2، المطبعة الأميرية، بولاق 1207هـ، ص213.
- إغاثة الأمة بكشف الغمة، مكتبة الآداب، القاهرة (ب.ت).

**ابن مماتي** (الأسعد بن مماتيت 606هـ/1209م)

- قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطية، القاهرة، سنة 1999م.

**ابن منظور** (أبو الفصل محمد بن مكرم (ت 711هـ/1311مـ)

- لسان العرب، 20جزء، دار المعارف القاهرة 1980.

**النويرى الإسكندراني** (محمد بن قاسم النويري المالكي السكندري)

- الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في واقعة الإسكندرية، تحقيق عزيز سوريال، ج2، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.

**ياقوت الحموي** (شهاب الدين أبو عبد الله ( ت626هـ / 1229مـ )
- معجم البلدان، 12 جزء، القاهرة، 1906م.


## ثالثاً: المراجع العربية والمعربة:

- أحمد عبد الرازق، تاريخ وآثار مصر الإسلامية في العصرين الأيوبي والمملوكي، دار الحريرى للطباعة، القاهرة، 2007م.
- أحمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
- بول كازانوفا: تاريخ وصف قلعة القاهرة، ترجمة أحمد دراج ومراجعة جمال محرز، الهيئة العامة للكتاب 1974.
- يرو طافور،رحلة بيرو طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادى، ترجمة حسن حبشى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م.
- البيومي إسماعيل، مصادرة الأملاك، ج2، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1997م.
- جمال الدين الشيال، تاريخ مصر الإسلامية، ج2، دار المعارف، القاهرة.
- زكى محمد حسن، فنون الإسلام،دار الرائد العربى (ب.ت).
- زين الدين الملبارى، تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتكاليين، نشر داود لويس، لشبونة، 1898م.
- رضا نوريا، تاريخ الترك، ج9، ط1 القاهرة 1926م.
- ستانلى لين بول، سيرة القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997م.
- سعيد عبد الفتاح عاشور،العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، ط سنة 1965.
- سعيد عبد الفتاح عاشور، التدهور الاقتصادي في ضوء كتابات ابن إياس، ط الهيئة العامة للكتاب، سنة 1973.
- سعيد عبد الفتاح عاشور،قبرص والحروب الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، 2002م.
- سعيد عبد الفتاح عاشور،أوربا في العصور الوسطى، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1972م
- سعيد عبد الفتاح عاشور،الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، ط دار النهضة العربية، القاهرة 1993م.

- سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، ط سنة 1992.
- عبد الرحمن زكى، بناة القاهرة في ألف عام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م.
- عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1988م.
- عبد الملك بن حسين المكي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ج4، تحقيق: عادل أحمد وعلى معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ/1998م.
- فارتيما، رحلات فارتيما، ترجمة عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1994م.
- قاسم عبده،دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1983م.
- محاسن الوقاد: الطبقات الشعبية، الهيئة العامة للكتاب سنة 1999م.
- محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1410هـ/1990م.
- محمد جمال الدين سرور، دولة بنى قلاوون في مصر، دار الفكر العربى، القاهرة1974.
- محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، المركز المصري للدراسات العثمانية، القاهرة، 1414هـ/1994م.
- محمد الزامل، التحولات الاقتصادية في مصر أواخر العصور الوسطى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة2008.
- محمد الزامل، الحصار الاقتصادي على مصر أواخر العصور الوسطى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2009م.
- محمد رمزي، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، قسمان، 6 أجزاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1994م.
- محمد عبد الغني الأشقر، سلار الأمير التتري المسلم نائب السلطنة المملوكية في مصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2000م.
- محمود رزق سليم، الأشرف قانصوه الغوري، الدار المصرية للتأليف والترجمة (ب.ت).

- هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة أحمد محمد رضا، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1985م.
- وليم موير، تاريخ دولة المماليك في مصر، مكتبة مدبولي، القاهرة.

**رابعاً: الدوريات العربية:**

- سعيد عاشور: التدهور الاقتصادي في ضوء كتابات ابن إياس، محاضرة بالجمعية التاريخية، ط الهيئة العامة للكتاب 1973م.
- محمد مصطفى زيادة، الأساطيل المصرية ومحاولة الاستيلاء على جزيرة رودس في عهد السلطان المملوكي جقمق، بحث منشور في كتاب دراسات في التاريخ الإسلامي، بيروت، (د.ت).

**خامساً: الرسائل الجامعية:**

- أحمد عبد الكريم سليمان، الحياة الزراعية في مصر في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1999م.
- جمال جرجس يوسف، الاحتكار في الدولة المملوكية الثانية، رسالة دكتوراة، كلية البنات جامعة عين شمس، 1983م.
- ياسر حلمي أحمد، طبقة التجار في مصر عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير، آداب طنطا، سنة 1997.

**سادساً : المراجع الأجنبية :**

- Dopp, L'Égypte au commencment du quinzième siècle d'après le traité d'Emmanuel Piloti de Crète (Incipit 1420), Cairo 1950.
- Frescobaldi , A Visit to the Holy Places Sinai, Palestine and Syriain 1384, Jerusalem 1948.
- Ghistele ,( J.V.) ,Voyage en Egypte ( 1842 - 1483 ), trans by , Bauwens Preaux , Bruxelles , 1975.
- Harff, The Pilgrimage of Arnold Von Harff, Hakluyt Society 2010.
- Irwin, How many miles Babylon? In book " Mamlūks and Crusaders: men of the sword and men of the pen.
- Joinville, History of Saint Louis. translated by joanEvans , GregynogPress, 1937 .
- Larrivaz ,Le Saints Peregrinations de Bernard
- Schefer ,Le voyage d'Outremer (Égypte, Mont Sinay, Palestine) / De Jean Thenaud, Frankfurt,1995.
- Irwin, How many miles Babylon? In book " Mamluks and Crusaders: men of the sword and men of the pen, 2010.